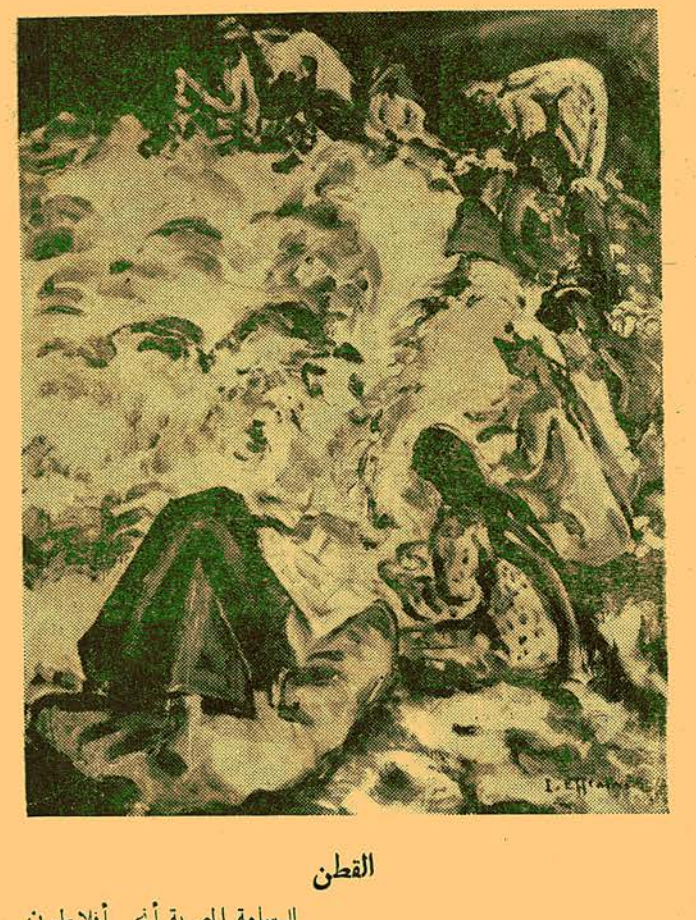




القطن

للرسامة المصرية أنجي أفلاطون

مجلة شهرية
تعنى بشؤون الفكر



العدد الثاني عشر
السنة الثالثة

كانون الاول (ديسمبر)
١٩٥٥

صدر اليوم

الجزء الثامن

من الترجمة الدقيقة الكاملة المشفوعة بحواش تاريخية ضافية ، ومقدمة نقدية وافية ،
لأعظم أثر ادبي إنساني أبدعه القرن التاسع عشر .



لشاعر فرنسة الكبير

فيكتور هيجو

○ البؤساء قصة المعذبين في الارض كتبها لك بمداد من الدمع والدم شاعر من أعظم شعراء العالم في مختلف العصور .

○ البؤساء القصة الباقية على الدهر ، والتي سوف تظل باقية على الدهر ما دام على وجه الارض بؤس وشقاء ، وما دام المجتمع يعمل على إذلال الرجل بالفقر ، وتحطيم المرأة بالجوع ، وتقزيم الاطفال بالجهل .

○ البؤساء ليست رواية وحسب . إنها نشيد الحرية الخالد ، وإنجيل العدالة الاجتماعية ، وسيمفونية التقدم البشري نحو تحقيق إنسانية الانسان .

○ البؤساء تاريخ نابض بالحياة لأخطر حقبة في تاريخ فرنسة في القرن التاسع عشر ، وفي حياة اوروبة بكاملها ، حقبة نابوليون وواترلو ، ولويس فيليب وثورة ١٨٣٢ .

○ البؤساء قد تستغني مكتبتك عن كثير من الكتب ولكنها لن تستغني عن هذه الرائعة العالمية التي كرست الأيام عظمتها جيلاً بعد جيل .

ترجمها ترجمة امينة دقيقة لاول
مرة في اللغة العربية الاستاذ

منير البعلبكي

دار العلم للملايين

العدد الثاني عشر

كانون الاول (دسمبر) ١٩٥٥

السنة الثالثة

No. 12 - Décembre 1955

3ème Année

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

تصدر عن دار العلم للملايين - بيروت

ص. ب ١٠٨٥ - تلفون ٢٤٥٠٢

AL-ADAB *REVUE MENSUELLE CULTURELLE*

BEYROUTH - LIBAN B.P. 1085

Tél- 24502

أصحاب الامتياز

منير البعلبكي - سهيل ادريس - بهيج عثمان

المدير المسؤول : بهيج عثمان

رئيس التحرير : الدكتور سهيل ادريس

Rédacteur en chef : SOUHEIL IDRISS

Directeur BAHIJ OSMAN

تجربة ثلاثة أعوام

بهذا العدد ، تختتم «الآداب» عامها الثالث ، لتستهلّ بالعدد القادم الممتاز الخاص بالفنون ، عاماً رابعاً ترجو ان تتمكن فيه من تأدية رسالتها بقسط اوفر من النشاط والجهد والوعي .

لقد استطاعت « الآداب » في هذه الفترة القصيرة من وجودها ، ان تفرض نفسها كأداة ناجعة في توعية الفرد العربي على قضاياه بمختلف ابعادها ، يؤازرها في ذلك نخبة من المفكرين ينتمون الى جميع اجزاء الوطن العربي كله . وان في نجاح تجربتها بشيراً بأن التعاون العربي ، جدير به ان يؤتي افضل الثمار لخير القضية العربية ، متى خلصت النيات ، وكان الوعي رائدها في بلوغ الغاية المرجوة .

ولم يكن نجاح تجربة « الآداب » امراً ميسوراً . فأن انهيار عدد من المجلات الادبية الكبيرة ، في اكثر من بلد عربي واحد ، كان كافياً لتثبيط الهمة في نفوسنا . ولكن « الآداب » خرجت الى الدنيا العربية برسالة ومنهاج ؛ وكانت استجابة ستة آلاف قاريء عربي دليلاً واضحاً على تأييد تلك الرسالة وهذا المنهاج ، كما كان حجة بالغة على ان الجيل العربي الجديد ينشد تحويل قلقه الى عمل منتج يحقق فيه ذاته ويستهلك امكانيته .

ولقد استطاعت « الآداب » ان تظهر بوجهها السافر بين وجوه كثيرة مقنّعة لم تكن تعجز دائماً عن خداع القراء .

كانت ثمة وجوه ملونة مزخرفة مصورة ، لاتعوّل من اجل اكتساب القراء ، الا على التلوين والزخرفة والصورة ، تغري بها النظر ، وتدغدغ الحس ، وتستنشي الشهوة ، فتبلغ من ذلك ما تريد في اوساط تعيش على الكبت والجفاف والانبهار بالجديد .

وكانت ثمة وجوه باهتة لا تتميز بسمة ، ولا تدرك ، هي نفسها ، الغاية من وجودها . وهذه الوجوه كانت مهوى النفوس التي لا يتحرك فيها قلق ، ولا يستشرف اصحابها هدفاً ، ولا يستشعرون دافعاً الى عمل يكسب حياتهم معنى .

وكانت ثمة وجوه مقنعه تزعم انها تريد ان تخلق ثقافة عربية ، وهي لا تخلق الا ثقافات اجنبية معينة ، وتدافع عنها دفاع من لا تختلج في صدره عزة قومية .

وفي وسط هذه الوجوه ، برز وجه « الآداب » ليحاول ان يستخلص خطوط العمل الثقافي الشريف من زحمة الالوان والصور الباهتة والسحن المقنعة ، ويلقي ببذور هذا العمل في حقل القضية القومية برمتها . ومعركة الاستخلاص هذه ، قائمة ابداً ، وهي قد تطول ، وسوف تحتاج من غير شك الى مزيد من الاخلاص والتضحية ، ولكن نتيجتها ستكون مضمونة لاصحاب الجهد الذين لا يحاولون الخداع ، اولئك الذين يستمدون من اخلاصهم ومن ايمانهم بصدق دعواهم وقوداً للعمل والاستمرار .

س . أ .

على هامش المؤتمر الدائم لقضايا الوطن العربي

حول الوحدة والاتحاد

بقلم شبلي العيسمي

لاشك ان وعي العرب القومي آخذ في النمو والاتساع، وان الشعور بضرورة العمل الجدي لتحقيق الوحدة العربية او الاتحاد العربي على الاقل يزداد يوماً بعد يوم . وعلى الرغم من ان هذا القول لا يحتاج لإيراد الادلة لاثبات صحته ، فلا بأس من ان نذكر أن معظم الاحزاب العربية – وهي التي يفترض فيها ان تعبر عن حاجات الشعب واهدافه – قد نصت في مبادئها على ضرورة العمل من اجل الوحدة العربية . ثم ان الفئات الحاكمة نفسها ادركت تزايد الشعور الشعبي بضرورة الوحدة، فراحت تساير هذا الشعور وتصانعه بالتصريحات الحماسية تارة وبتقديم المشاريع والمواثيق الاتحادية تارة اخرى . ولعل افضل دليل نسوقه في هذا المقام هو ذلك الحماس الشديد الذي ظهر للوحدة من اعضاء مؤتمر الخريجين الدائم لقضايا الوطن العربي . ولانكون مغالين اذا قلنا ان كلمة الوحدة العربية كانت في المؤتمر الكلمة السحرية التي تحرك الجمهور وتنتزع تصفيقهم على اختلاف نزعاتهم وميولهم . ومهما حاولنا ان نقلل من قيمة هذه الظاهرة بأن نصمها بالاصطناع والسطحية او بانها مشبوهة يحركها الاستعمار واعوانه فانها تبقى عظيمة الاثر والدلالة .

اجل ، منذ اكثر من عشر سنوات كان البحث في القومية العربية مقتصراً على عدد قليل من مفكري العرب ، وكان مفهومها في اذهان الكثيرين منهم مضطرباً يفتقر الى الدقة والوضوح . اما الايمان بالوحدة العربية والنضال في سبيلها ، فلم يتعديا نفراً من المواطنين ، في حين كانت المنظمات الاقليمية والدعوات الشعوبية ترفع رأسها وتبث سمومها ، وكانت العناصر الرجعية والفئات المتنفذة النفعية تسعى جهدها للمحافظة على اوضاع التجزئة وتثبيت الكيانات المتعددة التي اقامها الاستعمار تثبيتاً لاقدامه في الوطن العربي وتسهيلاً لاستغلال خيراته وموارده .

وعلى الرغم من مضي اكثر من عشر سنوات على بعض المناقشات مع عدد من المواطنين حول الوحدة العربية ، فاني لا ازال اذكر كيف كان بعضهم يجادل على اساس من القناعة بان الوحدة ضرب من المحال او نوع من الوهم والخيال .

وان انس لا انس المناقشة التي جرت بيني وبين استاذ التاريخ في الجامعة السورية (وهو من مصر) وذلك عندما قال في احدى محاضراته لنا ان « من الممكن ان توجد قوميات عديدة كالقومية المصرية والقومية السورية ... الخ ضمن القومية العربية » وعندئذ اعترضت على هذا القول وتصديت لمناقشته فطلب مني ان اعد محاضرة بهذا الموضوع ففعلت . وتشاء الظروف الطيبة ان التقي مع استاذي المذكور في مؤتمر الخريجين بالقدس ، وتشاء هذه الظروف نفسها ان اكون واياه في لجنة الدستور الاتحادي . وحين ذكرته بمناقشاتنا في الجامعة السورية اجاب بأنه « اصبح قانعاً بانه لا حياة للعرب بدون الوحدة » . طبيعي اني لا اريد من رواية هذه القصة ان اشير الى صواب رأيي وخطل الرأي الآخر ، وانما اريد القول ان وضوح الفكرة القومية ونمو الوعي القومي لدى العرب وتتابع الدروس القاسية والكوارث – وفي مقدمتها كارثة فلسطين – جعلتهم يدركون ان قوتهم وكرامتهم وتحقيق نهضتهم الشاملة رهن بتحقيق وحدتهم .

وبعد : فما دامت الاكثرية في بلاد العرب قد اصبحت في هذه الايام تنادي بنوع من الوحدة او الاتحاد ، وتعتقد بان في ذلك قوة للعرب وطريقاً لنهضتهم الشاملة ، فما هي الاسباب في بقاء التجزئة وما هي العقبات التي تعترض سبيل الوحدة او الاتحاد ؟

سنحاول في هذا المقال ان نتلمس الاسباب والعقبات أملاً في معرفتها ، لاعتقادنا بان الخطوة الاولى يجب ان تبدأ من هذه المعرفة ، لكي تأتي الحلول مناسبة لها ، فضلاً عن اننا نرجو من هذه المحاولة ان تثير اهتمام بعض المفكرين في بلاد العرب وتحملهم على البحث الجدي في قضايا اساسية هامة يشعر المخلصون من ابناء العروبة بضرورة بحثها والتعمق في دراستها .

قد يذهب بعضهم بعيداً في التعليل فيرجع الى اعماق التاريخ ليجد من سلوك العرب في الجاهلية – ذلك السلوك القائم على الخصومات القبلية العنيفة ، وامتداده الى ما بعد الاسلام – ما يشكل نوعاً من العادة التي تناقلها العرب جيلاً بعد جيل ، وليجد من التراث القديم أكبر عائق يحول بتعاليمه وقيوده دون الانبعاث المنشود . وقد يشارك هؤلاء في الرأي اولئك الذين تستهويهم التعليلات النفسية والفلسفية فيقولون ان الشعوب كالافراد يمتاز بعضها عن بعضها الآخر بصفات خاصة ومميزات معينة – ثم يعتبرون ، بالاستناد الى هذا الاساس ، ان الروح الفردية نزعة متأصلة في النفس العربية .

من المرجح ان يكون هذا الرأي وليد الفرد المجرد والذهن الذي يلذ له الانفلات من وقائع الحياة وتجاربها الحية . ومع ذلك فالرأي لا يخلو من طرافة ولا يجب اهمال الرد عليه :

١ - نعتقد ان اصحاب هذا الرأي لو امعنوا النظر في تاريخ العرب لوجدوا ان العرب أنفسهم استطاعوا في مرحلة من المراحل – ان يحققوا وحدتهم على اساس مركزي عهد الراشدين ، وان يحققوا هذه الوحدة على اساس لامركزي عهد الامويين والعباسيين ، ومعنى ذلك ان روح التجزئة ليست طبيعية ولا متأصلة في النفس العربية ولا قدراً مفروضا عليهــا .

٢ – ان الامم الاوروبية التي نعتبرها مثلاً أعلى في تحقيق

الوحدات القومية كانت في ما مضى مثقلة بتراث قديم لا يقل عن تراث الامة العربية في قيوده وتقاليده . ومع ذلك فقد استطاعت تلك الامم ان تتخطى تراثها القديم المعرقل لنموها وتحقيق وحدتها .

٣ - ثم ان العقل البشري واحد من حيث الجوهر وقابلية النمو والتحرر ، فليس ثمة ما يبرر حصر هذه القابلية في عقول الامم الاوربية ونفيها عن العقل العربي .

٤ - ان العقل الذي خلق ذلك التراث وما فيه من قيود وسدود يستطيع هو نفسه ان يجدد هذا التراث ويحطم ما فيه من قيود .

وهنالك فريق آخر يعلل الاسباب في عدم الوصول الى الوحدة بأمور يراها اقرب الى الواقعية والطريقة العلمية ، على الرغم من أن آراءه تأتي متأثرة ببعض النظريات الاقتصادية والسياسية التي يعتقد بصحتها كالماركسية مثلاً ، فيرى هذا الفريق ان الوضع الاقتصادي الحالي في بلاد العرب يقوم على اسس اقطاعية رأسمالية جائرة وان الشعور بجور هذه الاسس وفسادها سيمد المواطنين بالقوة النضالية التي ستبدل حتماً هذه الاوضاع باوضاع اخرى عادلة تفسح المجال امامهم لاستخدام امكانياتهم ومواهبهم على احسن وجه ، وتتيح لهم فرصة التحرر من سيطرة الاستعمار والرجعية ، الامر الذي يؤدي بصورة طبيعية لتحقيق الوحدة المنشودة .

وعلى الرغم من ان اصحاب هذا الرأي على جانب من الصواب الا ان ارجاع الاسباب كلها الى العامل المادي وحده لا يخلو من الخطأ والغلو .

وهنالك فريق ثالث تغلب عليه النزعة السياسية الواقعية فتأتي آراؤه في هذا الموضوع متأثرة بالوقائع والتجارب التي يمر بها . فقد يلمس بعض هؤلاء تدخلاً سافراً ومؤامرات مكشوفة من جانب الاستعمار ، فيتألم لهذا اشد الالم ويندفع في التعبير عن ألمه بتجسيم خطر الاستعمار حتى يراه العقبة الاساسية التي تقف في سبيل الوحدة ، في حين يلمس آخرون مدى جمود الرجعيين وتخاذلهم - وهم المسيطرون على مقدرات البلاد واجهزتها - فيعتبرونهم العقبة الاساسية والوحيدة في طريق الوحدة .

ولهذه الآراء قيمة عملية لانها - بالتجسيم والمبالغة - تزيد من التحسس بهذه الاخطار وبضرورة التخلص منها .

اما نحن فنعتقد بان من الخطأ الفادح ان نعلل بقاء التجزئة بسبب واحد ، لان وحدوية السبب ان صحت على الاشياء المادية فهي لا تصح اطلاقاً في المجتمعات البشرية . وفي هذا الميدان بالذات تكثر الاجتهادات وتتفاوت الآراء ويصبح اكثرها انتشاراً اقربها الى المنطق واكثرها اعتماداً على

الوقائع والارقام .

وبالاستناد الى هذه الملاحظة نرى ان يطرح الموضوع بالشكل التالي :

الاوضاع الاقتصادية في الوطن العربي سيئة فاسدة ، وتوزيع الثروات فيه جائر غير عادل لانه يقوم على اسس اقطاعية رأسمالية ، تستطيع الاقلية في ظلها ان تستثمر الاكثرية وتبقيها مغلولة اليد مشلولة الانتاج .

وينتج عن ذلك ان حاجة العرب ماسة لتحقيق الاشتراكية العربية .

اما من الوجهة السياسية والاجتماعية فنلاحظ ان الفئات العاملة بالسياسة لا تزال – في اكثريتها – ضعيفة الثقة بنفسها وبامكانيات امتها ، بل يكاد بعضها يرى في الاستعمار قدراً لا يمكن للعرب ان يتخلصوا منه ولا بد لهم من مسايرته والاعتماد عليه ، كما يرى ان قوى الرجعية لا تزال مسيطرة على الثروة والتوجيه ، ويصعب القضاء عليها في هذه المرحلة على الاقل وفي وضع كهذا يشعر الشعب بالحاجة الى جيل عربي جديد منظم ، يتوفر فيه الوعي والايمان والشعور بالمسؤولية ، يثق بنفسه ، ويؤمن بقدرة امته على التحرر من سيطرة الاستعمار وتحكم الرجعيين .

ولن يتم ذلك الا بان نجعل من الحرية شعاراً نناضل في سبيله ونرخص النفس من اجله .

اما من الوجهة القومية فنلاحظ ان بقاء التجزئة بقاء للاستعمار او تدعيم لسيطرة الاقلية المستغلة التي تبني قوتها على حساب مصلحة العرب العليا . ولهذا كان من الطبيعي ان تكون الوحدة العربية هدفاً اساسياً للعرب في هذه المرحلة التاريخية .

* * *

ونعرض الآن بعض الآراء والاتجاهات التي يروج لها المهتمون بقضايا الوطن العربي ، ويعتقدون بان في تبنيها والعمل على اساسها ما يؤدي لتحقيق الوحدة المنشودة .

ولكن قبل ان نوجز آراء هؤلاء واتجاهاتهم لا بد من الاشارة الى ان في هذا الوطن فئات اخرى تهتم بقضاياه ، ولكنها في الوقت نفسه ، لا تؤمن بالقومية العربية ولا تتطلع لتحقيق الوحدة بين اقطاره .

وعلة ذلك ان بعض هذه الفئات يدين بالقومية الاقليمية الضيقة على اساس منظم يلبس تارة طابع العقيدة والمبدأ ، ويكشف تارة اخرى عن دوافعه النفعية ، في حين يتخطى بعضها الاخر حدود القومية العربية ليتخذ من الاممية عقيدة ومذهباً ، ويبني عمله ونضاله على هذا الاساس .

وهنالك فريق ثالث يلتقي مع هذه الفئة بعاطفة دينية لا تقوى وحدها على بناء دولة قوية يتوفر فيها التماسك والانسجام . ويدخل في زمرة هؤلاء بعض الفئات المتنفذة ، الفئات التي ترى في بقاء الكيانات القائمة بقاء لنفوذها ، فتسعى لتثبيت التجزئة والمحافظة عليها بطرق متعددة ، هي سافرة مكشوفة في بعض الاحيان وملتوية خفية في اكثر الاحيان . وذلك بان تدعي الايمان بالقومية العربية وتنادي في الظاهر بتحقيق الوحدة ، وتتبنى كذلك منطق الوحدويين الصادقين ولكنها تهدف في الاصل الى الاستغلال ولا تتورع عن تشويه الخطوات الجدية وعرقلتها .

ولا شك ان المفضوحين في دوافعهم والمشبوهين بصلاتهم الاجنبية من هذه الفئة ينفرون الشعب من الوحدة العربية إذا كانوا من الناشطين في الدعاية لها .

اجل ... ليس الغرض من هذا المقال ان نناقش هؤلاء في آرائهم ، وانما ان نعرض آراء المؤمنين بالعروبة والمنادين بالوحدة أملاً في الوصول الى احسن الطرق العملية المؤدية لتحقيقها .

ونعتقد ان هؤلاء ينقسمون الى فئتين :

الفئة الاولى تؤمن بالقومية العربيه عن صدق ووعي وتريد تحقيق الوحدة بأي ثمن ، وتسعى لاتحاد غير مشروط ، كخطوة في سبيل الوحدة ، بل ربما ترى المساوىء والمؤامرات الاستعمارية التي قد ترافق الاتحاد او تنشأ عنه اخف خطراً على العرب من بقائهم في حال التجزئة والانقسام. والاكثرية من هذه الفئة لا تزال خارج العمل الحزبي المنظم ولكنها تعبر عن آرائها في مناقشاتها المطبوعة بالحماسة والحرارة وفي كتاباتها التي تعتبر ان الوحدة هدف العرب الوحيد في هذه المرحلة من حياتهم ، وان قواهم يجب ان تركز لتحقيق هذا الهدف . اما قضايا التحرر والاشتراكية وما شاكلها فتأتي في المحل الثاني بل يمكن ان تترك الى ما بعد المرحلة التي تتحقق فيها الوحدة .

اما الفئة الثانية فهي كالفئة الاولى تؤمن بالقومية العربية وتريد تحقيق الوحدة ولكنها تختلف عنها في :

١) انها لا تريد الوحدة بأي ثمن ولا تسعى لاتحاد تطغى فيه الاضرار على الفوائد .

٢) ترى في النضال من اجل الوحدة والقضايا الاساسية الاخرى كالحرية والاشتراكية كلّاً موحداً لا يصح فصله وتجزئته .

٣) انها اكثر ايماناً بالعمل المنظم واكثر اهتماماً بتفجير القوى الشعبية والاعتماد عليها .

نعود بعد هذا لنلخص بدقة ووضوح – قدر المستطاع – الادلة التي يتمسك بها كل من الفئتين .

يقول اصحاب الفئة الاولى طلاب الوحدة بأي ثمن :

١ – ان ضعف العرب وتأخرهم ناتجان عن بقاء التجزئة وان تحقيق الوحدة يخلق فيهم القوة والعزة ويفتح امامهم باب التقدم السريع . وبالتالي يحقق لهم النهضة الشاملة .

٢ – ثم إن الوحدة التامة لا يمكن ان تتحقق دفعة واحدة (وفي هذا القول حق ومنطق) ولكنهم ينتهون منه الى الاعتقاد – او الاتهام احياناً – بأن الذين لا يرضون بأي شكل من اشكال الاتحاد انما ه

طلاب وحدة تامة لا يرضون عنها بديلا ، وان هؤلاء المثاليين خياليون من حيث النتيجة ويعرقلون بتزمتهم السير الطبيعي نحو الوحدة المنشودة[١] .

٣ – وما دامت الوحدة لا تتحقق طفرة واحدة فلا بد لها من وسائل ومراحل تأتي في مقدمتها اقامة اتحادات بين قطرين او اكثر من الاقطار العربية الحالية « لتقليل عدد الكيانات واختزال القوة الاقليمية التي تحاول تأخير الاتحاد[٢] » – ليس هذا فحسب بل ان الاتحاد في رأيهم ولو كان بين قطرين فقط وضمن هذا الواقع الراهن يبقى اكثر فائدة واعظم نفعاً لمصلحة العرب لأنه يزيد في امكانيات النضال في صفوف الشعب .

٤ – ثم يقولون ان العرب يعيشون في هذه المرحلة الحاضرة ضمن كيانات ودول قائمة تتمسك بها الفئات الحاكمة . وهذه الفئات لا تزال مسيطرة على القوى الاساسية في الوطن العربي ، ولديها من الامكانيات ما يعرقل السير الطبيعي نحو الوحدة . ومعنى ذلك ان كل دعوة ضمن هذا الواقع تهدف تحقيق الوحدة لاالاتحاد الممكن ستلقى من الحكام مقاومة ضارية لانها تنسف مصالحهم ونفوذهم وفي هذا تفشيل للخطوات العملية من اجل الوحدة وعرقلة للنضال في سبيلها .

٥ – ولو نشأت دولة اتحادية على اساس المحافظة على كيانات الدول القائمة ونوع الحكم فيها مع وجود برلمان اتحادي وتوحيد الجيش والثقافة والسياسة الخارجية وتنسيق الاقتصاد والغاء الحواجز الجمركية الخ ... (وهذا ما اقرت اسسه لجنة الدستور الاتحادي في الدورة الثانية لمؤتمر الخريجين) لكان في ذلك خير عميم للعرب ، بل الكفاح مما في هذه الخطوة من تمهيد للوحدة وخدمة لها .

٦ – اما قضية الالتزامات التي تربط بعض الدول المشتركة بالاتحاد والمعاهدات الاجنبية المقيدة لها ، فانها في نظرهم محلولة من الوجهة القانونية ، لان القانون الدولي لا يلزم دولة الاتحاد بالقيود التي تربط الدول الاعضاء[٣] .

ليس هذا فقط بل يذهبون في التفاؤل – المنبعث عن الرغبة الشديدة بتحقيق الاتحاد بأي ثمن – الى ان التزامات دول الاعضاء تسقط بموجب القانون الدولي لمجرد اشتراك هذه الدول في دولة الاتحاد . واذ لفتوا نظرهم الى هذه الالتزامات والمعاهدات من الوجهة الواقعية قالوا « من لا يخسر التسعة لا يربح العشرة » ، وما لا يدرك كله لا يترك جله . فلا مانع والحالة هذه ، من ان تسري بعض المساوىء من قطر عربي الى قطر آخر في سبيل الوصول الى نوع من الاتحاد بين هذين القطرين ما دام في الاتحاد كثير من المغانم المذكورة آنفاً . ولامانع ايضاً من الدخول في احلاف ومعاهدات عسكرية وسياسية مع دولة او دول اجنبية قوية طمعاً بسكوتها عن الاتحاد او تأييدها له . ليس هذا فحسب بل يذهب ببعضهم الحماس او الوهم – لا ادري – الى ان الاعتماد على دولة اوربية كبرى في تحقيق الاتحاد انما هو اسلوب عملي ينطوي على نفع كبير . ويستقي

---

١ ذكر هذا الرأي الاستاذ عبد الرحمن البزاز رئيس نادي البعث ببغداد في مناقشة جرت بيني وبينه في مؤتمر الخريجين بالقدس .

٢ نحو الوحدة العربية ص ١١ – من منشورات مؤتمر الخريجين . كتبها السادة : يوسف خوري – صلاح عنبتاوي – نزار جردانه – وصفي التل .

٣ جواب الدكتور ادمون رباط ومؤيديه ، في لجنة الدستور الاتحادي للمؤتمر ، في معرض الدفاع عن مشروعه المقدم حول « دستور دولة الاتحاد »

هذا الرأي في اكثر الاحيان من بطون الكتب ومن حوادث التاريخ بل من مظاهره ، فيقول اصحابه : الا تشير حوادث التاريخ وعوامل نشوء الاتحادات القومية الى الاثر البالغ والاهمية الكبرى اللذين تسديها دولة قوية اجنبية الى الامة التي تسعى لتحقيق وحدتها ؟ أليس في ذلك عبرة واضحة تكاد تصبح لشدة وضوحها قانوناً طبيعياً يفسر نشوء الاتحادات القومية كالاتحاد الالماني او الايطالي او غيرهما من الاتحادات ؟ ولماذا نخرج نحن العرب عن هذه القاعدة ونتخوف كثيراً من الاعتماد على دولة كبرى تدعم رغبتنا في تحقيق الوحدة بالتشجيع الادبي والسياسي وبالمؤازرة المادية ؟

***

١ – اما الفئة الثانية – ونحن من مؤيديها – فانها تتفق كل الاتفاق مع الفئة الاولى من حيث المبدأ القائل بان في الاتحاد قوة . بل ربما تذهب ابعد من ذلك فترى ان لا قوة للعرب ولا كرامة بغير الوحدة .

٢ – ثم انها تدرك ان الوحدة العربية لا تتحقق بمعجزة سماوية ولا بعصا سحرية ،وانما لا بد لها من مراحل ووسائل تراعي امكانيات الواقع .

اما ان يتهم بعضهم هذه الفئة بالمثالية والخيالية المعرقلين من حيث النتيجة للوحدة لمجرد انها تتحفظ في قبول منطق « الاتحاديين بأي ثمن » فأمر لا نرى ما يبرره سوى احد شيئين :

اما جموح واندفاع في الايمان بالاتحاد وفي الدفاع عنه ، الى حد لا يستطيع معه المتهمون ان يجدوا منطقاً سليماً غير منطقهم .

واما انصياع واندفاع مع فئات حاكمة تريد ان تجعل من الاتحاد اسماً بلا مسمى ، وان يكون « كالبو » للتمويه والالهاء ، وبذلك تمتص المطالبة الشعبية بتحقيق الوحدة او الاتحاد .

٣ – والفئة الثانية تعترف كذلك بأن الاتحاد سبيل للوحدة او مرحلة من مراحلها ، ولكن شريطة ان يتم بشكل تكون فيه الفوائد اكثر من الاضرار ، ويكون الربح اكثر من الخسارة . وفي هذه النقطة بالذات تتضارب الآراء وتكثر الاجتهادات . ولا يتسع المجال في هذا المقال لان نفصل في نوع الاتحاد الذي تكون فوائده – اذا تم – اكثر من اضراره .

البقية على الصفحة ٦٢

اغنية الى «زيتون»

[«اخي العزيز ... تركتُ الجزائر منذ شهر ، وها انا اكتب اليك من باريس، مدينة النور والديجور والفجور . سبق ان اخبرتك عن استشهاد اخي« زيتون» الفتى ، او زيتونة الوادي كما تسميه أمي. لقد رجم الفرنسيون قبر ابيه بالقنابل في هجوم عام على قريتنا . كانت رفيقتي الفرنسية الشابة احدى المشيعات في حفلة الدفن . فاين أنت من فاجعتي ? اين انت من وفاء هذه الاجنبية، اين انت من زيتون? ا.ع]

ركزنا البنادق فوق الرمال
ورحنا نغيّبُ في الارض حفره
وملنا الى الشمس كي لا تغيب
ليلقي سناها لآخر مره
وأبطأت السحب المسرعات
وألقين فوق الثرى شبه نظره
وسرنا نحدق مستشرفين
اعالي الذرى، ماوراء المجره
وكدنا نجمّد ضوءَ النجوم
نكلل من جمّد الضوء قبره
ومن خلفنا جثمت امه
تعانق صدره
وتلثم ثغره
وتنهض مفزعة ، كي تعود
تسيل على اللحد في كل ذره
أيصلب في كل يوم مسيح
لتحيا الى ابد الدهر فكره ?
... واحسستُ وقع خطاك البطاء
ترنّ على الارض في كل نبره
تقولين « يا أم من تندبين
ومن تبتغين ، ومن تطلبين ?
دعيه وحيداً بلا شاهد
ستكتشف الريح في الليل سره»
فمن رغوات الصباح الجميل
سيُسرج « زيتون » بيضَ الخيول
ليسرح بين ظلال النخيل
ويلعب فوق نهود التلول
وزيتون ... زنبقة من لهيب
واسطورة في حديث الصغار
سيروون « كان صبياً غريب
وقد خطفته سُعالى القفار »
لنا الفجرُ ، والامل المستطاب
نكابد مره
ونربح مره .
وحين اهلنا عليه التراب
ولفع ليل الضحايا مقره
رأينا الى شعلة تستحيل
على كل جرح عصبناه جمره
.. وحين اطل الظلام العميق
ورصع في هيكل الليل دره
درجنا نكفكف من دمعنا
ونمسح عن مقلة القلب حسره
ولوّحت لي : « كل يوم شهيد
فهلا تركت لآخر قطره ? »
همست ، فاينع شيء نضير
ولاحت على جبهة الافق خضره
فأومأت لي « أيجيء الربيع
اتزهر بذره
اتورق زهرة ?
— : اجل ، وستسطع شمس الشعوب
كعينيك — من كوة مستسره
ستحيين حره
ستحيين حره
فالقاك تحت سماء الخيال
تلوحين ، غب رحيلي، فكره
والقاك اغنية للصحاب
ستبقى على شفتي مستمره

بغداد **كاظم جواد**

رسالة من جندي فرنسي في الجزائر إلى أمه في مرسيليا

بقلم عبد الله يونس

أمي :

هل شممت رائحة الدم ؟ ربما ، ولكن ليس بهذه الغزارة التي نعرفهـــا هنا . إن منظر الدم عندكم شيء مرعب ، ولكنه هنا شيء عـــادي تماماً ولازم تماماً .. كموسيقى النانغو الحالمة التي تنبعث باستمرار من مقهى مسيو (لانسيه) البحري !

لا تزال نقاط صغيرة من الدم .. جافة ، تبدو في يدي ، أبداً تتشبث بتلك الخطوط الغائرة في راحتي .. وتحت أظافري تظهر كذلك نقـــاط حمراء .. صغيرة وقذرة !

لقد غمست يدي في تلك الدماء التي كانت تنبع بغزارة من تلك البقعة الغائرة في فخذي .. غمستها مرات .. لا ادري كم .. مرات عديدة ، وفي كل مرة كنت احس شيئاً طرياً وحاراً .. وفي كل مرة كنت اقرب يدي من انفي اشمها .. لا ادري لماذا كان يستحيل الى رطوبة تامة هذا الأحمر اللزج ! وفي كل مرة كنت العق قليلاً من على يدي ، لأحس هذا الشيء المالح يقرص حلقي ويزرع الظمأ في قلبي !

لقد فرحت ، فرحت عندما غمست أصابعي بدمـــاء جرحي .. فرحت لرؤية الدم .. ولأول مرة افرح لرؤية الدم منـــذ قدومي الجزائر ... أتعرفين لماذا ؟

لا اعرف كم من سرير في هذه القاعة الكبيرة..أسرة كثيرة وجرحى كثر .هناك سريران خاليان ، ولكن من الممكن ان يشغلا في ايةلحظة.. غير ان الشيء الهام هو انني لا اعرف احداً هنا .. معظمهم جـــاؤوا من الشمال. وفي نهاية القاعة سرير يشغله جريح قيل لي انه من مرسيليا..ولكن حتى هذا لا اعرفه ايضاً ! ولكني اتساءل احياناً .. هل من الواجب ان اعرف كل شخص من مرسيليا؟انه تماماً كهؤلاء الذين جاؤوا من الشمال.. لا يربطني بهم غير هذه الزمالة ، مجرد جنود ، جنود فرنسيين ! ورغم تلك الاسرة الكثيرة التي تملأ القاعة ، والجنود الكثر الذين يملأون الثكنات ، فأنا أحس الضياع هنا يجتاحني بقسوة ..كل ذلك لا يمكن ان يقمع شعور الغربة في دمائي ، هذه الغربة الموحشة ، في هذا البلد الأجنبي .

لا ادري لماذا تركت مرسيليا،او حتى لماذا اصبحت جندياً ! لكي تأكلني هذه الغربة ، هذا الضياع القاتم؟.. انت لا تحسين في مرسيليا ما احسههنا، كيف يتقلص العالم بسرعة أمامي ، فأغمض عيني كي لا اتابع قساوة المنظر ، وعندما افتحهما من جديد، أفتحهما لأدرك ان العالم قد ذهب بعيداً ..كلؤلؤة حلوة تسقط من بين اصابعي ، وتغور في خليج الجـــزائر .. الأزرق .. العميق .. تغور إلى الابد !

هكذا ارى عالمي يبتلعه هذا الخليج الأزرق..العميق،دون انيكون باستطاعتي ان اعمل شيئاً لانقاذه .. او حتى للحاق به ! وأقف وحيداً ، بلا عالم.. بلا كيان او مصير ، يملأني الخواء ، والفزع ، لن أحيا بعد ذلك؟ إن كل شيء يمكن ان احيا له .. ذهب بعيداً ، بعيداً الى القاع !

لا يمكنني ان احبس دموعي بعد ، ولهذا ابكي بحرقة .. بحرقة طفل شاهد لعبته الوحيدة تتحطم تحت عجلات قطار .. إن الدموع تتساقط..ليس من عيني فحسب، بل من كل بقعة في جسدي تتساقط الدموع يا امي ..دون ان يكون باستطاعتي إيقافها . انت لا تحبين الدموع،وخاصة (انها لاتليق برجل) كما كنت تقولين دائماً ، وانا ايضاً .. انا ايضاً كنت اكره البكاء ؛ ألا تذكرين عندما تركت مرسيليا الى هنا، قلت لك عشية ذلك اليوم:

– انا لا اريد دموعاً .. فقط ودّعيني بابتسامة !

ولكني مع ذلك ابكي الآن .. ليس بامكانك ان تمنعي هذه الدموع من السقوط ، انها الشيء الوحيد الذي املكه اليوم .. بعد ان ذهب كل شيء ! هذه الدموع (انها لا تليق برجل) ، انها تعني الضعف والتخاذل ولكنهم – هنا – يمتصون باستمرار كل عرق دافيء فيّ .. كل عرق دافيء يمتصونه باسم فرنسا ، ليكن ذلك ، لتأخذ فرنسا كل عروقي الدافئة .. انا لن يبقى لي بعد ذلك إلا الدموع !

ولكن لماذا ارسلوني الى هنا ، الكي يبتاعوا بدمائي الجزائر ؟!بدمائي وبعالمي الذي يغور الى القاع؟اجل يا امي هذا هو ثمن الجزائر اليوم، كثير من الدماء، وكثير من العوالم التي تغور الى القاع ! ولكن لماذا ..لماذا.. انا لا ادري ، هل هي قضية فرنسا ؟ ولكنها ليست قضيتي تماماً ، انني احس بعمق ان قضيتي هناك في مرسيليا .. حيث اعيش كانسان يملأ شوارعهـــا وشطآنها ، واترك لانسان آخر ، انسان الجزائر ، ان يمـــلأ شواطيء الجزائر وشوارعها . كنت اعتقد ان هذه هي تضحية يجب ان نقدمهاالبوم لينعم بسلامها ابناؤنا غداً،ولكننا نذوب هنا جميعاً ، وننحدر بقوة دون ان نخلف وراءنا شيئاً .. ابناء مثلاً ! وحتى لو وجد هنالك ابناء فلن يكون بامكانهم ان يستمتعوا بهذا السلام الزائف! انهم سيعملون من جديدللمحافظة عليه ، سيظلون يعملون باستمرار لشراء الجزائر، ان عملية الشراء هذهعملية مستمرة ابداً .. ودوماًترافقها نفس الاشياء ... نفس الدماء الكثيرة .. ونفس العوالم الغارقة !

ان شواطيء مرسيليا رحبة ، وجميلة .. وانا يمكنني ان اعيش عليها بسلام ، ولكنهم يصرون على أن آتي الى هنا ... الى هذه الشواطيء التي تغص ابداً بجنود فرنسيين .. وبأسلحة فرنسية ! هذه الشواطـــيء لا يمكن ان يفكر فيها الانسان الا بالموت.. نحن نخلي شواطيء مرسيليا ونأتي لنتراكم هنا .. فنختنق الحياة هنا وهناك !

لو اننا تزوجنا – سيمون وانا ... كنت اريد اطفالا كثيرين ، قدر ما تستطيع سيمون انجابه .. ودائماً كنت اتصور كيف كنا سنجلس جميعاً على الرمال في الصيف نبني قباباً من الرمل ، هذه القباب الرمليـــة ، لا ادري لماذا افكر بها كلما تصورت طفلاً على شاطيء ، ولكن ستظل ذكرى هذه القباب الرملية التي لم تتحققستظل تحمل شيئاً مراً ... شيئاً يمض قلبي بحرقة !

انا لم ادهش كثيراً لنبأ هروب سيمون ، لا ادري لماذا ؟! ولكنني منذ الفترة التي بدأت اؤمن فيها بأنهم اتوا بي جوراً الى هنا .. منذ هـذه

الفترة ، وانا انتظر في كل رسالة ان اسمع ان سيمون قد هربت . لقد بدأت اؤمن بانني كنت اودها ان تهرب ، بل كنت اضرع لذلك .. ان تهرب الى باريس، الى اي مكان اخر ، لتنقذ جزءاً من تلك الآمال التي كنا نضعها معاً ونخبئها بحنان ، لقد اخذتها معها بعيداً ، ولئن عاشتهـا بمفردها ، او تركت فيها انساناً اخر ، فهي لا يمكن ان تستحق اللوم بحال . لقد شاهدت العالم يتقلص ليذهب بعيداً والى الابد، فكان ان تركت كل شيء ، لتلحق بالعالم . انها لم تغمض عينيها كي لا تتابع قساوة المنظر .تماماً كما فعلت .ولكنها ذهبت..ذهبت كي لا تحس تلك الغربة التي احس.

ليست سيمون خائنة .. ولكن كل ما في الامر انني جبـان ! كان بامكاني ان اذهب ، ان افر ، ان الحق بالعالم كما فعلت هي ، ولكنني لم افعل .. لم افعل .. اتدرين لماذا ؟ انهم لم يتركوا فيّ - يا ام- جـزءاً يستطيع المقاومة .

كلما ذكرت سيمون الآن ، تقفز الى مخيلتي صور كثيرة .. كشراء الجزائر مثلاً .. تلك الدماء .. والعوالم .. والقاع ، اتذكرين كل ذلك؟ هكذا تبدو سيمون اليوم بالنسبة اليّ ، لقد كانت هي .. والاطفـال الكثيرون .. والقباب الرملية التي احبها .. كانوا جميعاً جزءاً آخر مـن ثمن الجزائر .. هذا الثمن الباهظ !

لا .. لا تزمي ما بين حاجبيك ، وتشهقي بخيبة امل : لقد خـان قضية فرنسا !

ان كل قطرة دم تنزف مني تجف بسرعة لتقربني من الموت ، بيـنما اولئك الجزائريون يبذلون دماءهم في كل مرة .. في كل مـرة دون ان يخافوا الموت .. اتعرفين لماذا ؟ لان هذه الدماء التي يبذلونها لن تجـف ابداً .. انها تزهر باستمرار .. ولهذا هم لا يخشون الموت .

هكذا اقيس المشكلة ! واشعر اين يمكن لدمائي ان تزهر ايضاً ، وهناك تقبع قضيتي .

اتذكرين الحرب الاخيرة ، انا لا ازال اذكرها ، تماماً عندمـا سقطت باريس جاء مسيو لينوار ينعي اليك والدي، لقد كنت يومئذ مـا ازال صغيراً ، وسمعت كل شيء ، وذهب مسيو لينوار ، وبكيت انـت بحرقة ، وقلت لي بصوت تخنقه الدموع :

- الا تبكي يا بول .. لقد ذهب والدك الى الابد ..

ولكنني لم ابك ! كنت اشعر على الرغم من صغري .. ان هذه الدماء لا يمكن الا ان تزهر .. وهذه كانت قضيتي !

انني اذكر هنا جاك دونفيل .. دائماً اذكره كلما احسست ان هذه ليست قضيتي . انه جندي باريسي ، عرفته بمقتضى مهمتنا ، فقد كنا نقوم بالحراسة معاً ، وفي بعض الاحيان كنا نقوم بدورية صغيرة في المدينـة . كان دائماً يهذي بشيء من هذا القبيل ، ويلعن نفسه كثيراً لانتسابـه الى سلك الجندية ، كان دائم التذمر .. دائم الهزء بهذه القضية الشوهاء ! ربما كان يخوض نفس المعركة التي اخوضها الآن ، ربما كان يريد هو الاخر اللحاق بذلك العالم المتقلص .. لقد لحق به هو ايضاً..تماماً كما فعلت سيمون.

كنا نقوم - انا وجاك - باحدى الدوريات الصغيرة ، كان يتكـلم باستمرار وبدون انقطاع ، وكان باستطاعتي ان الحظ انه يتألم ، ولكن لم اكن اتصور مطلقاً ان يقدم على امر كهذا !

كنا قد بلغنا خارج المدينة ، وكان علينا ان نقوم بدورة حولها مـن الخارج نصل بعدها الى الثكنة .. وازداد صوته توتراً ، واخـذ يصر باسنانه على الكلمات ، وبدأ يترنح بعصبية ويرتجف .. كانت تلك هـي المرة الثالثة التي تصيبه فيها مثل هذه النوبة ، واخذ يهذي بكلام مختلط « لا .. لا يمكن ان يستمر ذلك يا بول .. يجب ان اذهب .. يجب ان اعود .. انا لن ادفن بهذه الارض الغريبة » كان دائماً يخاف ان يموت ويدفن في هذه الارض الغريبة ! ولا ادري كيف حولت بصري عنـه كان يبدو انه قد بدأ يهدأ .. وفي لحظة تعالى بجانبي صوت طلقتين !

كانت فوهة البندقية منغرزة في فخذه ، والدماء قد بدأت تتدفـق . وقبضت على البندقية والقيت بها بعيداً وانا اصرخ من وقع المفاجأة دون ان ادري ما اقول . واطبق بيده على الجرح .. والدماء تسيل من بين اصابعه .

وعندما تكلم ثانية كان يملأ صوته الارتياح : - كنت مضطـراً لأن افعل ذلك .. يجب ان اذهب .. ان اذهب بأي وسيلة ..

وعلقت بندقيته في كتفي ، وبقضت على ذراعه ، واخذ يسير متكئاً علي باحدى يديه ، ويده الأخرى تقبض على الجرح الذي كـنت قد احكمت حوله شد حزامي منعاً للنزيف .

وجعلت طريقنا عبر المدينة. لم نصادف احداً من الجنود اثناء الطريق، فقط ثلاثة لمحتهم ينحدرون في طريق جانبي . كنا نسير قليلاً ونتوقف لحظة يلتقط خلالها انفاسه ، وفي احدى هذه الوقفات اخذ ينظر اليّ .. كنت احس نظراته القوية رغم ذلك الظلام الذي كان قد بدأ ينشره المغيب . ولمحت في عينيه شيئاً لاهباً .. وبدأ يتكلم :

- بول .. انت لا يمكن ان تقول لهم شيئاً في الثكنة .. ها ?

ولم أقل شيئاً .وشعرت بيده الأخرى تقبض على كتفي وتهزني باستجداء:

- بول .. لا .. لا يمكن ان .. لا يمكن ..

واخذت اهدئه : - كلا .. كلا يا عزيزي ، لا يمكن ذلك مطلقاً .

- هل تقسم ?

وفوجئت بذلك ! ونظرت الى عينيه من جديد ، كان فيهما توسل اليم : توسل أحسسته يلفحني ، وقلت :

- ولكنهم سوف يسألوننا على كل حال .. حقاً ، انا لا ادري ماذا اقول لهم .

- مجرد اشتباك مع بعض المواطنين ، هذا كل ما في الامر .

وظهر لي الامر معقولاً .. لم يكن من الممكن ان اقـول لا .. وهكذا اقسمت .

وعندما بلغنا الثكنة ، اخذوا جاك للمعالجة. وقمت انا بتبليغ الحادث.ولم يظهر على احد اي علامة للريبة ، رغم توقفي عدة مرات لاضطراري الى اختلاق حواش لازمة للأمر ، ولكن في الحقيقة ، لم يكن مـن الممكن ان يفكر احد بغير هذا في مثل هذه الظروف.

ومكث جاك اسبوعين في المستشفى ، كنت اتردد عليه خلالها كلمـا سنحت لي الفرصة . وفي المرة الاولى جلست على طرف السرير ، وامسك جاك بيدي يضغط عليها بضعف وفي عينيه امتنان عميق . ولمع في عينيه شيء ربما كان دموعاً .. لا ادري .. لأنني خفضت بصري في اللحظة التالية !

ونزعوا له الرصاصتين من فخذه ، ولكن الجرح ظل يتآكل .. (مما قد يستدعي بتر ساقه بكاملها) .. هكذا قال لي الطبيب المختص . وخلال الفترة التالية شغلنا ببعض العمليات التفتيشية في بعض المناطق الجبلية ، وعندما عدت ، ذهبت الى المستشفى لزيارته ولكنني لم اجده ، وقيل لي انه أرسل الى باريس حيث سيظل بعض الوقت في المستشفى هناك .

وبعد مدة جاءتني رسالة منه ، لقد بتروا ساقه في المستشفى في باريس ،

الى الدم العربي ..

اهو عطر ام دم · انه يبتسم
يا جراحاً للعلى تنتقم
يا رحيقاً يا ندى يابلسم
يا لهيباً يتلظى أنفاً يا حمم
ياعذارى ذاك عرس مشرق لا مأتم
إسمعي كيف يضج الشمم
هب من غفوته المعتصم
انه لن يستبـــاح الحرم
والردى من كل قيد ارحم
لهف نفسي والمنايا تزحم
كم شهيد وشهيد منكم
يا حماة القيد سقياً لكم

يا أحبائي بروحي انتم
ثورة الحق شعـــاع ودم

***

دربنـــا نوّر فيه الالم
وحنايانـــا عليه حوّم
هذه ثاراتنـــا تضطرم
ثورة الحق شعاع ودم
إشربي من نورهـــا يا انجم
امة ثائرة بل امم
ارتفـــع يا علم
وانطلق يا نغم

دمشق — **عزيزة هارون**

ولكنني كنت أحس فرحته رغم ذلك.. فرحته بحياته التي طالما ارادها من قبل.

لا ادري حقاً لماذا رويت لك هذه الحادثة ! ربما لأبرر شيئاً ، ولكن مهما يكن هذا الشيء فهو ليس هذا الجرح الذي ربما قفز الى مخيلتك الآن والذي يتآكل رغم ذلك في فخذي ايضاً .

لقد اصبت اثناء اشتباك في احد المعاقل الجبلية ، ولكن من العجيب ان اكون قد أصبت في فخذي ايضاً !

واثناء العودة الى المدينة ، كنت اتمدد في احدى السيارات ويدي على فخذي اتحسس الدم النازف ، وفي مخيلتي يتراقص شيئان : جاك دونفيل .. وعيون [illegible] لاطفال جزائريين تبرق في الظلام !

ولكن .. انت لا تعرفين قصة هؤلاء الاطفال الجزائريين .

كانوا ربعة او خمسة . وفي كل مرة اقوم فيها بالحراسة خارج الثكنة ، كنت أرا[illegible]ون على بعد قليل ينظرون باعجاب الى الجنود اثناء قيامهم ببعض التمر[illegible] . في المرات الاولى كنت انتهرهم ، فيركضون الى مسافة أبعد حيث يتوقفون هناك ويتابعون فرجتهم اللذيذة. لا إذكر انني انتهرتهم مرة ثم تراكضوا دون ان يقفوا ثانية على ذلك البعد المتزايد.

ومرة انقطعوا عن المجيء بضعة ايام. فكنت اشعر وانا اقوم بالحراسة بفقدان شيء ... لو انهم يأتون اليوم .. هكذا كنت احس بين فترة واخرى ! لقد اعتدت ان انظر اليهم يمدون عيونهم الصغيرة التي تريد ان تخترق الحواجز لترى كل شيء عجيب، كما اعتدت ان انتهرهم فيتراكضون الى مركزهم الآخر . كنت بحاجة ماسة كي انتهر شيئاً ما .. طفلا مثلا. طفلاً يريد التطلع الى عمليات التمرين ، ويرنو إلي في كل لحظة متوقعاً سماع صوتي يعلو كي يطلق ساقيه للريح. وعندما عادوا في المرة الثانية كانوا ثلاثة فقط ، لقد استطعت ان احفظ وجوههم تماماً ، ولهذا كان باستطاعتي ان اتعرف على الأول سريعاً ، اما الآخران فكانا يأتيان هنـــا لأول مرة. ولهذا كان يتقدمهما وفي عينيه ثقة من يعرف كل شيء ، ومن الراجح انه كان قد اطلعهما على كل تفاصيل العملية ، فقد وقفوا في المكان المعتاد ، وكان بامكاني ان ألحظ استعدادهم التام للركض في كل لحظة وعنـــد اول صوت . ولكنني لم اطلق ابداً هذا الصوت !

لا ادري لماذا لم يكن باستطاعتي انتهارهم من جديد ... مع ان ذلك يكمل العملية المعتادة تماماً .. ربما كنت اخشى ان يـــذهبوا .. دون ان يعودوا ابداً .

وابتسمت .. وحاولت ان تكون ابتسامة عريضة مطمئنة ايضـــاً . واستطعت ان الحظ ان ذلك قد فاجأهم ، وادرت ظهري وعدت الى السير من جديد . وعندما رجعت الى نفس النقطة الاولى ، كانت المفاجأة هذه

المرة من نصيبي .

كانوا قد اقتربوا بضع خطوات ايضاً .. وكان الثلاثة يبتسمون ! فابتسمت بدوري ، وعدت الى السير من جديد .

لم أكن اتصور ان انال ثقتهم بهذه السهولة ، ولكن تلك الخطوات القليلة التي اجتازوها الى الامام ، ثم تلك الابتسامات الثلاث .. كل هذا جعلني اشعر ان عملية نيل الثقة لم تكن ابداً من طرف واحد .. لقد كانوا هم انفسهم يحاولون ذلك ايضاً. واحسست في هذه اللحظة اننا متفاهمون تماماً .. انا وتلك العيون البراقة التي تتفرج .. والافواه الصغيرة التي تبتسم .

كان ما يزال علي ان اسير طويلاً حتى الظهر ، حيث اتخلى بعد ذلك عن الحراسة لجندي آخر . ان عملية الحراسة هذه سهلة كثيراً ومضجرة كثيراً في وقت معاً .. تصوري هذا السير المتواصل جيئة وذهاباً على خط واحد مرسوم .. كم تبعث الكآبة في نفسي .. ثم هذا المقعد الخشبي الصغير الذي اجلس عليه بين فترة واخرى ، كلما احسست التعب من السير ، ولكنني قليلاً ما اجلس ! وفي المرات القليلة الآتية ، كنت سريعاً ما اغرق في نوم كان باستطاعته ان يسبب لي الكثير من اللوم . وقطعت المسافة جيئة وذهاباً ، وتعمدت خلال ذلك ان اتجاهل تلك العيون الست المعلقة فيّ باستمرار .. وفي المرة الاخيرة جلست ومددت رجلي بتراخ ، واغمضت عيني نصف اغماضة مسنداً البندقية الى جانب المقعد ... وخلال اللحظات القليلة الاتية ، كنت اتابع بعيني نصف المغمضتين الاقدام الصغيرة الحافية التي بدأت تزحف نحوي .. وفي لحظة كان الثلاثة يحيطون بي .. واخذ الاول يهزني من ذراعي وهو يضحك بصوت مسموع ، ناظراً الى رفيقيه نظرات ذات معنى .. كان يجهد ليري رفيقيه الجديدين اننا متعارفان ومتفاهمان تمام التفاهم ، وانه على ثقة تامة من تلك الصداقة الصامتة في الوقت الذي كان رفيقاه يتحفزان فيه للهرب عند اقل حركة تصدر مني. وكانت فرصتي الوحيدة لاكسب ثقتهم !

قد تضحكين الآن وتتساءلين لماذا ابدي هذا الاهتمام بمجرد اطفال كهؤلاء ؟!

انا لا ادري ذلك بوضوح تام كي اشرحه ، ولكن .. ربما لانهم يحملون على جباههم بضع حبات من الرمل .. هذا الرمل الذي يمكن ان يصبح قباباً حلوة تصنعها ايد صغيرة ! وربما لانني اود ان ادخل شيئاً ما جديداً على عالمي هذا الجاف المحدد الذي يتقلص في بندقية ابداً تحفر في كتفي .. وفي خطوات متواصلة مملة على خط واحد مرسوم .

وفتحت عيني وابتسمت .. كنت اعرف ان هذا هو ما يريده تماماً . وبسرعة كان يحتل جزءا من المقعد الخشبي بجانبي ، ملوحاً بقدمين لا تبلغان الارض !

ومد يده الى صدري ، واخذ يعبث بأزرار بذلتي الصفراء المذهبة ، بينما كان الآخران قد تقدما - بعد ان زال عنهما كل شعور بالاستغراب - واخذا يمران بأصابعهما على طرف البندقية باعجاب .

وسألت الاول عن اسمه ، فاخذ يضحك بخبث وبصوت مسموع .. لقد اضحكته تلك الكلمات الفرنسية التي لم يفهمها !

وكان الآخران - على ما يبدو - مصممين على المضي في مداعبة البندقية باعجاب ، وكانت البندقية محشوة ، ولهذا كان من الممكن ان تنطلق في اية لحظة .. وتناولتها مبعداً اياها الى كتفي وعدت الى السير من جديد .

وفي اليوم التالي كنت اقوم بالحراسة ، وكنت اتابع سيري كالمعتاد عندما احسست بأيد تتكمش فيّ من الخلف .. انها ايد صغيرة .. لقد استطعت ان اشعر بذلك ، وعندما استدرت.. كانوا ثلاثتهم .. وكل منهم يحمل في احدى يديه ثلاث حبات من البلح الاسود الناضج قدموها الي في وقت واحد .

لا ادري كنه هذا الاحساس الذي اعتراني في تلك اللحظة .. كنت احس بفرح طاغ .. وكنت اريد ان ابكي .. ان ابكي بغزارة ... كان شيئاً مفاجئاً لي تماماً .. انا لم يكن بامكاني ابداً ان اطور شعور الصداقة بيننا الى هذا الحد !

تصوري كيف عجزت تلك الثكنات الفرنسية الكثيرة .. وتلك الدبابات الثقيلة المتوحشة . كيف عجزت عن ان تقتلع من هذه الهياكل الصغيرة احساسها الفطري بانسانيتها ..

هذه الحبات من البلح الاسود الناضج سوف تعيش في مخيلتي الى الابد، سوف تعيش مع اولئك الاطفال الكثيرين على شواطيء مرسيليا ، ومع القباب الرملية الحلوة .. ومع كل الاشياء العزيزة التي احبها .. ولكنها ستظل الشيء الوحيد الذي كلما ذكرته.. احسست بشيء قارس (يحرحر) انفي . وامتلأت عيناي بالدموع ! وكان علي ان اقوم بعمل مماثل ، ان اقدم شيئاً ما مقابل ذلك ..وفي اليوم التالي كنت قد تمكنت من توفير ثلاث قطع متوسطة من الخبز .. وكان يغمرني شعور عميق بالارتياح بينما عيناي تتابعان الافواه الثلاثة وهي تقضم الخبز بلذة !

وفي احدى الامسيات ، كنت برفقة جندي آخر نعبر احد شوارع الجزائر ، كان لدينا ثلاث ساعات يمكننا ان نقضيها كيف نشاء ... لا ادري ماذا يسمي ضابطي الفرنسي هذه الساعات الثلاث.. هل هي إجازة.. أم ساعات فراغ .. أم وقت للراحة ؟!. مهما يكن ، فنحن هنا لا نمنح مثل هذه الساعات الا في القليل .

كنا نقصد حانة من تلك الحانات الاوروبية .. ولكن حتى في وقت اللهو ، لا يمكننا هنا ان نتخلى عن تلك البندقية اللعينة التي تحفر في كتفي باستمرار . وقضينا هناك ساعتين في شرب متصل .. كان كل شيء في الحانة يبعث على الضيق ، وكل ما يمكن ان يطمع فيه جنود مثلنا ينحصر في تلك الكؤوس المتلاحقة التي تشعرني بالظمأ ، وبلحظات قليلة مع امرأة مجهولة تهب تلك اللذة المضنية.. ليجدوا انفسهم من جديد يعبرون الشارع بخطوات متثاقلة في طريق العودة !

وهكذا وجدنا نفسينا في الطريق.. من جديد . كان النور ينبعث من تلك المصابيح المعلقة ، وينتشر في الشارع باهتاً كئيباً يبعث في نفسي الوحشة .. وعبر الشارع اثنان من الجزائريين ، وكانا يرتديان ذلك اللباس الابيض الطويل ، ان له هنا في الجزائر اسماً خاصاً ، وان كنت لا اعرف ما هو .. هذا اللباس الابيض الطويل ربما كان افضل من تلك البزة التي تغلفني باحكام .. وربما ، فانا لم البسه من قبل ابداً .

ومن زقاق طويل ينفتح على الشارع ، برز رجل آخر ! كان يرتدي نفس اللباس الابيض الطويل ، وكان يتطلع باهتمام كأنه يبحث عن شيء. وعلا بكاء طفل من نافذة ما ، وادرت وجهي افتش عن هذه النافذة التي ينبعث منها الصوت .. كنت ابحث عن اي شيء تافه يمكن ان ينسيني كل ما حولي . وكان ذلك الرجل الذي خرج من الزقاق قد اصبح بمحاذاتنا

... لا اعلم اي شيء كان يدور بذهن رفيقي عن هذا الجزائـــري ، ولكن من المؤكد انه كان يختلف تماماً عما كان يجول بذهني ! ورأيت رفيقي يمسك ببندقيته ويهوي بعقبها على كتف الجزائري ، وتراجـــع الاخير مبهوتاً الى جانب الشارع .. وسرنا خطوات قليلة .. وصـــرخ رفيقي فجأة ، كان حجر كبير قد اصابه في مؤخرة رأسه .. وبدأ الدم يسيل .. والتفتنا الى الخلف .. كان ذلك القميص الابيض يركض بسرعة ويغيب في ذلك الزقاق الطويل .. لم يكن هناك مجال لعمل شيء آخر .. واندفعنا وراءه .

وبدأت اطلق النار . كان الزقاق طويلا .. والقميص الابيض الطويل يستمر في الركض ، ولكن كنت واثقاً من انه سوف يتوقف اخيراً . فتلك الازقة الجزائرية الطويلة دائماً تنغلق في النهاية !

وكان رفيقي يركض بجانبي ، لم يكن بأمكانه ان يستعمل بندقيته .. اذ كانت يده الاخرى تضغط بمنديل على رأسه المشجوج . وعلت صرخة فعلمت انه اصيب ، ولن يكون بمقدوره ان يستمر ، وفي احـــدى المعطفات اختفى ذلك القميص الابيض الذي يركض ... ولم اعـــد ارى شيئاً - من المؤكد انه قد دخل واحداً من هذه البيوت القريبـــة .. لم يكن من الممكن ان اتردد .. ودخلنا البيت الاول .. البيت الوحيد الذي لم يكن مقفل الباب .

كان صحن الدار يغرق في ظلام راعش .. فشـــعرت بانكماش ، وبشيء كئيب يلفني .. وقصدت الغرفة الوحيدة التي ينبعث منها الضوء ورفيقي من ورائي ، ودفعت الباب بعنف .. ولم افاجأ عند رؤيته .. كأنني كنت اعرف انه هنا .. كان ممدداً على وجهه في وسط الغرفة .. بقميصه الابيض الطويل .. والدماء تتدفق من ظهره ! وعند رأسه جلست امرأة كان في يدها خرقة ملوثة بالدم .. وانتصبت واقفة عندما دخلنا .

كنت اريد ان افعل شيئاً ، اجل .. لماذا جئت إذن .. ولمـــاذا ركضت خلال ذلك الزقاق الطويل المظلم ؟.

ولكن هذا المعنى .. هذا المعنى في عيني تلك المرأة .. استطاع ان يشعرني انني اعجز من ان افعل شيئاً .. ولا ادري كيف تلاشت بسرعة جميع الاسباب التي كانت تحملني منذ لحظة اركض خلال ذلك الزقاق .. والتي كانت تبرر وجودي في الجزائر ،وفي هذه الغرفة بالذات من الجزائر!

وانتظرت من رفيقي ان يقوم بعمل ما .. ان يقول شيئاً .. ولكنه لم يفعل ... وربما كان ينتظر مني هو ايضاً عمل شيء ، لم يكن بامكاني ان استدير لاواجهه ، وظللت اسمع تنفسه السريع المتقطع من ورائي ... واخذ النور الباهت يرتجف ، وحولت بصري الى المصباح الصغير الذي كان يقبع في احدى الزوايا ، وبجانب ذبالة المصباح الراجفة كانت تلمع عيون اربع لطفلين كادا يلتصقان رعباً بالجدار ! وخرجت بسرعـــة .. وعرفت من وقع حذائه انه يتبعني .. وغرقنا من جديد في ظلام الزقاق وبدأنا نسير في صمت .

كان شيء كالحسرة قد بدأ يأكلني .. يأكلني باستمرار .. لم يكن من الممكن ان ابعد ابداً تلك العيون .. تلك العيون الاربع التـــي تلتمع من الخوف .. كانت تقف امامي بصمـــود ، ولكنها لم تكن تقف وحدها .. ابداً لم تكن تقف وحدها يا امي ، كانت مع ايـــد صغيرة ثلاث تحمل حبات من البلح الاسود.. وثلاثة افواه تقضم الخبز بلذة!

لقد احسست في تلك الساعة انني خنت كل شيء .. كل يد صغيرة تحمل البلح..وكل فم صغير يقضم الخبز . وتصورت- يا امي - كل اطفال مرسيليا الذين يمكن ان يزينوا شواطئها بثيابهم الرملية الحلوة .. تصورتهم جميعاً يلتصقون رعباً بجدار ما وعيونهم الصغيرة تلتمع على ضوء ذبالة راجفة !

ولأول مرة احس بعمق.. إن هذه العيون المتعمة بانكسار على ضوء ذبالة شاحبة .. هذه العيون .. انها بحاجة الى السلام .. بحاجة الى ..

- ألا ترى انه كان علينا ان نقبض عليه ؟

وانتزعني فجأة من عالمي هذا ، وقلت :

- ماذا ؟.. أما رأيت ؟.. انه يموت..

ولم يتكلم .. كان قد اقتنع بذلك على ما يظهر !

ولكن .. ابداً يا امي .. ابداً ليس لانه يموت أنا لم اقبض عليه .. هذا القميص الابيض الطويل الذي ينبثق الدم من ظهره .. لا .. ليس لذلك .. ليس لذلك !

لم يعد بامكاني ان احتمل رؤية تلك الظهور العارية السمراء تدمى من الضرب ، او اتابع منظر هؤلاء الاعراب وهم يهتزون بشدة .. تحت وطأة التيار الكهربائي !.. لقد سئمت كل ذلك .. سئمت كل ذلك يا امي .

واثناء عودتي الى المدينة إثر اشتباك في احد المعاقل الجبلية ، كنت اتمدد في احدى السيارات ، ويدي على فخذي .. اتحسس الدم النازف ، وفي مخيلتي يبرق شيئان : جاك دونفيل .. وعيون جزائرية صغيرة تبرق في الظلام .. ولاجل هذه العيون .. لاجل هذه العيون يا امي فرحت يومها لرؤية الدم .. ولأول مرة افرح لرؤيتي الدم .. منذ قدومي الجزائر!

كنت اود أن أكتب اليك لأخبرك إنني سأكون في مرسيليـــا خلال الاسابيع الثلاثة القادمة.. ولكن لا أدري لماذا حكيت لك كل هذا.. حقاً ، لا ادري لماذا !.. ربما لأن هذا الذي سوف يصل مرسيليا خلال الاسابيع الثلاثة القادمة .. ربما كان ينغرس تحت ابطـــه .. عكاز يقرع الارض برنة موحشة .. وعندها لن أقول لك : « انا لا أحب الدموع .. فقط استقبليني بابتسامة ! » .. لا .. لن اقول لك ذلك .. قد أكون انا بحاجة إلى الدموع .. الدموع التي احبها الآن !

ولدك : بول

طرطوس عبدالله يونس

رجال الفكر في المانيا

قبل اواخر القرن التاسع عشر، لم تكن صناعة القلم حرفة في المانيا. ذلك لان الشعب الالماني لم يكن يأخذ احداً بعين الجد الا اذا كان ذا منصب، او رتبة، او لقب. ولعل السبب في ذلك يعود الى تأثير الفكرة اللوثرية القائلة بان على المرء ان يكون ذا رسالة في الحياة. او لعل السبب يعود الى أن الوطن الالماني خلا آنئذ من عاصمة كبرى واحدة يحتشد فيها عدد وافر من القراء. فكان على الاديب ان يسعى للفوز برعاية امير ما من امراء الولايات الالمانية.

وكانت مهنة التدريس ارفع المهن مكانة عند الناس. ومن الادلة على ذلك اعتبار المدرس حاملا لرتبة كولونيل في الجيش الامبراطوري. ناهيك بما كان له من نفوذ بعيد واثر فعال في حياة البلاد. فهو الذي حمل لواء النهضة الفكرية في اواخر القرن الثامن عشر، كما تشهد اعمال كانت وهيغل وشلنغ وفخته. والمعروف عن شوبنهور ولودويغ وفورباخ انهم كانوا يشعرون بمرارة الحرمان من لقب «استاذ». ولطالما حاولوا الفوز به فلم يحالفهم النجاح.

على ان مهنة التدريس قد انحطت قليلاً في السنوات الاخيرة. وذلك لان العهد الهتلري لم يعزز من جهته هذه المهنة، ولان العهد الحالي من جهته ايضاً قد «امرك» المجتمع الالماني. وبالرغم من هذا كله، نجد الرأي العام الالماني، حتى في عام ١٩٥٤، ما يزال مجمعاً على اعتبار الاستاذ في الجامعة اعلى مكانة من سواه.

ويعتقد الاستاذ الالماني ان مهمته الاشتغال بالنظريات. فهو لذلك لا يتدخل في السياسة. اما اذا دعته الدولة الى مؤازرتها في مهمة ما، انصرف الى تلبية الدعوة على انها فرض وواجب. ولا فارق لديه بين مهمة واخرى، اذ يعتبر تنفيذها واجباً منه ازاء السلطة. فلا تتجاوز مسؤوليته فيه الناحية التقنية منها.

ولقد عرفت ثورة ١٨٤٨ بثورة المفكرين. ففي ذلك الحين كان بين اعضاء المجلس الوطني في فرانكفورت عدد من الاساتذة لا يقل عن الثلاثمئة. ومع ذلك فقد اخفقت الثورة، فاضعف اخفاقها مكانة «الاساتذة» عند الشعب وعند انفسهم فلم تعد القضية التي تواجههم هي كيف ينبغي تنظيم المجتمع، بل بالحري كيف حققت المانيا ذلك القدر من النجاح. وهكذا انتصر هيغل على كانت، وبسمارك على هيغل.

وفي هذه الاثناء كان الاديب الذي انصرف الى الكتابة على هواه، قد بدأ يظهر الى حيز الوجود. فالقلق الذي ساد اوروبا في ركاب الفتوحات النابوليونية، اتاح له فرصة ابراز اهميته في معالجة الاحداث وتوجيه الرأي العام. وقد لمع في هذه الحقبة عدد من الكتاب اخصهم بالذكر هاينريش هاين.

وكان بسمارك يعطف على الادباء والمفكرين، ولكن حكومته لم ترفع من شأنهم كطبقة. فقد ظلوا تائهين تتنازعهم مختلف العقائد والتيارات الحزبية، منها الكاثوليكية والديمقراطية الاجتماعية والماركسية.

وما كادت الحرب العالمية الاولى تذر قرنها حتى رأينا المفكرين يتناسون تهجمهم وتهكمهم على الدولة وينصرفون بكل قواهم الى تأييدها وشد ازرها، سواء عن طريق السيف او عن طريق القلم. ولكنها ما وضعت اوزارها حتى اخذوا يتسابقون الى ملء الفراغ الذي احدثه ضياع السلطة. ولم يلبث ان فاز المحافظون منهم على المتطرفين، فاذا بالجنرال هندنبرغ يقبض على ناصية الحكم ليعيد الى البلاد الاستقرار والامن. فكان من نتائج ذلك ان ذهبت نخبة بارزة من رجال الفكر الالماني ضحية تهوسها وتطفلها على الاشتراك في الحكم، وهو امر ليس من اختصاصها في شيء.

وعلى الرغم من ذلك كله، فلم تعد الظروف التي احاطت بالشعب الالماني، بل باوروبا والعالم، في اعقاب الحرب العالمية الاولى لتسمح للمفكرين وحملة الاقلام بالانكماش والانعزال. فقد اصبح عليها واجب ابداء الرأي في المشاكل الوطنية والدولية، وفي مستقبل الحضارة، وفي الحرب التي انتهت والتي ستبدأ من جديد. حتى ان الحكومات المتعاقبة بعد الحرب لم تجد بداً من الاعتراف رسمياً بصناعة القلم، فانشأت وزارة المعارف الالمانية «اكاديمية الكتاب». غير ان الكتاب لم ينظروا الى هذه الرابطة بعين الجد. فقد كانت في اعتقادهم تقليداً سطحياً للاكاديمية الفرنسية، اي لا هدف لها ولا غاية.

وعلى العموم، فقد كانت جمهورية وايمار بابلا جديدة لمختلف الاصوات.. اصوات متشائمة تنذر بانهيار المدنية، وبوقوع ازمة، وبالخراب المحتم. فالمستقبل لم يعد، في نظر رجال الفكر، يستحق اي اهتمام. وكل شيء ككل شيء آخر. فما نفع المفاضلة بين قانون وقانون، او عمل وعمل

او حتى رأي ورأي . فكانت الحرية مطلقة لا حد لها . ولكن على حين غرة ، لم يعد من حرية على الاطلاق ..

وكان المفكرون الالمان ينقسمون الى فئتين : فئة اخذت بالوطنية الجامحة ، واخرى دانت بالكوزموبولية المتصفة بالسطحية ان لم يكن بكره البلاد واحتقارها . على ان هذا الانقسام الى فئتين لم يكن حاسماً ، اذ ظلت هنالك فئة معتدلة ثالثة .

هذه الفئة الثالثة حملت لواء الفكرة الجرمانية الصافية ودعت الى الحد من «الاستغراب» اي من الذوبان في الغرب او الوقوع تحت تأثيره . ويعود منشأ هذه الحركة بصورة منظمة الى سنة ١٨١٠ حين اسس البارون فون ارنيم « الطاولة المسيحية المستديرة » وحرم عضويتها على اليهود والفرنسيين واصدقاء الثقافة الفرنسية ولا يزال الصراع قائماً حتى اليوم بين اصحاب الفكرة الجرمانية الصافية وبين الداعين الى «الاستغراب» واعتبار الفكر الالماني جزءاً من الفكر الاوروبي العام .

ولقد ساد الاعتقاد بان الفترة اللاحقة لنهاية الحرب العالمية الثانية ستكون شبيهة بالفترة اللاحقة لنهاية الحرب العالمية الاولى . غير ان هذا الاعتقاد لم تثبت صحته الحوادث ، اذ رأينا المانيا الغربية تتكون سريعاً فتصبح بلداً مزدهراً يعج بالحركة .

هذا التكون المفاجيء لالمانيا الغربية حمل معه تكوناً جديداً لوضع المفكرين . فعلى الرغم من اننا لا نزال نسمع بعض التذمر من ان الكاتب لا يحتل مكانة محترمة ، فاننا من جهة اخرى نجد الكاتب الالماني دائم النشاط : مؤتمرات تعقد هنا وهناك ، ومدارس صيفية يدعى للمحاضرة فيها ، ومجلات دعاوة يطلب منه الاشتراك باعدادها وتنفيذها ، ومشاريع تقوم بها اليونيسكو ووظائف ثقافية في السلك الديبلوماسي مفتوحة امامه ، وبعثات ثقافية تنفق عليها اميركا ، ومحطات الراديو وسوق الكلام يتزاحم عليها المستهلكون . وهكذا نجد الكاتب الالماني في بحبوحة يحقق معها الحلم الذي يراود كل انسان : الزواج باكراً ، وتأثيث منزل ، واقتناء سيارة ، والعيش كما يعيش سائر الناس . فاذا كان موهوباً وبارعاً ، استطاع ان يكتب قصة يستهوي موضوعها الجماهير فيعم انتشارها وقد تجد طريقها الى السينما .

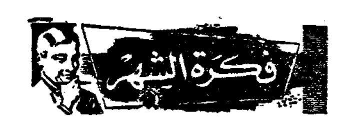
واذا كانت الاكثرية تكتب وعيونها على الجماهير ، فما زال هنالك اقليه تتمسك بالحقيقة . هي اقلية وقراؤها قليلون ، ذلك ان قراء الادب الرفيع هم في طريقهم الى الانقراض .

وحيث لا سوق لشبنجلر مثلاً ، فمن المحال ان يظهر في عالم الوجود . ان المنادين بالويل والثبور هم اليوم صامتون . وكذلك الدعاة الى «ثورة محافظة» او خصومهم اصحاب المبادىء اليسارية حتى الصراع بين النزعتين الشهيرتين : الاستغراب ، والحفاظ على الفكرة الالمانية الصافية ، قد زال اثره او كاد . فالاستغراب على ما يظهر قد انتصر .

اما السياسة فلم تعد محور الاهتمام . وفكرة « الفن لاجل الفن » قد عادت ، على ما يبدو ، الى الظهور . وعودتها هذه دليل على استقرار المجتمع الالماني .

على أن هذه الحالة الطبيعية قد تخدعنا . فالمانيا تعاني مشاكل اساسية لا يمكن للفكر الالماني ان يتجاهلها . او لم يعودنا الالمان توقع المفاجأة والمبادرة الغريبتين ؟ ومن يدري ، فلعلنا ، في هذه المرة ايضاً ، لن ننتظر طويلاً * ...

* مقتبس من مقال لفولو مان في مجلة « انكاونتر » الانكليزية - ١٩٥٥



مشكلة الكتابة العربية

•

من اعصى المشاكل التي يصطدم بها الناشئة العرب وعمال المطابع والمثقفون بشكل عام مشكلة الحروف العربية الكثيرة الاشكال المتنوعة الصور حسب ترتيبها بين حروف الكلمة او حسب رغبة الكاتب وهواه، حتى لقد كان لبعض الحروف العربية اكثر من سبع صور مختلفة ،مع العلم باننا لم ندخل في حسابنا مسألة الشكل والضوابط كالفتحة والضمة والكسرة والفتحتين والضمتين والكسرتين والشدة مع كل منها ثم المدة وهمزة الوصل وهمزة القطع مما يجعل الكتابة والقراءة وصف الحروف باللغة العربية اموراً لا يقدر عليها الا من قضى من عمره وقتاً طويلاً في التمرن عليها وحل طلاسمها .

وقد كان طبيعياً ان يتحسس بعض مفكرينا هذه المشكلة فيحاول حلها. فمن هؤلاء من رأى وبكل بساطة ان الحروف اللاتينية تحل لنا المشكلة ونسي احد عشر حرفاً عربياً ليس لها نظير في الحروف اللاتينية كما استهان بالهزة العنيفة التي ستقلب اكثر المثقفين الى اميين بين عشية وضحاها .

واقترح البعض الآخر استعمال الحرف(ا) بدلاً من الفتحة والحرف (و) بدلاً من الضمة والحرف (ي) بدلاً من الكسرة والحرف (ن) بدلاً من التنوين ولكن انصار هذا الرأي الذي يبدو واقعياً للوهلة الاولى لم يجدوا طريقة لتجنب الالتباس سوى القرينة التي اذا جاز لنا الاعتماد عليها لم نكن بحاجة الى الشكل والضوابط اصلاً .

وقدم غيرهم غير هذا الحل ولكن في كل مرة كان هناك من يتصدى لتفنيد الاقتراح المقدم لا لأن طريقة الكتابة الحالية كاملة وصالحة بل لان الاقتراح المقدم ليس كذلك .

ويجدر بالملاحظ في هذا المجال ان التغيير المنشود والاصلاح الواجب ايقاعه على اسلوب الكتابة العربية لا يمكن ان يوضع موضع التنفيذ وان يقبل دليه الجميع الا اذا كان يحل جميع المشاكل او معظمها فنحن لا نريد تبديل المشكلة للاستعاضة عنها بمشكلة اخرى قد تكون اشد منها تعقيداً او على الاقل ليست اسهل منها كثيراً .

لهذا ولخطورة هذه القضية الحيوية رأيت اثارتها على صفحات «الآداب» غير طامع بحلها الحل النهائي فاذا استطعت ان اجعل منها موضوعاً للمناقشة والمساجلة بين الادباء والكتاب اكون قد نجحت الى ابعد حدود النجاح لاسيما وان حل مثل هذه المشكلة المتشابكة والمتعددة الجوانب والمناحي لا يكون الا بتحديد وجه المشكلة ثم تقديم الاقتراحات لحلها ، فتمحيص هذه الاقتراحات وتقويمها تقويماً نزيهاً مجرداً ،ولعل تزاوج الأفكار وتكاملها سيؤدي بنا الى النتيجة التي نصبو اليها .

وكنقطة للبدء اتقدم بهذا الاقتراح ذي النقاط الثلاث الذي استقيته من مطالعاتي وتفكيري :

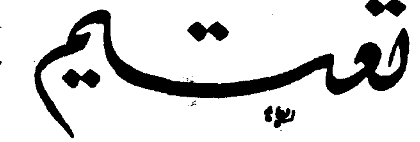
١ – تكرار الحرف المشدد فتكتب « المعلم » هكذا « المعللم » بتسكين اللام الاولى وكسر الثانية

٢ – التفريق بين الكتابة اليدوية وبين الطباعة فتقوم الاخيرة باعتماد الحروف المنفصلة وبذلك تطبع جملة : « بلاد العرب للعرب » هكذا « بـلـاد الـعـرب لـلـعـرب » ويعلم الاطفال الكتابة بهذا الاسلوب ثم ينتقلون فيما بعد الى ربط الحروف كما هي الحال في اللغات اللاتينية وطباعتها .

٣ – استحداث ثلاثة حروف جديدة يدل احدها على الفتحة ومكرره على تنوين الفتح ويدل الآخر على الضمة ومكرره على تنوين الضم ويدل الاخير على الكسرة ومكرره على تنوين الكسر فان دل الحرف A على الفتحة والحرف O على الضمة والحرف E على الكسرة نكتب جملة « ان الحديقة جميلة » هكذا : EI ئن AOO Al لحA ديقA ةA جA ميلA ةOO »

وانبه هنا الى اني لا اقصد الى استعمال هذه الحروف الافرنجية الثلاثة ولم اذكرها في معرض التمثيل الا لتوفرها ضمن مجموعة حروف مطبعة « الآداب » واذا ووفق على الفكرة فلن يصعب استحداث هذه الاحرف الثلاثة. بقيت نقطة اخرى وهي ان البعض سيعترض على صعوبة القراءة البطيئة واطمئن هذا البعض الى ان المران مدة بسيطة كفيل بالتغلب على هذه الصعوبة التي يلاقيها القارىء في باديء الامر .

الحصن – الاردن **فهد الفانك**



تعتيم

•

حين يذرّ النور
– يلقي به التنّور –
عن وجهكِ الظلماءْ
ويهمس الديجور
آهاته السمراء
على محياكِ ،
تهجس عيناكِ
بكل حزن الدهور
وكل اعيادها :
افراح ميلادها
وغمغمات النذور
وزهرها والخمور !

•

النور والظلماء
اسطورة منحوتة في الصخورْ :
كم ذاد ، بالنارِ ،
من اسدٍ ضاري
وكم اخاف النمور ،
إنسانُ تلك العصور ،
بالنور والنارِ !
فأطفئي مصباحنا ، أطفئيهْ
ولنطفيء التنور
وندفن الخبز فيه ،
كي لا تعيد الصخور
اسطورةً للنار ، ظلت تدور
حتى غدا اولُ ما فيها
آخر ما فينا – وليل القبور
اولُ ما فيها –..
ولنبق في الديجور
كي لا ترانا نمور
تجوس في الظلماءْ
لترجم الاحياء
– من غابةٍ في السماء –
بالصخر والنارِ
وتستبيحَ القبور !

بغداد **بدر شاكر السياب**

« جوني هو الفتى الحبيب » تلك هي الأغنية المفضلة في كافيه رابيل ، تحبها اريكا ، وتحبها مونكا ، ولورا ومارتا ، وكل فتيات كافيه رابيـــل ، وقد تليها اسطوانة المانية ، واخرى فرنسية ، او اميركية عن رعاة البقر ، ثم تعود الأسطوانة المفضلة .

النغم صاف شائق عذب ، والجهاز كهربائي حديث ، والسكون كامـل شامل في كافيه رابيل ، لا ضجة ولا ضوضاء ، كل الزبائن قراء جادّون في القراءة ، يقرأون صحفاً بمختلف اللغات ، ومجلات وكتباً شتى ، بل ان منهم من يكتب ايضاً ، وقد تجد تلميذاً يدرس ، ذلك لأن السكون شامل لا يعكره الا صوت الجهاز الكهربائي الحديث الذي يردد بين الفينة والفينة « جوني هو الفتى الحبيب . »

المقصف ان صح ان نطلق عليه هذا الاسم ، اممي ، يقصده السواح والزوار والاجانب من ابناء الامم المختلفة ، واغلب القاصدين من الباحثين عن اللذة الجسدية العابرة ، الجاهزة المستعجلة ، ذات القيمة الثـابتة ، والمصدر المأمون العواقب .

ان اسعار سويعات الفتيات في كافيه رابيل غير خاضعة لأسعار البورصة ، ولا لمجرى التغيرات الاقتصادية في العالم . فهي لا تخضع للسوق العامة ولا تتبع مجراها .

والطريق الى المقصف سهل مطروق معروف ، وما على من اضـاع السبيـــل الا ان يلتجيء الى الشرطي ، فيرشده بكل ادب واحترام الى سواء السبيل .



رن صـــوت بول روبسن الشجي الشاكي ، فماتت ضحكة في حلق حسناء ، وتطلعت الاعين النجل الى اجنبي انيق اللباس رشيق الخطى ، وما ان يشت من لفت نظره حتى عادت الى ما كانت فيه . اعين لا تقرأ ، واخرى تبتسم لهذا وذاك ، او ترقب الحاضرين اللاهين بالقراءة والمطالعة . وســاد سكون ، وعادت شقراء لم تتخط الخامسة والعشرين بوجنتين قد زادتا احمراراً ، وعينين قد خمد بريقها ، فترنحت نحو الجهاز ، والقت في ثقبـــه شلناً ، فعادت النغمة « جوني هو الفتى الحبيب . »

وثار نقاش بين جندي بريطاني ورجل نمساوي :

-- أتعرف ايها الجندي ما يقول النمسويون لكم ؟ « اذهبوا الى اوطانكم ايها الجنود . »

-- اننا ذاهبون حتماً ، فعلام التعجيل ايها السيد ؟

-- لقد تخلت بريطانيا عن اسرائيل بعد ان كونت دولة وسط اقطار معادية ، فلم فعلت ذلك ؟

-- لا اعرف شيئاً عن السياسة ايها السيـــد ، ولست مسؤولاً عما تفعله بريطانيا . اذا اردت ان تشاركني في كأس من الشراب فهلم ، واعفني من غير ذلك .

وتقارعت الكؤوس وخمد الجدال وعاد السكون شاملاً كما كان .

وتطلعت الأعين النجل كرة اخرى في طارق جديد ، ثم ظهر اليأس فيها لما ايقنت ان الداخل من المواطنين ، وخرجت الشقراء مرة اخرى مع محب جديد ، فشيعتها الاعين النجل بغيرة وحسد ، وتمتمت تونيـــا في اذن لورا « ترى كيف نستطيع العيش ، ومارتا تصد كل الزبائن عنا ؟ »

-- ليس في استطاعتنا ان نلومها ، خير لنا ان نلعب الورق .

وخرج الجهاز من صمته هذه المرة بشلن خرج من جيب اجنبي ، وشذ النغم عن القاعدة ، وعاد الاجنبي الى محله قرب اللاعبين ، ودمدمت تونيا تشارك الجهاز « ثلاثة دراهم في الينبوع »

وقاطعها الاجنبي :

-- اتشاركانني في اللعب ؟ ما طريقتكما في هذا اللعب ؟

-- إنها طريقة هنغارية ايها السيد .

-- الطريقة هنغارية ، ولن تستطيع مجاراتنا بها ايها السيد .

-- وهل انت هنغارية ؟

-- لست الا نمساوية ، ولكن ابي من هنغاريا . ان الفيينوي غير خال من دماء هنغارية او جيكية ، فاعلم ذلك ايها السيد ... وانت ؟ هـل انت اميركي ؟

-- لا . انني انكليزي .

-- اووه .

وبان جلياً في اللفظة الخارجة من الشفاه الاربع الكثير من خيبة الامل . وادرك ذلك السيد الانكليزي ، واراد ان يحسن رأيهما فيه ، او في ابناء قومه فقال :

-- اقترح ان ادعوكما الى كأسين من الشراب ، فـماذا تقولان ، وما الذي تفضلان ؟

فاجابت الايطالية :

-- نفضـــل ان تصطحب احدانا الى الاوتيل المجاور ، والسعر مائة شلن ، فذلـك اجدى ، والا فلك ان تدعو لنا بكأسين من الكنياك .

-- الحقيقة اني لا اكره هذه الدعوة ، ولكنني لست لها اليوم ، وعلى كل حال فها كما المائة شلن ولنتحدث قليـــلاً ، ولست اشتري بذلك ولا دقيقة من وقتكما الثمين .

وضجتا مسرورتين . وقالت تونيا :

-- سيد كريم ، ولا شك ، هل تتكرم بالانتقال الى مائدتنا ، ولكن بم تريد ان نتحدث ؟ ابالفلسفة ام بالعلوم ام السياسة ؟ مقدماً اقول لك ايها السيد اني اكره السياسة .

- ولست احبها كذلك ... اظن ان القادم عربي ، انه اسمر كما يبدو لي ، ترى ما الذي يحب في رابيل ؟

فاجابت النمسوية مقهقهة :

انه يحب مارتا ايضاً ، وحتى العميان . ترى ماذا يرى منها ... ان الشيطانة تعرف كيف ترضيه . لقد اتى للتداوي فسقط في مارتا ، كما يسقط فيها الآخرون . وانت ايها السيد ؟ الم تقع في مارتا بعد ؟

-- اتعنين ذات الشعر التبني والعينين السوداوين ؟

-- ها انت ذا تعرفها ... انت ايضاً : شيء جميل .

-- لقد عرفتها من كثرة الخاطبين ، واني لافضل عليها تلك الصغيرة ذات العينين الزرقاوين ، تلك الرشيقة ذات الوجنات الملتهبة .

– ذوقك غريب ايها السيد ، ان الفنبوية لا تحب الوجـــه الحمر ، فالفلاحات هن المحمرات الوجوه .

وعقبت الايطالية تقول :

– بل ان تلك الرشيقة المنزوية هي اجملنا جميعاً ، ولكنها سيئة الحظ .

وعاد الجهاز يغني « جوني هو الفتى الحبيب » فقال الانكليزي :

– يظهر ان جوني هو حبيب الجميع هنا .

وعقبت الايطالية :

– كان حبيبي اميركياً ، سارجنت ، واسمه جوني ، لقد خاف لي طفلاً ومضى . لقد ذهب مع ذهاب الحرب ، ان الحرب تخلف اطفالاً وتقتـــل آخرين ، وليس حظ المتخلفين باحسن من حظ الذاهبين ... يا . يا ... تلك هي الدنيا .

واقتحم وقار المكان شبان يكتسون جلوداً لماعة سوداء ، بينهم فتاة عليها ما عليهم ... راكبو الدراجات البخارية او المتدحرجات كما يسميها النمسويون بحق . وتدحرج الفرسان البخاريون الى اسفل المكان ، وملأوا القاعة ضجيجاً وهم يطلبون شراباً ، وحتى هؤلاء لم يلهوا المطالعين عن المطالعة ، فلم يرفع اليهم احد عينا عن كتاب او مجلة او جريـــدة ، لا استاذاً ملتحياً رفع نظارتيه قليلاً وحدج الفاتحين شزراً ثم عاد الى كتابه .

واحتضن الفارسة فارسان ، وتحرش فارس صغير بالحسناء الصغـــيرة متأخرة الذكر ، فاقبلت هذه اليهم وشاركتهم على مضض من الفارســـة المكتسية جلداً لماعاً ، وبدأ العداء جلياً بين الفارستين ، الفارسة البخارية ، وفارسة الفرسان ، وتسابقتا الى ارضاء الشبان الفرسان كفرسي رهان . ورأت الدخيلة ان الفريسة تتودد الى الشاب الصغير الذي تحرش بها ، وكان اجل رفاقه ، فما كان منها الا ان اقتعدت ركبتيه واحاطت عنقه بساعديها ، فهتف لها الفرسان معجبين مشجعين .

وارتفعت الاعين هذه المرة الى قادم جديد ، وكان رشيقاً جميلاً وقوراً ، وتقدم من احد المشاجب ذات القرون ، فعلق معطفه بقرن والقى بقبعته على آخر ، ثم اقتعد مجلساً قريباً من حلقة من الحســـان ، وجالت عيناه الجميلتان في الاوجه حتى استقرت على واحد ، ووصوصت رفيقة لذات الوجه المرموق « انه ينظر اليك ، مـــا اجمله » فوصوصت المخاطبة مجيبة « وماذا افعل بكل جماله ؟ انه يكتفي بالنظر ، انه ممن يحبون الرائحة وحسب ، لا ادري ماذا يريد مني ، في امكانه ان يدفع المائة شلن وينتهي مني .. سأدير له ظهري »

– لعله مدله بحبك ؟

– وما يجديني هذا الحب ؟ اترينه يريد ان يتزوجني ؟

وضج سرب بالضحك ، ويظهر ان الرجل موضع الحديث سمع شيئاً من الحوار فابتسم .

وعادت مارتا من شوط جديد ، فمدت لها احداهن يدهـــا وقالت آمرة :

– خمسة شلنات للجهاز .

– ولماذا خمسة ؟

– ان الدخل يتناسب مع الضريبة ، هيا ادفعي .

ودفعت راضية .

ونادت النادل حسناء سمراء من الوزن الثقيل ، تمرية الشعر ، خمرية الوجنات . فاقبل رشيقاً بلباس السهرة الذي كان يجعل منه اوجه من في المقصف منظراً ، وسألته مشيرة الى امرأة قد انفردت بجليس :

– هل لك يا مركوس ان تخبرني لم تحب تلك المصون ان تغازل حبيبها على ملأ منا وفي هذا المكان بالذات ؟

فابتسم ماركوس واجاب :

– لعل في هذا المحل من الامور الرومانتيكية ما لا تجده في آخر ، ام لعلها تحب القتال ؟

– اذن فاطلب منها ان تصطحبني الى الاوتيل المعروف وسأريها من الرومانتيكيات ما لم تحلم به كل حياتها .

وضج السرب بالضحك ، ثم هدأ الا واحدة ظلت تضحك وتضحك ، حتى نبهت الجالسين اليها جميعاً ، فرفعوا ابصارهم مستطلعين ، واخذت رفيقة لها كانت ملتصقة بها تهزها برفق وتربت على وجنتيها بلطف تطلب منها العودة الى السكون ، ولكنها استمرت كجرس كهربائي اصيب بخلل ، ولم تجد الرفيقة مناصاً لاسكاتها الا ان احتضنت رأسها والقت بفمها على الفم الوردي الضاحك فارتشفت ضحكتها ارتشافاً .

وابتسم السيد الانكليزي مسروراً وقال :

– انها نشوى .

– فقالت لورا : « الحمقاء انها نشوى كما ترى لانهـــا تحب ، انها ما زالت صغيرة ، ستكبر وتتحنك عندما يموت قلبها كما ماتت قلوب الاخريات . »

وتنهدت تونيا وقالت : « اتسمح لنا ايها السيد الانكليزي بالخروج الى الشارع ، فالصيد في الشارع اسهل ، وما نرجو من هؤلاء الاموات ؟ »

ومرت الايطالية وهي في طريقها بالجهاز والقت شلناً فيه فضج صارخاً « جوني هو الفتى الحبيب . »

فينا

ذوالنون ايوب

عطاء

انت معطاء ... ولكن خفف الاغداق عني
إنما يرهقني غمر العطاء
ان بعض الجود ظلم وتجني
وقيود وديون وعناء
ان بعض الجود استار كثيفه
اسدلت تحجب عن اعيننا كنز الضياء
وخبايا الانفس السود العنيفه
ان بعض الجود زلفى ورياء

***

انت ان اعطيتني ما اتمنى
تحرم القلب افانين التمني
وبماذا اتغنى
ان انا نلت المحال ؟
وبه كل افتتاني والتغني
وله ابني محاريب الخيال
وله ابدعت عرشاً من ضياء
وفراشاً من ورود وحرير
وله استوحيت الحان السماء
وفدى الوقدة في لفح الهجير
الف نعمى واحة فينانة الظل نديه
سوّرتها ربقة الايدي السخيه
بسياج
ذهبي القفل ماسي الرتاج

***

وردة الحب الرهيفه
انما يتلفها فيض المياه
فاسقها من رائق المزن رذاذات خفيفه
ان توخيت لها طيب الحياه
انت ان اغرقت زهري وورودي
بالعطاء
كل هذا الجود من حريتي
كل هذا العطر من قدسيتي
فاذا راعاك كفري وجحودي
فلقد ارديت فيّ الكبرياء

***

واذا هلّ بنعماه السحاب
فوق عشي
وافضت الوابل الثر الغزير
فوق صرحي الآمن الحر القرير
لم اعد املك عرشي
فامتلاكي الزهر وهم وسراب
ينعم الزهر بسقياك لان الزهر ملكك
وتنجي الروح في اليم ليحوى الروح فلكك
وقفت مزهوة ازهار نعماك بدربي
وبنت من عطرها الفاغم سجناً حول قلبي
ابداً ترمقني أعينها الصفر الدخيله
آه ، كم تطمس اطياف الجميل المرسماها الجميله !

***

انت ان احببتني لفت على روحي السعاده
وتوشحت بها من كل غم
فاجعل الرفد حبيبات الندى
وهنيهات النعم
واهوني ما شئت احلاماً ووجداً والم
انما اياك ... لا تغدق سدى
فوق تمثال الهوى سفر العباده
فانا اهوى بيَ الانسان لا اهوى الصنم
فليكن حبك لي حب الطلى للآنيه
وهوى العشب لغمر الساقيه
وحناناً وهناء
وسماحاً ووفاء
انما لا تتوله
فأنا قد اتأله

سلمى الخضراء الجيوسي

افتعال المأساة !

بقلم محيي الدين محمد

تقف الرواية الروسية موقفاً مفتعلاً في تقرير ما هو قضية بالنسبة للانسان ؛ فهي ترغمه ، وهو لا يزال عبداً ، على منازلة ما هو واقع خارجي ، مفترضة ان المعركة ليست الا الصراع ضد الاشياء .. ليست إلا برنامجاً مقرراً ومهذباً ضد فجاجة الاشياء .. مهتمة بتطوير ما هو بربري الى ما هو منقح ، وصالح للبشر ..

ان الرجال ينتقلون من مرحلة الاقنان الساكنين ، بطفرة سريعة الى مرحلة الاقنان المكافحين – فهم يصبحون نفس المجموعة التي تكرع أشنع الفودكا ، وتسبّ بأفحش السباب ، وهي خلة من خلال الروسي الصميم ... انهم يراوغون السلطات ، ويقسمون برأسي القيصر ثم الجمهورية ولا يحبون ما هو غير روسي .. وبالنهاية يصبحون ما كانوا ، ما كان (موجيكا) قذراً .. يصبح (موجيكا) نظيفاً ، كما انتقل الريفي الاميركي من أذرعة الثور الى عجلات الجرار الفورد ، ومن كوخ حقير على هضبة الى جوسق رائع فوق طريق ساحر ، ولكنه ظل في نفس وعي اجداده طبقة « الكاو بوي » ، فاذا كان الاميركي خالقاً لمأساة بينه وبين ما هو عالم خارجي فانه لا يتخذ من صراعه مبدأ ونظاماً ، وهنا مأساته الاشد قتامة ، فحين لا يمكن المبدأ ان يشغله وان يسيره ، بضمان قوته وراحته ، فهو يبتكر سباق الضفادع ، متخطياً (روما) المبتذلة ، ويرقص « السوينغ » و « المامبو » ، مشوها كلاسية (ماهلر) بايقاع (جرشوين) المتشنج ، ورسوخ (فورتفنجلر[1]) بسخف (إكساڤيار كوجات[2]) عازفاً عن كل ما هو عقلي وعميق ، راضياً عن البذاءة والسطحية ، وكل ما هو غير ناضج وسخيف ..

ان تحطيم اليورانيوم ، واستحداث الماء الثقيل ، ونشر الاوتوماشين على اوسع نطاق ، ليس هدفاً للبشرية ينبغي التوصل له اولاً ، وعدم اسقاطه ؛ اذ ما كان في البدء طريقاً تجتازه الرجال يصبح الان ، وبقانون ، آخر ما يصل اليه الادراك البشري من (يوتوبيا) صالحة للتطبيق ..

ان ما كان تجربة حدثت في صحارى مصر ، وفارس ، والصين ، وفلسطين ، وبلاد العرب ، ما كان تجربة يشترك فيها الآن ملايين البشر من كل جنس ، يطبق الآن ، بصورة علمية في اوسع اقطار الارض واغناها ...

تشق التربة وتكشط غابات الصنوبر ، وتحول الانهار وتصبح النساء طبيبات ، وينظم العمل بصورة سهلة ورائعة ، وما كان يستثمر ويسرق بواسطة أشباه الالهة ، اصبح يوزع بنظام على البشر .. بنظام وصدق .

ولم يفلح العلم ، ولا الثقافة ، ولا القانون ، في جعل الفرد الروسي يبدأ الكفاح من ذاته ، واعياً مأساته الخاصة ، ووجوده ، خالقاً حريته ومسئوليته ومنظمها .. والقوة التي منحتها تجربة الصحراوات ، للارادة المطلقة ، كعامل خالق ومدبر ومسير للبشر وواضع نظام لا يستطيع انسان ان يخرج عليه ، هذه القوة الميتافيزيقية قد انتقلت الى صميم التجربة الثانية بصورة ارادة غير مطلقة لها نفس حق القوة المطلقة واستحالة معارضتها ، بصورة حكومة ..

وقد اختلفت وضعية الفرد الروسي عن وضعيته اثناء حكم القياصرة ، (فلوباخين) لتشيخوف ، ليس هو نفسه (ليتشنكي) عند سيمونوف ..

فهذا فرد رفض الحتمية الميتافيزيقية [تجربة الصحراوات] وقبل حتمية (الفيزيقيا) . انسان رفض ان يكون نفسه ، ورفض ان يستنبت ما هو حريته الاصيلة ، مفضلاً ان يساق كقطعان الماعز وممتنعاً بكل اباء عن رفض

> « ليست القضية قائمة بين الانسان والعالم الخارجي ، كما تفترض الرواية الروسية ، او بين الانسان والعلم كما يؤكد [البلور المحرق] . ان القضية هي بين الانسان ونفسه ، اولا كحرية ، ثم هي بين الانسان والاخرين معزولاً عن كل تأثير مستا فيزيقي أو علمي ...»
>
> م . م .

[1] قائد موسيقي الماني ، ثابت ، عميق ، مثقف . [2] قائد موسيقي اميركي يصطنع هزات معينة ، وتبدر منه حركات سطحية بقصد اثارة السامعين ...

القيم المسبقة ، وخلق قيم خاصة به وحده . انه انسان ميت ... بالرغم من كل قدراته التي تفوق قدرات البشر الاخرين* ؛فقد جعلوا منه رفشاً ، ذلك الانسان الروح ... ذلك البشري الرائع ، يعدونه منذ البدء كي يسهم بانهاض مزارع الدولة ، وتربية خنازير اشد سمنة من خنازير الدول الاخرى ، وأضحى التعليم ضرورة ، كي تزداد القدرة على تحسين انواع الغلة ، واستنبات ما هو اصلح من اصناف الكرز والتفاح والقطن ، ولكن (ألكسندر فاسيليفتش) لا يتقدم خطوة واحدة ، فبعد ان وسد رأسه خرقاً بالية على ظهر فرن ، اصبح ينام فوق سرير بوسائد حقيقية ، وبقيت القيمة الانسانية معلقة في صلب ارادة البشر ، فما دام الانسان يطلب العيش في رغد ، وان يكن بدون وعي ، وبدون حرية ، فقد مُنحت له رغباته ، وحاجياته ، واقتص له من كل عداواته ، فهو يعيش الان بريئاً كالطفل ، وادعاً كالبقرة ، وإن كان ميتاً كحجر صوان ..

واصبحت المأساة ان يُمنع عنه ما هوضروري من مأكل وملبس . ان المأساة تصبح ان يقذف به في صحراء جليدية . ان يعزل الانسان . ان يصبح وحيداً .. كان هذا هو العقاب الذي تباشره السلطات ، ان تحرم عبداً من حقوقه التي لم تكن بالفعل اكثر حقيقة وتمثلا ...

اصبحت المأساة، لا أن تُنزع عند الفرد حريته ، ويصبح وجوده اسخف من وجود حزمة اعشاب ؛ بل تصبح المأساة ان توضع امكانية نماء وعيه قريبة من التحقق . ففي تلك الصحراء من الجمد الثقيل ، يُترك الانسان لنفسه، منزوعة عنه كل القيم التي كانت في الماضي ترتب له مساره الرتيب، وتهيء ما هو خط مرسوم وواضح له .. فلم يكن غريباً اذن ان تخرج الثورات الروسية من تلك الصحراء .. فارض العزلة تتيح للفرد ان يبدأ التفكير من صلابة الاشياء حتى ذاته .. من صلته الغامقة بالاحجار والعشب ، وبقية مظاهر الطبيعة حتى وعيه العميق ؛ ووضعه في الكون .. (وكانت سيبيريا)هي كل المأساة بالنسبة للفرد الروسي، لانها تؤلف ما للعزلة فيه من تأثير مخيف على الوعي الفارغ، الذي يعطي كل اهتماماته لصلاته بالاشياء والآخرين على مستوى ضحل ومائع : ان يعيش الانسان كسدادة لزجاجة جعة ، يؤدي ما للسدادة من عمل ، ثم هو لا يعرف ان يفعل بعدها شيئاً على الاطلاق ، وهو لا يمكنه بحكم تركيبه الخاص ، ان يساهم في اي عمل آخر؛ فهو مدفوع برغمه ، تحكمه وتصنع له وجدانه واقواله وتصرفاته واختياراته ، قوانين خلقت من قبله ملايين البشر ، وهي تصنعهم في كل يوم،غير معنيّة على الاطلاق بنسخهم المتكررة، والحادثة على مشابهات لا فروق بينها ...

فما يهتم البطل في الرواية الروسية الكلاسيكية والمعاصرة الا بترديد صيحات معينة ،فهو إما ان يكافح في سبيل الآخرين، كابطال (جوركي)برغبة إحلال طبقة معينة موضع طبقة اخرى بطريق ثورة معينة ، وإما ان يقاسي البطل وحده آلاماً بتأثير جراحات داخلية ، امام صلابة العالم الخارجي فتنزف دماؤه في صمت ، وبغير اشراك الآخرين، ثم يموت في هدوء ، كما ينحني شيخ ببسالة ، بعيداً عن نبتة يتعهدها . ثم ينتهي بلا صراخ ...

وكان نضوج (دوستويفسكي) الباطني مؤهلاً له كي يعمق تجاربه الشعورية،وان يلاحظ بدقة مدى ارتطام الوعي بالجفاء الخارجي ، مكوناً ذعر الانسان بما هو ليس ذاته ...

كان يشعر دوماً بان (سعادة تنتظره)[1] فتنتعش روحه، ويسرع يعدو على السلم لاهثاً كي .. ولكنه انتظر بلا امل لانه (لا بد ان في اعماق الامور سراً ... هذه الازمات المفاجئة التي تعصف بهذا القلب الطافح المأ مراً ، لا يمكن ان تكون بلا سبب ...)[2] ان (دوستويفسكي) يرفض القاعدة التي يقبلها من بعده (جوركي)، يرفضها ليثبت نظاماً آخر، يقوم على مسطحات سوداء ومريضة الى حد نسيان الالم نفسه؛ ان عذاب ابطاله يفوق العذاب العادي ، لانه فسيولوجي اولاً ثم هو ميتافيزيقي ثانياً ... وكل الذي يقبله الانسان من عذابات وقتية يدقق بها ذلك المعذب، ويدفنها في صلب أبطاله آلاماً تفوق طاقة البشر،وتؤلف بما لها من قتامة،طابعاًبمفرده من الاحزان ... طابعاً له من السُمك ما يستحيل لبشري ان يتصور مكنة إنسانية تستطيع خزنه في باطنها بدون ان تفكر في الانتحار ...

ان (دوستويفسكي) يخلق من الالم نظاماً جبرياً مطبقاً على البشر برمتهم، ولا يستطيع ان يعتقد بنسبية هذه الحقيقة

* ولذلك سبب : فحين تلغى عن الانسان ذاتيته وكينونته ، فانه يصبح طاقة ، شيئاً يدار كما تتوالد قوى تخلق الدولة المطبقة على حساب فرد . اثنين . ثلاثة .. حتى ٤ مليوناً ..

١ و ٢ نيتوتشكا (دوستويفسكي).

التي ينظر بها لكافة البشر . وان ما يدهشنا حقاً هو ان نجد نقيضاً له في الادب الروسي ، بدون ان نقلب صحيفة في (الانسايكلوبيديا) هو .. (تولستوي) ؛ فقد آمن هذا الانسان بامكان استعمال وسائل معينة لتطبيق الخير الكلي ، وبذلك جعل المأساة : ان تهرب الجموع من السطوة الكنسية. ان تحاول شق طريق لها وسط عشرات الأفكار الرمزية والسخيفة ، والتي تحاول ان تجعل منه انساناً حجراً ... بقصد ان يحيا بشره وفق منهج اخلاقي معين . ثابت . أبدي. ثم هو ضروري ، بلا اختيارات ، بلا مسؤولية تصنع منه — ذلك الانسان الفج — فرداً رائعاً يستطيع ان يعيش بمنجاة عن علة اولى ، وقانون أزلي...، وقد كان انسان (تولستوي) متواكلاً، قدرياً، صالحاً ، يعيش حياة مكتوبة ومرسومة له في التوراة ، بنموذج واضح باهر :

ان يحمل عذابات الآخرين ، وان يموت شهيداً .. كما مات معلمه ..

ورغبة في خدمة (البشرية) فان (تولستوي) يصيّر البشر جمادات ، عازلاً عنهم إرادتهم الخاصة ، وثباتهم الخاص. انه يكدّسهم في (النظام . الطاعة . التعبد ..) ان تولستوي (انا كارنينا) والذي كاد يلمس بصورة شكلية ، نظام العالم الفاسد ، والذي دفع بطلته الى تلك النهاية التي كانت خلاصاً من سلسلة آلام واوصاب هائلة ، وغير محتملة.. ذلك البطل يصبح وشيكاً تولستوي (دينياً ..) ! الانسان الدورق، الانسان الشفاف ، الانسان الذي اصبح (لا انساناً).فهو يموت كي يضع حرفاً من حروف الحقيقة الخالدة، وهو يواجه سيلاً من الاسئلة بتلاوة عبارة من (عظة الجبل) وهي منجزة ومهيأة له كثمرة ..، فاذا استمرت مأساة (تولستوي) في الزمن ، فهي تعيد من غير شك مأساة التجربة الصحراوية ، والتي خلقت لها من العبيد اضعاف أضعاف من نزعت عنهم قيود الجاهلية ، ولقد كانوا احراراً ، بدرجة ضئيلة كان لكل فرد إلهه الخاص ، وكان مستعداً ان يضحي به من اجل وجبة . اما البشر الجدد ، بشر العقائد ، فقد كانوا يقدّمون طعاماً للسباع والفهود ، وكانوا يُصلبون ، ويحرقون في كل مكان ، وما استطاع فرد ان يتخطى ضيق افقه ، فيلقي في نفس اللهيب برقمه المكرر ، وان ينزع عنه نفس الرداء الذي خلق منه شهيداً ..

ان انتفاء الوعي الذاتي عند الفرد يخلق فيه البطل الغيري، الذي يكافح من اجل الاشياء، لوضع قانون معين بدل آخر. ان انساناً بلا وعي قمين بصورة مؤكدة لان يأتي ما من شأنه ان ينزع عنه بشريته ، فهو يقف امام الموت غير هياب، مبتسماً بصورة خلابة ، انه ليس (فلاناً) الذات ، بل هو المسيحي رقم (٥٣١٦٨٠) ! فلو احرق حتى العظام ، لنقص العدد واحداً .. ولبقي النظام !

وكان هذا سبب تلك الكارثة التي عُزيت للاباطرة الرومان ، معذبي الشهداء ! فلو كان الفرد بسبيل حقيقة مرتبطة بذاته ، حقيقة حقة ، اكتشفها وحده ، لاصبح لزاماً عليه ان ينزع جلد البطل ، كي يستعيد جلد الذات، كما وقف (جاليللو)، الذي يرفض الناس منحه لقب بطل، موقفاً رائعاً حين وافق ان يثبت في مقدمة مؤلفه، مقدار ما في حقائقه من (احلام ومجرد تخمينات ...) !

وكان يريد ان يعيش ، لان الحقيقة هي التي كافح من اجلها بنفسه ، لان ما اكتشفه ليس الا نفسه ممتدة في الابعاد الفضائية، ليس الا ذاته فُتحت على ضياء لا بد ان يُفتح يوماً للآخرين ... ان الحقيقة التي اكتشفها ، وان كانت ملكاً للبشر من بعده ، فهي الآن ليست الا حقيقته (كجاليللو) نفسه ، اجتذبها من قلب فراغ الكون ، فاصبحت في كيانه، وتخللت اعصابه ، وألياف بدنه ، ومخ رأسه ..

يجب ان يعيش كي يمنح الاجيال نفسه ، لا ان يموت كما تموت الجرذان ، فتموت معه حقيقته ..، وليس ما يثبت لنا ان موقف (جاليللو) في التاريخ كان موقفاً ذاتياً . رائعاً ونبيلاً.. * الا رفضه لبطولات سقراطية، زائفة ورخيصة.. بعكس مواقف اولئك (الشهداء) والذين اقيمت لهم كل تلك الانصاب والتماثيل، ولا تزال تقام لارواحهم الادعية والصلوات.

ان انسان(تولستوي) مصنوع من الحقائق الجاهزة، فليس اقل من تنحيته جانباً فمغزى الصراع عنده هو نقل القطيع الآدمي ، كما هو ، من احراش البربرية الاولى الى الاستسلام الكامل لنظام الاعتراف، ومحو الخطايا من قداسة وامان. واصبح انساناً (نبياً) يبتهل لله والملائكة ، ونُزعت عنه فروة البطل الانسان، شارب الفودكا، المجدّف والخبيث..

* فتأملوا ... لو مات ذلك الشيخ بتأثير بطولية معينة ، اضطرته لها تلك المصابة ، أكان ممكناً لرقاص (فوكل) أن يثبت دوران الارض برغم معارضات (زوينجل) الحادة ..؟!

فاذا انتقلنا لانسان (جوركي) فهو عامل بسيط وفقير، وما يفكر به ملايين العمال من امثاله يفكر به هو، وقد آمن بمعتقد عام، يجب ان يثور من اجله، وهو امكان انتقال الثروات من قمة الهرم الاقتصادي الى قاعدته، بطريقة مقنعة للملايين الجوعى، الناقمين على كل ثراء.. فبطله انسان يائس من العالم القديم، يصبو للغنى المتوقع، واساس بلائه يكمن في محض وجود الارستقراطية والرأسمال، فهو بطل يحارب المظهر الخارجي، وهو يقنع بسرور ان ينتقل كل البشر الى مرحلة العامل الاميركي مالك السيارة والجرار...

فمأساة بطل (جوركي) لا تختلف عن مأساة بطل (جوجول) الذي يبحث وينقب عن حل معين بدعوى تغيير وضعية الطبقات، بتأثير قالب مصنوع وجاهز، ثم هو مهيأ منذ سنوات وقابل للاستعمال في اي لحظة! فحتى المغزى الرائع للثورة، يصبح بيد اولئك الابطال (روتينا) عادياً يجتذب من اعلى الرفوف المتربة، ثم يعمل بوحيه، كتلك الاوامر المقدسة التي انبثقت من صحراء سيناء...

ان البطل لا يترك لحريته في تقرير اندفاع معين في طريق ثورة يختارها، انه يحشر في حقيبة كقطعة حجر، مع جمع آخر من الابطال.. ثم يقذف بهم في وجه الاعداء. انه يتألف من جملة ارقام ليس لها سر.. وهو مبسوط لكل انسان، معد لكل اوامر سابقة عليه، كمكبر الصوت الساكن في حدائق (هايدبارك) والذي ليست له خاصية معينة، غير قدرته على تضخيم الاراء والشتائم، وهو مستعد لتلقي رأي اشتراكي فابي، ورأي استعماري، ورأي شيوعي... بالتتالي، وليس له ان يختار بينها ابداً..

ان بطل (جوركي) انسان ساخط يود مصارعة العالم الخارجي [جئت لهذا العالم كي اختلف معه[1]] وكل مشكلاته في ان دنيا الصلب والحجارة هذه، لا تستطيع ان تهبه كل امنياته، ولا يمكنها ان تحقق العدالة بين البشر، والذين يجب ان يفرضوا نظرتهم الخاصة على عالم الحجارة ذلك.. كي تستقيم لهم حياة هادئة، مريحة، وقد سبق ان نظم نفر آخر (يوتوبيا) خاصة، اساسها حياة ورعة وتقية، لم تتحقق، كما يجب، بمرور مئات السنوات.

ان (اليوتوبيا) منذ مدينة (افلاطون) حتى (هيلويز

---

[1] مولد انسان (مكسيم جوركي).

العدد القادم

يضم احدث الآراء والنظريات في مفهوم الفنون التشكيلية المعاصرة

الجديدة) وما تبعها من مدن خرافية، لم تثبت لحظة واحدة للتحقيق، فهي تطلب فرداً معيناً. إنها تتخطى ما هو بشري، لتنظر الى ما هو فوق بشري، الى الآلهة... انها تتطلب ان يكون البشر بلا سيئات، افراداً اخلاقيين أتقياء أبرياء.. اي ليسوا بشراً، وهي تعزل العادي: ذلك الانسان الذي يغش احياناً، ويكذب لمصلحته، وتعزل اللص والمجرم والمشوه والسكير والمتشائم... وتحتضن كل القديسين والفلاسفة، فهي نظرات عقلانية صرفة، غير قابلة لان تفلت من قلب الكتب لتوسد فكرتها في الارض نفسها...

ولما كانت (اليوتوبيا) تطلب فرداً نزعت عنه بشريته: اخطاؤه، اختياراته، سلوكه، نظرته في الكون، ودمغ بالطابع: [يوتوبي] اي بلا ذات، فانها تسقط في استحالة التنفيذ. فأن تعطى (للانسان الحق) كل مطالبه، وان تفتح له آفاقه، هو اشد هواناًلدى ذلك الانسان، لو نزعت في الوقت نفسه، حريته، مقابل ما منحت له من عطايا وبركات.. هو اشد هواناً وضعة، مما لو ترك معزولاً عن كل مطلب وحق، وممنوحة له حريته في ان يفعل ما يشاء..

ان عالم المثل المجردة يثبت فشله بعد كل تجربة، فأبطاله المقترحون ليسوا انسانيين. إنهم أنصاف آلهة من (الاوليمب)، ولا يمكن لما هو كامل ان يرتدي لباس السكارى والمجدفين، واللصوص، ان يرتد بشراً، وعزلته هذه، في قلب سمائه، هي السبب نفسه في امتناعه ان يكون ارضياً مجاوراً لنا، له ما لنا من رغبات، ونزعات شيطانية، وأهواء شريرة.. فاذا ما سقط عالم المثل، فان عالم (جوركي) يسقط بالمثل.. فالدولة المقترحة، والتي هي آخر سلالة الدول، والتي تحلم بها طبقة العمال في الارض، لا تستطيع ان تنقي مثاليتها..

ان البطل في الرواية الروسية يعتمد مكافحة العالم الخارجي، صراعه الوحيد، والفذّ لخلق انسانية جديـــدة وعصرية... وليس الانسان كذات مطلوباً في ارضها الجديدة، فيكفي ان يكون أذرعة وطاقة وقدرات.. كي تتهيأ للدولة ما تعمل من اجله:

فاما الارض.. إما الدولة الارض، وإما الدولة الرجال.. وقد اختاروا دولتهم!..

***

ان المأساة الحقة، هي ألا نستطيع خلق انفسنا كما نريد، هي ان تكمم افواهنا، وان تُفرض علينا حياة بعينها. هي ألا نشعر بذواتنا كما نريدها ان تكون، ألا نستطيع على الدوام تخطي ما هو عبوديتنا، والنزوع، ضد تيـــارات شائنة، لتحقيق ما هو نحن على شكل مندفع، وجديد...

فقد زُيّف * للابطال صراع غريب وسخيف.. وكان ممكناً بلمسة غير طائشة نقل مركز الصراع من بطن الصخر والابنية، الى قلب الانسان نفسه، فليست القضية بين الفرد والاحجار (كعالم خارجي) بل بينه وبين نفسه. ان المأساة بين الفرد وذاته، وستظل هي القضية الاولى الواجب تحققها قبل ان يساق البشر لعبادة الابنية في شكل تطبيقات اجتماعية وخرافية... وهذا الدين الجديد الذي بُث بعناية في طريق البشر الراغبين بكل طاقة، في حيـاة غير مبتذلة وان كانت ثرية، هذا الدين قد وجد انصاراً عديدين يفدونه بارواحهم، فمن اجل تضليل الانسان وابعاده باستمرار عن نفسه، فهم يبـــدأون من حيث يجب ان ينتهي البشر: اقامة حدائق بابلية جديدة...

فقبل ان يعي البطل موقفه من الكون، وقبل ان يدرك اعداءه الحقيقيين، فانهم يضعون في يده مدفعاً، ويسخرونه في هدم الانصاب.. وبـدل ان يعيش الانسان حياته فانه يزحفها مكترفاً حتى الرقبة، في طريق عين له، ورُسمت له بدقة فائقة مواضع وقفاته، وكيفية تفكيره. ان البطل يمضي في حياة ليست له، غير مالك فيها دقيقة واحدة يسخرها لتأملاته، او لافعاله هو الذاتية. انه مدفوع حتى للتنفس، والتلويح بيده، والتعبير عن اساه بطريقة معينة، ليس عليه ان يبدلها او يرفض استعمالها..

ان البطل فيها (يشاهد انه يحيا)[1] وهو غريب امـام الاشياء الثابتة إزاءه باستمرار، وهو لا يستطيع ان يكون مسؤولاً عن كل ما يجري امامه، او حتى ان يفكر بذلك، وشيئاً فشيئاً، يصل للتواكل الميتـــافيزيقي، فقديماً كانت القضية مثارة على هذا النحو: (مسيّر ام مخيّر). اما الآن فقد قضي على الشطر الاخير، واصبحت القضية: «في طريق من، انت مسير؟» ورُفض ان يكون للانسان الحق ان يقف عملاقاً امام الاشياء والآخرين...

وليست العلاقة اخيراً، بين الذات والاشيـــاء، الا سقوطاً ضرورياً، ولا بد منه. فاذا كان وقوفنا أمـــام الاشياء يعني ضرورة جعلها قضيتنا الاولى والاخيرة، وترك قضية الانسان والحرية، فاننا سنصل يوماً كبشر الى مرتبة الاحجار نفسها.. فكلما اتصل وعينا بالاشياء [وهو لا يعي سوى الاشياء والآخرين] — ووقف عند حدها في ايمـــان مطلق بقوتها وخيرها الكلي؛ فانه يسقط في الآلية، ويصبح وجوده نفسه مبتذلاً كعاداته اليومية..

.. بطل واحد، في تاريخ الرواية الروسية، استطاع ان يمزق هذا الزيف الذي تأطرت داخله كينونته، وحبس فيه وجوده، ذلك هو [اندريه إيفانوفتش تنتيتنيكـوف[2]]، لقد ادرك هذا الملاحظ الفذ، عقم حياته التي كان مقـدراً له ان يقضيها في المكتب، بين صرير الاقلام الدائم، وسحنات الموظفين التي لا تتغير، ونفس الحياة الرتيبة الجامدة.. فحزم امره، وسب رئيسه، ثم اندفع الى الريف، ليستطيع إحياء ثلاثمئة قن.. وقد استطاع ان يرفض بشرف، كل عروض المدنية التي قدمت له في شكل صداقة أمير، اومصـــاهرة جنرال، او ملازمة مرقص..

وكم بدت له مذهلة كل رائحة للحياة جديدة، تنسمها في طريقه للريف.. وقد قبل ان يضع وجـوده فوق كفـه، مغامراً به دوماً، وقاذفاً به ضمن أطر الامكان.. وقـــد استطاع ان يعيش، حتى سقط.. مرة اخرى، في الرتابة.

***

* في ميسورنا ان ندلل بانطباق هذا التزييف على قضية (البـــلور المحرق) فليست المشكلة قائمة بين العلم والانسان بالدرجة الاولى.

١ الوجودية (ديديه انزيو) - الكاتب المصري.

٢ الارواح الميتة.

فاذا ما اثيرت قضية الالية فـان رواية [كونستانت جورجيو] تبرز بوضوح ، لتدل على المصير البشري فيما اذا وضعت امكانية الحكم على البشر ، في يد (الروتين) ، في يد الميكانيكية ..

ان انساناً شريفاً ، تذوق العسل البري ، وإستلقى على العشب في ليل بلا نجوم ، وقبل عذراء فاتنة تحت سـياج العليق ، وقدم خدمات رائعة لقس القرية ، عارضاً ما في طاقته من قدرات بشرية ، وممارساً لحريته ، ومتمسكاً ان يحيا كالبداوة نفسها في صميم نقاء الريف .. هذا الانسـان الشريف ، يفاجأ بطاقة مدمرة ، تسلط فوقه هلاكها الرهيب فينحني بسذاجة ويدخل نطاقها ، وتصبح مأساته الذاتية ، قضية عالمية ، فكل عاصمة تحمل اسمه الذي اضحى رقماً ، فانهم لا يهتمون بصفاته الاساسية ، وبميوله وآرائه .. انـه يكوّن لديهم (شيئاً) عرقل النظام . . جسماً غريباً نفـذ بين التروس والعجلات ، فكادت الالة تقف .. كادت الدولة ان تنهار ...

فاذا ما اراد ان يتخطى [البحار السبعة] التي حبسوه خلفها ، فانهم قمينون بتركه يفعل بعد سنوات عديدة مـن التعذيب ، وسلخ ما هو ذاتية له . ولقد تجاوز المسـ ـين الاسوار ، ولكنهم كانوا قد اتخذوا منـه ــ ذلك الانسان الحر الشريف ــ سجينا الى الابد، لقد ووجه رأساً ، وبصدمة مخيفة ، في قلب بدائيته ، بما احتاجت البشرية لمراجعة نفسها الف مرة كي تعيه ، وتفهم بشاعته :

لقد عرضوا عليه ان يتكفلوا أخيراً بطعامه وشرابـه وملبسه ، على ان ينزعوا اسمه وذاتيته وكيانه ، وحريته .. على ان يصنعوا منه ساعة نابضة ، تدار وقتما يرون وتتوقف في اللحظة التي يشاءون ! ولم يفتح المسكين فمه بكلمة وهم يرددون :

« .. ابتسم .. إبتسم .. ابتسم .. إبتسم . ! ! »

لقد حتموا عليه ــ حتى ان يبتسم .. ان يغـش ذاته ، مضيئاً ملامحه بفرحة وضاءة نادرة ... وقد انحنى ذلـك الانسان الشريف ، كيما يستطيع ان يحيا حياتهم في عـالم يملكون فيه كل شيء .. كل شيء ، حتى اذا مـا امروه بالموت ، فانه لن يرفض طلبهم .. بل سيرقد في سكون ثم

يموت في سلام ...

***

ان القضية تتخذ لها وجهاً آخر .. وجهاً اشد انسانيـة ، وصلة بمصيرنا كبشر ، ووضعيتنا ازاء ما هو جامد ورتيب وميكانيكي ، كانعكاس على الذات نفسها من العالم الخارجي.

ان القضية تصبح : مأساة الوضع البشري امام نفسه ، اما ان يصبح البشر سادة انفسهم ، واما ان تعود البشرية مرة اخرى ونهائية ، كي تسهم في خلق طوفان من العبيـد والاقنان ، ثم يصبح الوضع :

اقامة مدن حجرية كبعلبك والكرنك والاكروبول .. بدون حاجة لوجود الانسان ، الذي يصبح وقوداً تستهلكه جهنمية الآلة ...

القاهرة **محيي الدين محمد**

مختبر «توماس مان»

بقلم فرديناند ليون

ترجمة عائده مطرجي

حين يتجاوز الفنان حده[1] في النفاذ ببصره الى الاشياء ، يغدو هدام حياة . ذلك ان ما يصوره يكف عن ان يكون . فكلما ازداد قرباً من الكمال ، ازداد نصيب الزوال . هكذا كان توماس مان يكتشف بذعر انه مرتبط بالموت. وقد كان بوسعه ان يرتاح الى ذلك لو انه كان لااخلاقياً او عدمياً . ولكن على عكس ذلك ، كان مما يجلب له غماً متصلاً الا يكون انساناً متوسطاً يعيش عيشة عادية . ومن هنا كان اقل اثر من آثاره يتكشف عن جانب مؤثر بسبب حقيقة عذاب مكمون. لقد كان الرجل مقسماً الى قسمين : فان جماليته التي كانت تنزع الى المطلق ، كانت في تناقض فاضح مع اخلاقيته. وكان يأخذ على نفسه انه لم يكن يستطيع ان يخلق الا مظاهر. أتراه لم يكن الكذاب المزور الذي كان يضلل ، هو الذي كان بوده ان يكون الانسان النبيل غاية النبل ؟ ان كل ما كان يقوم به كان يرده الى معضلته التي لا تُحل ، الى هذه العبارة المروعة : « انا ناكر الحياة ! » .

ولقد ادرك ، متأخراً جداً في كتابه « فـاوستوس » Faustus ان هذه القوة السلبية التي كان حاملها ، على غير ارادته ، كانت تمت بصلة القرابة الى شيطان القرون الوسطى. وهكذا اعترف ، في اللحظة نفسها التي ابتعد فيها سياسياً عن بلاده المسلمة الى القوى الجهنمية ، اعترف وهو في حالة ذل بالغ بان القوة التي كان يحاربها بهوس وبكل ما ملكت قدرته كانت قائمة في صميم ذاته ايضاً .

أتراه ينجح في التخلص منها؟ لقد كان الجانب الدراماتيكي في حياة «توماس مان» يكمن في جهـده لادراك الطيبة الخالصة . وهنا بالذات ، وليس في الفن (الذي كان قد بلغ فيه ، منذ البداية القمة الممكنة) نمت ذاته الحائرة . ولما كان قد تألم كثيراً فقد كان يحزر آلام الاخرين وجميع الوان المتاعب حتى تلك التي لم يعشها . كان يريد ان يكون رحيماً. ولئن كان فرط وعيه ، يمنعه هنـا ايضاً ، من ان يرأف بسذاجة، فقد كانت به على الاقل رغبة في ان يستشعر الشفقة . وفي هذا المنحرف غدا الفنان رجلاً عاماً. لقد كانت غاية توماس مان السياسية ان يخفف الالام الموجودة او ان يحول دون ان تـأتي آلام جديدة لتنضاف اليها . ولم يكن حتى ذلك الحين صالحاً ليحكم ان كانت هذه النزعة المنـاقضة للميكيافيلية ممكنة ،او ان كان ينكرها الواقع الذي يتطلب حساباً لا هوادة فيه. ولكنه على كل حال نجح،بهذه الطريقة ، في ان يملأ بالامل نفسه وفي ان يفتديها بمعونة القوى السماوية كما هو شأن «فاوست» بطل « غوتيه » .

وهناك عذاب آخر : لقد كانت قدرته على الانتاج غير منتظمة . وكان الفنان يتعزى من صعوباته بما يرافق مباشرة العمل من دقة بالغة . ولكن لم يكن شيء يستجيب احياناً لندائه ، لروحه الخلاقة.

وكلما كان يجهد نفسه ليخلق الحالة المواتية ، امتنعت عليه الموهبة الخلاقة . وبدلاً من ان يتذكر توماس مان انه غالباً ما كان يتعرض لهذا الحادث — وان بوسعه ان يستعيد العمل بعد فترة راحة— كان كل مرة يفقد كل شجاعة ويعتبر عقمه نهائياً كان يرى نفسه منطفئاً الى الابد ، وكان من فرط يأسه ينهار ، وهو شديد الحنق على جسده العاصي الذي كان يبدو له مجرماً . واذاً فلم يبق امامه الا امكانية الهرب . وقد كان هذا الهرب نفسه يتحول الى اثر فني : ففي « ميت في فنيسيا» يحاول « اشنباخ » ان يعود خلاقاً من جديد مستعيناً بمغريات « فنيسيا » الاصطناعية . وبالرغم من كل تشككية « مان » ، فقد كانت الاعجوبة تتم : ان كل ما كان يتبدى لمسافر متعطش الى الحرية هوى بسيطاً ، كان سرعان مـا يتحول الى ينبوع من الشعر . فان المراهق البولوني وصاحب غندول التهريب الذي يختفي قبل ان يتقاضى الاجر ، وقد ابتلعته الامواج ، والرحلة المنوية ، ثم العودة القسرية نحو « الليدو »، بعد تضييع الامتعة — ان جميع هذه الحيل الممتعة من المصادفة والافلاس كانت واقعية .

لقد كان يكفي ، لكي يظل الحب في نظـر المراهق افلاطونياً محضاً،ان ينسق هذا المجموع ثم يضاف اليه، بعمل

[1] راجع العدد ٥٦ من مجلة « ادلة » Preuves

ارادة واعية الالهة اليونان ، عبر نيتشه وديونيزوس وان تدرج فيه « ليزيس » افلاطون . ان القصة تنتهي بالموت لا بالهزيمة ،لان الفنان في الحقيقة عرف اذ انتصر على تعبه ان ينجز مع ذلك العمل المرجو . وان طفرة القوة الخلاقة من جديد ، هذه الطفرة التي اتت بعد خور شديد القسوة قد طبعت تصميم « الجبل السحري » . لقد كان هذا الاثر يتقدم بهدوء في اسلوب رواية رحلة انكليزية على نحو ما تقصّدمان.

وكان الجزء الاول قد انتهى وكان نصف الثاني يستكمل اسبابه . ثم اتى الوقوف . وقد اسرعت رفيقة الكاتب الامينة بحزم الامتعة . ولكن « توماس مان » رأى اذ وصل الى فندق فخم في انسبروك شخصاً يهبط السلم بعظمة : إنه « جرهارت هوبتمان » Hauptman .

وسرعان ما ادرك ان هذاهو الشخص الذي كان ينقصه فكاد يهتف من شدة سروره ازاء هذا المزيج من المصادفة والقدر. لقد كان بحاجة الى هذا الشخص بحيويته تلك الفياضة الجديرة بان تصهر تردداته الحذرة في « كستروب». اي فيض من الامكانيات الجديدة! ولئن لم يعد الى بلده حالاً، فذلك حتى لا يعترف لنفسه بان الحظ كان قد سبق له ان اعطى كل امكانياته .

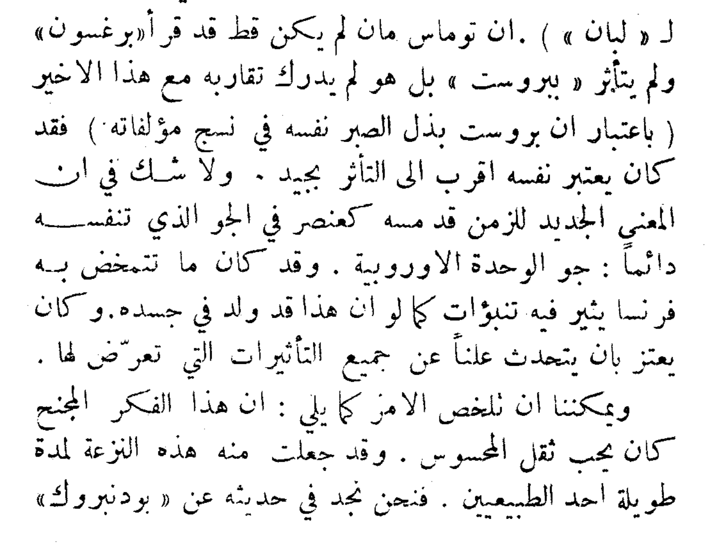
وكانت ثمة وسيلة اخرى يستطيع «مان» ان يتجاوز بها هوة التعب هي قراءة مؤلفاته، في نطاق دائرة عائلية صغيرة اولأمام اصدقاء، كل ذلك بسرور ساذج كأن ما كان يقرأه قد خلق الان وكان يدهشه . واخيراً كان يقرأها امام الجمهور الكبير الذي كان رضاه واعجابه يحملانه كأمواج تتكسر على الشاطىء . ولما كان المؤلف قد اصبح ديمقراطياً فقد كان مجبراً على ان لا يتدرع بالوحدة المترفعة على غرار « اشنباخ » عالم الجمال . كان عليه ان يجابه الجموع ويحاول الاقتراب منها . وقد كانت جولاته الكبيرة في المدن الاميركية مقدمة لخطبه ضد النازية التي كانت تتوجه بالراديو الى العالم كله . لقد خاطر المتوحد بنفسه اذ اتجه نحو الجموع بدافع من نظرية اخلاقية . كان يعد « التمثيل » واجباً من واجبات الشاعر . ان اميراً جمع في حدود جسده وفكره انتفاضات امة بكاملها يجب عليه ان يرد قسماً مما اعطاه اياه الجمهور ، بان يعرض شخصه امامه .

وكان على « مان » ان ينسى ، في الظاهر ، شكوكه في نفسه ويظهر كما كان يُحلم به او كما كان بوسعه ان يكون . وقد كان هذا اللعب يذهب بتعبه ويشكل قسماً من تدربه الصحي ليقهر لحظات الضعف والخور ، ولكنه كان يجلب له ايضاً مزيداً من التعب . ولو كان المؤلف قد ادرك مسبقاً اتساع مؤلفاته ذات الابعاد الملحمية ، لتراجع عن تأليفها . فان الخوف من ان لا يكون له نفس امثال بلزاك اوتلستوي كان جديراً بان يشله . ذلك انه كان خجولاً او بالاحرى متردداً تجاه هباته بالذات . لقد فكر بان تكون كل رواية من رواياته تقريباً موضوعة بشكل موجز . لقد كان « الجبل السحري » و « جوزف » اقصوصتين قصيرتين اول الامر . ان الاولادوالاحفادعنده كانوايتقدمون الاجداد الذين كان صفهم الطويل الصاعد لا يأتي الا فيمابعد : فقد كان هناك اولاً « هانو بودنبروك » الذي انجب الاجيال السابقة بالتراجع ، وكذلك لم يصبح «جاكوب» ضرورياً الا ليشرح «جوزف» ثم يعود التتابع الوراثي المقلوب الى وضعه المستقيم .



توماس مان

ومن هنا نشأت لدى « مان »حساسية بالغة لمادة الزمن . فالزمن هو نفسه يصبح بطل « الجبل السحري » واذ ذاك تتراكب السنوات في كل بطئها ديمومة محضة (كالسنوات السبع التي كان « جاكوب » في اثنائها عبداً



لـ « لبان ») .ان توماس مان لم يكن قط قد قرأ«برغسون» ولم يتأثر « ببروست » بل هو لم يدرك تقاربه مع هذا الاخير (باعتبار ان بروست بذل الصبر نفسه في نسج مؤلفاته) فقد كان يعتبر نفسه اقرب الى التأثر بجيد . ولا شك في ان المعنى الجديد للزمن قد مسه كعنصر في الجو الذي تنفسه دائماً : جو الوحدة الاوروبية . وقد كان ما تتمخض به فرنسا يثير فيه تنبؤات كما لو ان هذا قد ولد في جسده. وكان يعتز بان يتحدث علناً عن جميع التأثيرات التي تعرّض لها .

ويمكننا ان نلخص الامر كما يلي : ان هذا الفكر المجنح كان يحب ثقل المحسوس . وقد جعلت منه هذه النزعة لمدة طويلة احد الطبيعيين . فنحن نجد في حديثه عن « بودنبروك»

قصص البرجوازية كما نجدها عند بلزاك . انه يصور الاوساط تصويراً دقيقاً جداً . بل هو يتجاوز المدرسة الطبيعية بما يكسبه اوصافه للامراض الجسمية في دقة علمية . وقد كان يجب ان يسجل الاحداث الصغيرة . ولا شك في ان هذا التراكم للملاحظات كان ضرورياً له . فلو انه انغمس مباشرة في فيض الحياة، وهو الخائف المتقهقر المتألم ،لغرق فيه . لقد فتتت اغذيته الارضية تفتيتاً دقيقاً،او انها بالاحرى كانت في مقدارها محدودة جداً بقدر ما كانت غنية في جوهرها .

وهكذا فان قصه « بودنبروك » تضم مصائر اسرته ومدينته . وقد تجمع هذا وتضاعف في عقل الطفل ، والحدث ، والشاب الذي امتلأ به كيانه من غير ان يريد. وباستثناء الالتصاق بهذه الينابيع الارضية الاولى ، لم يعرف مان الا تجارب حية قليلة؛ فعبقريته كانت اذن في تضخيم هذا القليل ، القليل جداً ، وفي نفخه بالنسغ الخيالي. لقد كان هذا الساحر يتجاوز الواقع في خلقه للواقعي . انه في « فينيسيا » لم يعش في بيته « كبارس » Barrès . ان اقامته كانت قصيرة جداً . فمصح الجبل السحري قد ولد من اقامة بضعة اسابيع في« كلافادل » وفي « دافوس» مرافقاً زوجته . وسنو « كستروب » السبع او العشر ، مع جميع تفاصيل الوسط هي تفتح خيالي المؤلف الذي « عرف ان يجعل من الواحد عشرة » . وكان مضطراً احياناً ليسد ثقباً فاغراً فاه في مؤلف ما الى ان يقذف فيه صديقاً كما لو كان جثة . لقد كان مفرطاً في التقتير . فيجب ان لا يضيع شيء في هذا القليل الذي كان يعيش منه . ففي«فاوستوس» استخرج في الحديث عن عائلته كل اعماق ادراجه ، كل ما تبقى له بعد ان استنفد ذكرياته في « بودنبروك ». وكان غالباً ما يرمي في حفرة علوماً برمتها لكي يسد ثغرات اشياء معاشه. ان «الجبل السحري» هو موسوعة لا للسياسة وحسب، ولكن لعلم الطب وعلم النفس التحليلي وعلم الفلك وعلم الاحوال الجوية. وكتابه « لوت في ويمار » يغص بالمعطيات المستمدة من تاريخ الادب. « وفوستس » هو مجموعة واسعة لمختلف الآلات الموسيقية ولجميع الاساليب ، من « باخ » ، « وبتهوفن » حتى « شونبرغ » .ولكن فكر توماس مان لم يكن ليشارك في اي علم من هذه العلوم مشاركة فعلية . لم يكن يفعل الا ان يستغل المعطيات المعدة التي كان يتبنى منها الجزء المفيد موقتاً لمؤلفه .

بين هذه المظاهر جميعها ، ما الذي كان يبقى حقيقياً بصورة مطلقة ، انها « اناه » في ما وراء عائلته . وهو لم يكن يتعب مطلقاً في ان يتطور داخلها تطوراً عميقاً .

وهكذا فان جميع اشخاصه تقريباً ما هم الا شروح لشخصه بالذات، او بالاحرى لتغيرات في موضوع وجوده . وكان الفضول لان يقوم باكتشافات في نفسه يتملكه . لقد كانت المرايا التي تعكس صورته تتعدد في رواية واحدة . وكل هذه المرايا اقنعة يلبسها ثم ينزعها ، آخذاً على نفسه انه لم يعط إلا ظاهر المظاهر ، مما يقوده الى اختلاق شكل جديد لنفسه، هو قسم لا يتجزأ من اناه يكتشفه بواسطة التجربة . والحق ان تتابع الخلق الشعري والدراسة الفكرية لدى « مان » هما قسم من مسلك صحي : حين يتعب من الخلق، يفر الى العقل المحض او بالعكس. وكان يبلغ في تقنيع نفسه احياناً حد السفاهة ، هو الذي كان ينشد لنفسه الحشمة كلها . ولكنه كان ينعم بكونه اجرأ فنان وفي الوقت نفسه الاخلاقي الذي يعترف بخطاياه . ولكن هذا هو ايضاً قناع جديد يجب ان يُخلع للوصول الى الحقيقة القصوى. فاذا واجهنا الموضوع من هذه الزاوية،رأينا الموت يأتي ليقطع ابحاث الرجل في التفتيش عن نفسه . ولم تكن هذه الابحاث قد انتهت بعد ، بالرغم من غزارة مؤلفاته. فمن المستحيل علينا ان نعتبر بطله الاخير « كرول » التجسيد الاخير له . فلو منحته الحياة سنة اخرى او شهراً او اسبوعاً ، لربما كان ادرك آخر مرحلة من سره الاخير .

هل كان باستطاعة هذا « الانا » وحده،مهما بلغ من عمقه وغزارته،ان يثير اهتمام المانيا واوروبا والعالم?لقد كان من حظ « توماس مان » ان ما كان يصوره كشيء خاص محض ، كان يكتسب بعد فترة قصيرة من الوقت قيمة رمزية عامة . وهكذا فان هذه الاثار ، بالرغم من انها قد اعدت في مختبر خاص جداً، قد اكتسبت اهميتها من التغيرات الاجتماعية التي كانت تجري حولها. ان هذه الاثار التي صدرت في نصفها عن كائن منكب على نفسه وفي نصفها الاخر عن شيء خارجي، هي هشة جداً،اذ هي لا تنتسب الا الى لحظات فارّة . ولكنها من جهة اخرى طافحة بحقائق قد دخلت في التاريخ . لقد صُنعت لتدوم ابداً .

نقلتها عن الفرنسية

عائدة مطرجي

راقصة الحانة

كلهيب تنوّر
وكشهقة حمراء في اعماق ماخور
... كانت تَتلوّى كالاعاصير
وتميل راقصةً على انغام طنبور
كجناح عصفور
في مرقص متضاحك الاضواء بلّوري
والقوم مختلطون حركهم نوحُ المزامير
سكّيرة تهفو لسكّير
والكأس فائرة الحباب كأنها رغبات مخمور !
وتميس بين مواكب الحور
يتبعن خطو ثيابها خدما كآلهةٍ من عهد آشور
طوراً يملن مع اللحون – وآنة يحكين اصوات الشحارير
والحان شرقي الستائر رافه الاضواء أسطوري
حتى الصخور هنا تجوع – تحنّ للنور
لمراشف الحور...
والليل كالسور
غطى الخفايا السود كالسور
تحكي باعصاب ممزقة شتى التعابير
في رقصة زنجية – محمومة مثل الاعاصير
وتبيع للشارين ادمعها خمراً معتقة القوارير
بثوا قرار الكاس شجوهمو .. ودموعهم شجو المزامير
وتقول للنيران في دمها ثوري .. ظمئت الى اللظى ثوري
قلبٌ نوافذه مفتحة للريح ، والظلمات، والنور !

***

كلهيب تنور
وكشهقة حمراء في اعماق ماخور
كانت تَلوى كالاعاصير
وتميل راقصة على انغام طنبور
حتى اذا الليل الضرير ذوى ...وتساقطت كل النجوم
[كأنها عبرات مأسور
عادت تجر وراءها صمت الدياجير
عادت الى كوخ حقير مظلم النور !
حيرى كتمثال تعذبه نقرات « ازميل »
حيرى بمشتبك الدروب وحيدة... كزغيب عصفور
وبعينها .. في العمق أخيلةٌ.. سود التصاوير
ودروب آلام مبعثرة طي الاسارير
وأسى كمانٍ خافت الانغام مكسور !

القاهرة — **محيي الدين فارس**

أزمة الحتمية في العلوم الحديثة

بقلم الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا

يظن من لا خبرة لهم ان العلم فوق الشبهات ، وان حقائقه قطعية لا راد لها ، وان منطقه معصوم ، وان العلماء ان اخطأوا بعض الخطأ احياناً ، فما ذلك الا لأنهم انحرفوا عن جادته ، ولم يلتزموا قواعـــده . وعمدتهم في هذا الزعم قانون العلية (او السببية) اي علاقـة السبب بالمسبب والعلة بالمعلول ، وهي — على زعمهم — علاقة لا تتخلف ومنها يستقي العلم احكامه وقوانينه .

لا جرم ان فكرة ارتباط السبب بالمسبب ارتباطاً جازماً هي من مميزات العلم الحديث بـل هي التي جعلت العلم امراً ممكناً . حقاً ان القدماء كانوا لايقلون عنا اقتناعاً بان المستقبل مترتب على الحاضر ، حتى لقد كانوا يؤمنون بالقضاء المـــبرم الذي لا هوادة فيه . ومع هذا فعقيدة القدماء بالقضاء تختلف اختلافاً جوهرياً عن فكرة العلية التي تقوم عليهـــا العلوم الحديثة . فاذا كان القانون في نظر الاغريق يتدخل في تعيين المستقبل فهذا القانون كانت تسيطر عليه فكرة القصد والغاية: لقد قدر على اوديب انه سيقتل اباه يوماً ما ، ولكن طريقة تنفيذ هذا القتل ظلت معلقة بغير تحديد . وهكذا فاذا جاهد الانسان للتغلب على القدر ، فجهـــاده محصور في التخلص من طريقة ينفذ بها هذا القدر على ان يقع فريسة لطريقـــة لم تكن بالحسبان . فهو لا مهرب منه وحكمه نافذ لا محالة . فهو كالغول يترصد فريسته ويسعى الى اقتناصهـــا كيفما اتفق .

وليست كذلك فكرة المحدثين عن قانون السببية الذي لا اثر فيه للقصد والغاية والوصول الى الغـــرض باي وسيلة اتفقت . فالعلة (او السبب) لهـــا معلول (مسبب او نتيجة) واحد ، وواحد فقط . فالحادثة (ب) وقعت لان حادثة اخرى سابقة (ا) قد سببتها . فهي اذن ناتجة عن الماضي فقط — عن علة — لا عن المستقبـــل — عن غرض وغاية — . فسلطة القانون العلي سلطة عمياء لا تفرق بين انسان وآخر ، كل شيء فيها محتوم ، على عكس حكم القدر البصير بعواقب الامور . فأوديب حسب قانون العلية سيقتل اباه في مكان معين وعلى نحو معين ، وستتضرج منه كمية معينـــة من الدم . بل ان حدوث اي تغيـــير في ظروف القتل — مهما يكن طفيفاً — قـــد يقلب النتائج رأساً على عقب .

ولقـد نشأت فكرة العلية عن دراسة الطبيعة دراسة صارمة والانكباب على تفهم حوادثها تفهماً موضوعياً اميناً . فاذا كان غاليليو يسمى أبا الفيزياء الحديثة ، فليس ذلك لانه قدم لنا طائفة من المعارف الجديدة ، بل لانه وضع لنا منهجاً جديداً في البحث . فهو اول من ربط البحث والتدليل الاستقرائيين بالمعادلة الرياضية ، فهو اذ كان يعد الثواني التي يستغرقها سقوط الكرات الثقيلة ، فقد وضع يده على فكرة الدالة Fonetion الرياضية في الطبيعة ، « ان ... عندئذ » وهي ارتباط تتعين به قيمة عظم طبيعي (ب) عندما يأخذ عظم طبيعي آخر قيمة محددة هي (ا) . والتقدم العلمي الذي اعقب ذلك في العصور التالية شاهد عـلى هذه الفكرة العظيمة . فميكانيكا نيوتن ، واكتشـــاف قوى طبيعية جديدة في الكهرباء والطاقة الكيماوية — كلها وليـدة هذه الفكرة الاساسية ،فكرة العلية . وتشييد الآلات ناشيء عنها ايضاً اذ ليس ثم مهندس يبني او يصلح آلة من غـــير الاعتماد على قانون السببية .

***

ولكن قانون السببية هذا قد اخذت الثقة تتزعزع به اليوم فجعل ينازعه قانون آخر هو قانون الاحتمال ، ولاسيما في المملكة الدنيا : مملكة ما تحت الذرات . اذ ظهر للعلماء ان الاشياء على هذا الصعيد لا تخضع لقانون العلة والمعلول ، وان الفوضى ضـــاربة اطنابها فيه . ومع هذا فهنالك اقلية متزمتة من العلماء ،وخاصة ممن ينتمون الى مدرسة كانت ترى بالتريث في الامر . فهم يزعمون ان قانون العلية قانون صارم يسود في العالم كله ولايفرقون بين العالم على الصعيد الادنى Microscopic وبينه على الصعيد الاعلى Maroscopic ، ويقولون ان ما يخيل الينا من وجود فوضى في العالم على الصعيد الادنى يرجع الى عجزنا عن اكتشافه .

ومن ثم بدأت فكرة الاحتمال تلفت اليها الانظار ويشتد ساعدها ، ليس في العالم على الصعيد الادنى فحسب ، بل وعلى

الصعيد الاعلى ايضاً ، اي في عالمنا نحن ، عالم المحسوسات العيانية . وعلى هذا النحو وجد العلماء انفسهم امام قانونين اثنين : قانون الاحتمال وقانون السببية فربطوا بينهما . ولا غرو في ذلك : فالصلة بينهما وثيقة ، بل ان مبدأ العلية (او السببية) فرض اجوف اذا لم يضف اليه مبدأ الاحتمال . فمن خطل الرأي القول باننا لا نجد في الطبيعة غير القوانين الصارمة ، اي التي لا تتخلف ، اذ القوانين تقريبية دائماً : فاذا قسنا بالضبط سلوك حجر ملقى به ، او تيار كهربائي او اشعاع ضوئي منعطف مثلاً ، فنلاحظ ان هذه الاشياء لا تسير بالضبط وفق المسار الذي قررته المعادلة الرياضية وتنبأت به ، بل لا بد ان تنحرف عنه انحرافات طفيفة تسمى اخطاء الملاحظة ، وهي اخطاء تقل بدون شك كلما اجيدت وسائل البحث ، ولكنها لا تنعدم ابداً .

وتظهر هذه الفكرة ايضاً في حياتنا اليومية . فالقطار مثلاً لا يصل دائماً الى المحطة في الموعد المحدّد له بالضبط ، بل اقد يتخلف عنه لاسباب طارئة حتى في ارقى بلاد العالم . وهناك اشياء نعتمد عليها كثيراً في حياتنا اليومية لشدة ثقتنا بها ، ومع هذا لها صفة الاحتمال . وذلك عندما نعتقد مثلاً ان هذا الجسر الضخم لن يتقوض عندما نمر عليه . اوعندما نعول على شروق الشمس غداً . فكل ذلك ليس له اساس من اليقين فما يدرينا ان زلزلة ارضية ستعصف بهذا الجسر او ان حدثاً كونياً عظيماً سيطيح بالارض غداً ويلقي بها خارج فلكها ؟ ان احتمالاً كهذا قد لا نعيره كبير اهمية ، لانه بعيد الوقوع جداً . ولكن هنالك ما هو اقوى منه : فالتاجر يعلم ان نجاح مشاريعه متوقف على الصدفة : فالصفقة الواحدة قد يكون فيها افلاسه او اثراؤه . فهو يجرب حظه دائماً ويستعرض الاحتمالات التي سيواجهها ، فيقوم بشتى المشاريع في وقت واحد ، وهو يعلم انه اذا اخفق بعضها فلن تخفق كلها ، وبالتالي فهو يكاد يكون واثقاً من ان معدل كسبه سيكون كذا . وهكذا ففي كثير من الحالات نحسب معدل نجاحنا ، فكلما ارتفع عدد الحالات الفردية وازداد تنويعها ارتفع هذا المعدل ، وبالتالي ارتفعت درجة احتمال النجاح . وكلما قلت ، قلت فرصة النجاح . وعلى هذا النحو يسيطر الانسان على الاحتمال بالاكثار من الحالات الجزئية

ورفع معدل النجاح . وهذا ينطبق على قوانين جميع العلوم ، وهي قوانين تستقرأ منها الاحوال الجزئية وتحسب معدلاتها . وهذا معنى مايقال من ان قوانين العلوم احصائية وليست يقينية .

وهناك وسيلة اخرى لرفع احتمال تنبؤ ما غير زيادة عدد الحالات الجزئية . فعندما يتنبأ الخبير بالرصد الجوي بالطقس غداً ، فهو لا يجهل ان صدق نبوءته مرهون بالصدفة . ولكنه لا يخفى عليه ايضاً انه يمكنه رفع درجة احتمال وقوعها انتفاعاً ملموساً اذا ما عني بفحص الحالة الجوية في ذلك اليوم ، فلا تقتصر على قياس اتجاه الريح ، بل يقيس ايضاً توزيع الضغط الجوي على نطاق واسع ، وكذلك الضباب والحرارة والخ . .

وهكذا فكلما ادخل عوامل جديدة يحتمل تأثيرها في الظاهرة التي يدرسها كان تشخيصه لها اقوم وازداد احتمال نجاح نبوءته .

***

ترى ، هل يمكننا ان نسير في هذا السبيل حتى النهاية ؟ اذا راعينا في دراستنا للظاهرة جميع العلل التي يحتمل تأثيرها فيها ، فهل يمكننا في النهاية ان نحول الاحتمال الى يقين ؟ كلا . فمن ناحية لا أحد يقول حتى الان بامكان مراعاة جميع الاسباب : فالظواهر الطبيعية معقدة للغاية وتتشابك بعضها في بعض تشابكاً لا حد له . ومن ناحية اخرى ان هذا التحويل لا مبرر له من ضرورة . فالمسألة مسألة خاصية من خصائص الطبيعة القصوى ، اي ان الطبيعة نفسها لا تسمح بهذا التحويل . فاذا امعنا في الدقة فهذا لن يكون الى غير نهاية ، بل الى حد ما يقع على مقربة من اليقين . هنالك نطرق عالماً جديداً لا يمكن التنبؤ فيه عن حالة المادة اللاحقة

اذا عرفت حالتها السابقة ولو تقريبياً : هذا العالم هو العالم على الصعيد الادنى Microscopic . فلقد اثبت هيزنبير Heisenberg بقانونه المسمى علاقات اللايقين انه من الممكن ان نحدد بالضبط موقع الكترون ما (كهرب ما) وسرعته في وقت واحد معاً ، وبالتالي فمن المستحيل التنبؤ بدقة بفلكه في المستقبل . فهناك اذن موضوعية لا يمكن تخطيها تفرضها الطبيعة على كل محاولة يقصد بها اخضاعها للدقة . فكلمة « دقة » هذه مولدة لا وجود لها في قاموس الطبيعة . بل لقد نحتها فكر الانسان من تصوره للاشياء كما يجب ان تكون لا كما هي بالفعل . ومن نزعته الى الكمال . فالطبيعة تأبى الدقة ولا تشبه الآلة تماماً ، والصدفة تسود فيها على الصعيد الادنى اما في الصعيد الاعلى ، اي عالمنا ، عالم المحسوس ، فالحوادث الذرية الفردية التي لا حصر لها تتجمع وتتكتل فينشأ عنها ظواهر ترتفع درجة احتمالها ارتفاعاً كبيراً حتى لتخالها يقيناً من الوجهة العملية ، وما هي باليقين من الوجهة النظرية ، اي من الوجهة الرياضية البحتة . فاذا لم يحدث تغيير محسوس في سلوكنا العملي ، اذن فهناك انقلاب شامل في علمنا النظري.

والخلاصة ان المستقبل لا يمكن التنبؤ به بالضبط كما كانت تزعم الحتمية Determinism التي تشبه سير الاشياء بسير الساعة ، وانما هو شبيه بسير اوراق اللعب . فكل خطوة نحو المستقبل تقابل استفتاحة جديدة في لعب النرد . وهذا القول ليس ناشئاً عن عجز الانسان عن تعرف حقائق الاشياء ، بل عما توحي به حقائق الاشياء القصوى ذاتها .

وهكذا فان تقدم الفيزياء الحديثة تواجهه مشاكل كان لها دائماً طابع فلسفي من الطراز الاول وتتطلب حلولاً عاجلة . لا جرم اننا لن نبلغ نتائج جديدة بالابقاء على طرائق تقليدية في البحث الفلسفي ، بل لا يصار الى ذلك الا بطرائق جديدة كل الجدة لان العهد الذي نقبل عليه لم يسبق له مثيل في تاريخ تقدم العلوم. فالفلسفات التقليدية ومقولاتها لم تعد صالحة لهذا العصر الذي تختلف مشاكله عن العصور السابقة . فلا بد من مواجهة هذه المشاكل بفلسفة خاصة : فلسفة عالمية جديدة مستوحاة من تقدم البحث والنظر .

طرابلس **محمد عبد الرحمن مرحبا**

ساعي البريد

حييته ومضيت في امري   تتصارع الافكار في سري
ان جئت سابق ظله قدمي   واذا غدوت غدا على اثري
حمل العناء على مناكبه   وحملت بلواه على صدري
عرق الجهاد على ملامحه   ودموعه الحمراء في نحري
يا ضارباً في الارض يزرعها   بشراً.. قضيت العمر في بشر!
بالروح جعبتك التي هزأت   آياتها بعجائب السحر
فاضت على ليل الحياة سنا   وتماوجت بالند والعطر
كم دمعة لولاك ما انقطعت   وبشاشة لولاك لم تسر
ولكم جبرت فؤاد والدة   جارت عليها نقمة الدهر
طال اغتراب وحيدها فقضت   ايامها في وحشة القبر
تبكي فلا يرثي للوعتها   قلب، كأن الناس من صخر
غرقت بغصتها ابتسامتها   وخبا بريق النور في الثغر
لم يبق من آمالها قبس   ذهب القنوط بنعمة الصبر
ما زال ريب الدهر يقذفها   من مهمه قفر الى قفر
حتى وقفت ببابها فرأت   خلف ابتسامك ليلة القدر
هرعت اليك يقودها امل   كالفجر، بل اسنى من الفجر
يتعثر الترحيب في فمها   ويضيع بين المد والجزر
سلمت يداك! لقد رددت لها   انس الحياة وانت لا تدري
هذا وحيد القلب ينبئها   بإيابه في غرة الشهر
فاعذر اذا اضطربت جوارحها   وتخاذلت عن واجب الاجر
عقد السرور لسانها فهمت   من مقلتيها آية الشكر

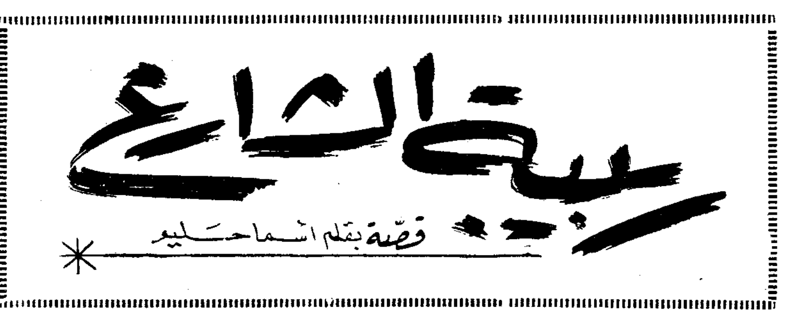
***

ساعي البريد متى اعود، متى   ينفك من قيد النوى اسري؟
خلفت في مغناي والدة   تحيا على اذكى من الجمر
أبصارها في الباب عالقة   وفؤادها الدامي على البحر
تنساب خلفك كلما سمعت   باباً يدق وعابراً يجري
فارفق بها واحمل لها نبأ   يحيي بقايا الروح في الصدر
نذراً علي ولست انكثه   ساءت عواقب ناكث النذر
ساقيم ان حققت لي املي   نصباً من الريحان والزهر
واصب رسمك في قواعده   ذكرى مقدسة على الدهر
تجثو القلوب لديه خاشعة   وتطوف فيه عرائس الشعر

***

ساعي البريد الى اللقاء غداً   حزمت امتعتي على ظهري

الارجنتين   **زكي قنصل**



كنا منذ سنوات مضت نسكن في حي « معروف » بالقاهرة في احد شوارعه الصغيرة. وحي «معروف» يختلف عن باقي احياء القاهرة بانه حي فقير وسط القاهرة الانيقة ، فهو يقع بين شارعي سليمان باشا والملكة وهو قريب جداً من ميادين توفيق وسليمان باشا والتحرير ، ولو سرت خطوات قليلة لوجدت نفسك عند كوبري قصر النيل .

وكان شارعنا – او بالاصح حارتنا – منعزلاً عن باقي شوارع الحي كأنه قرية قائمة بذاتها ، وفعلاً كان لسكانه أخلاق اهل القرى فهم يعرفون بعضهم بل كل شيء صغير او كبير عن بعضهم . وفيهم ايضاً اخلاق اهل المدن فهم لا يتزاورون ولا يتحادثون ، كل منهم منصرف الى شأنـــه ، وعندما تتلاقى نظراتهم من النوافذ يتراجعون عنها خشية ان يضطروا الى تبادل التحية .

ولم يكن اهل شارعنا هم سكانه فقـــط ، بل كان من بينهم عدد من الشخصيات التي تظهر فيه نهاراً وتختفي ليلاً مثل بائع الفول المدمس الذي يقف بعربته الصغيرة وقدرتها عند احد مدخلي الشارع ينادي على « اللوز اللذيذ » ومثل بائع لحم الرأس الذي يظهر في شارعنا ظهراً واحياناً يلتقي ببائع المدمس ان بكر في الحضور او تأخر بائع الفول في الانصراف، فيقف الاثنان متجاورين ، بائع الفول يسند قدمه الى يد العربة وبائع لحم الرأس امامه صينيته التقليدية على حاملها المصنوع من الجريد وهو يصرخ من وقت لآخر في صوت غريب يطلقه من حلقه « يا جابر ، كبد » .

ثم هنـــاك ام توفيق أو « العجوزة » كما اسماها اهل الشارع التي تجلس على الرصيف عند المدخل الآخر للشارع ، وامامها قفص من الحديد تضعه مقلوباً وتغطيه بصحيفة قذرة رصت عليها قطعاً من الحلوى الرديئة ، وفي يدها مذبة تدفع بها الذباب عن بضاعتها حيناً وتسهو عنه اكثر الاحيان. ومحمد بائع الصحف وهو شاب رقيق البنية يسعل طيلة فصل الشتاء ويلف عنقه بكوفية من الصوف يوزع جرائده على المنازل من شارعنا والشوارع المجـــاورة مرتين في اليوم، ثم يأخذ مكانه الى جوار بائع الفول وجابر. ومثل بائع اليانصيب حسنين ذي الوجه القبيح والعينين المرمدتين والشعر الطويل القذر .

وكان من اهل شارعنا ايضاً عدد من الاطفال، من الصبية والبنات الذين يقضون نهارهم يجوبون الشوارع الانيقة يجمعون اعقاب السجائر ويبيعون اوراق اليانصيب ويستجدون المـــارة وينشلونهم اذا اتيحت لهم الفرصة ، يطاردهم رجال الشرطة ويهربون منهم، وبعد يومهم الحـــافل يؤوبون الى شارعنا بعد انتصاف الليل يتخذون من ارصفته اسرة فينامون في اشكال دائرية في احضان بعضهم .

هذا الشارع الصغير المحدد المعالم والرواد، لم يكن يسمح ان يأتيه غريب من غير ان يلفت اليه انظار اهله . ورغم ذلك فان احداً لم ينتبه اليهـــا عندما جاءت الى شارعنا لاول مرة لم يرهـــا احد تدخله من يمينه او من يساره، بل رأيناها تقف قرب مدخله من ناحية شارع الملكة مستندة بظهرها الى جدار بيت وهي تنظر امامها في دهشة . كانت طفلة صغيرة لم تتعد عامها السابع ، سوداء الشعر والعينين ممتلئة الجسم سمراء البشرة ، تلبس جلباباً يصل الى كعبيها منقوشاً بورود صغيرة ملونة. تقف ساكنة صامتة لا تتحرك ولا تتكلم ، ظنها اهل الشارع ضالة فحاولوا ان يعرفوا منها اسمهـــا واسم اهلها ومن جاء بها الى شارعنا ، ولكنها قابلت اسئلتهم بصمت تام ، يتدلى لسانها من فمها المفتوح قليلاً وتنظر اليهم في دهشة كأنهم لغز يحيرها. وعرف اهل الشارع ان الصغيرة المسكينة بلهاء ومنذ ذلك الوقت اسموها«العبيطة.»

وكأنما كان مجيء الطفلة سبباً في ان يخرج اهل الشارع عن تقليدهم فصاروا يجتمعون ويتداولون في شأنهـــا. وكثرت اقتراحاتهم بما يجب ان يتخذ من خطوات حيال هذه الصامتة ، فتزعم « جـــابر » الرأي القائل بتسليمها الى مركز بوليس « كوتسكا » اقرب مركز بوليس الى شارعنا وتزعم شيخ يقطن في الدور الارضي من البيت الذي اختارته الطفلة لتقف في ظل جداره الرأي القائل بتسليمها الى ملجأ ليعنى بها. وتزعمت«العجوزة» بائعة الحلوى ذات الذباب رأياً انفردت به وهو ان تتقدم احدى الاسر القاطنة في الشارع فتتبنى « العبيطة». وبين الاقتراحات المتباينة والمداولات الكثيرة لم يتحقق شيء ، فلم تسلم للبوليس ولا الملجأ ولم يتبنها احد. بـــل تبناها الشارع ، تقضي الصيف على الرصيف الايمن في الظل ، والشتاء على الرصيف الايسر في دفء الشمس ، وتنام في الليل على عتبة الكهل بالقرب من جامعي اعقاب السجائر وبائعي اليانصيب .

وتولى بائع الفول امر افطارها ، فكان يعطيها في كل صبـــاح نصف رغيف به كمية من الفول ، ولا ينسى ابداً ان يضيف اليه بعض الملح والزيت، كما تولى «جابر» امر غذائها: رغيف فيه بعض لحم الرأس . اما عشاؤها فلم يتوله احد فصارت تبيت كل ليلة بدون عشاء. وكان بائع الفول و«جابر» يصرحان مراراً بأن «العبيطة» « وشها يجلب الخـــير » وان مكاسبهما قد زادت منذ جاءت الى الشارع ، ولعله وهم لا يعلمون – كان اقبال الشتاء وما صحبه من برد زاد من شهية سكان الشارع الى«المدمس» ولحم الرأس .

واقبل ديسمبر وتبعه يناير واشتدت وطـــأة البرد ، فكان بائع الفول و« جابر » وبائع الجرائد يسرعون بالعودة الى بيوتهم بعد الظهر. واشتد التصاق جامعي الاعقاب وبائعي اليانصيب ببعضهم اثناء نومهم .

اما العبيطة فلم يبد عليها انها تشعر بتغير الطقس ، فاستمرت تنظر امامها الى قطع الورق يدور بها ريح الشتاء على ارض الشارع وفي عينيها تلك النظرة المندهشة الحائرة ، ترى ما الذي كان يدهشها ويحيرها هكذا ؟

ولكن ان لم تكن هي تشعر بالبرد ، فجسمها يشعر به ، فترى مسام جلدها والشعر الرقيق الذي يكسو ساقيها وذراعيها نافراً وفكها السفلي المدلى ابداً يرتجف بشدة .

ولما كاد الشتاء ان ينصرم تذكرتها اسرة من القـــاطنات في الشارع فتبرعت لها بجلباب وجاكتة من الصوف ، ومنذ ذلك الوقت اصبح هذا هذا الامر تقليداً وواجباً تتناوب اسر الشارع القيام به .

***

ومر عام وثان وثالث و« العبيطة » تنمو وتترعرع في احضان الشارع يتبادلها رصيفاه . وبلغت الطفلة العاشرة . وحاولت بعض نساء الشـــارع

استغلالها في الاعمال المنزلية ولكنها لم تكن تفقه شيئاً . كانــت تأكل وتنتقل الى الظل في الصيف والى دفء الشمس في الشتاء ، وتنام بالليـــل وتصحو في الصباح بالغريزة كما يفعل القط والكلب .

وجاوزت الطفلة عامها العاشر والحادي عشر وبدأت تظهر عليهـــا علامات الانوثة فبرز نهداها واخذت استدارتها تتضح يوماً عن يوم ، وامتلأ ساقاها وردفاها ونحل خصرها وبرزت اطرافها من فتحات جلبابها كأنما قد انكمش فجأة فلم يعد يناسب حجمها .

ويظهر ان احداً في الشارع لم ينتبه الى ان الطفلة قد اصبحت فتاة ، حتى حدث يوماً ان مر بها شابان غريبان عنا فنظر اليها احدهما واطلق من شفتيه صفيراً طويلاً ، ووجه اليها الثاني كلمة غزل مكشـــوف . وسمعت « العجوزة » كل ذلك فانبرت للغريبين فكالت لهما من الســـب اشكالاً والوانا ثم قذفتهما بحجر ؛ واقبل بائع الفول و « جابر » فاسرع الغريبان بالانصراف .

ورأت « العجوزة » ان تأخذ الفتاة تحت حمايتها فحاولت ان تجعلهـــا تغير مكانها وتقف بجوارها ولكن « العبيطة » رفضت فجذبتها العجوز من يدها وتشبثت بها حتى جرجرتها الى جوار قفصها « والعبيطة » تقاوم ، فما ان خلت العجوز يدها حتى عادت الى مكانها الذي احتلته سنـــوات . وغضبت « العجوزة » فاخذت تحادث نفسها ساخطة على الفتاة البلهاء التي لا تدري مصلحتها ولا ما يضرها وما ينفعها .. ثم خضعت العجوز فغيرت هي مكانها ونقلت قفصها الى جوار الفتاة مكررة انها تضحي عن طيب خاطر من اجل المسكينة .

وانقلبت«العجوز» الى واعظة وشغلتها مهمتها الجديدة عن الذباب الذي حط على حلواها السامة فغطاها بطبقة سوداء منه ، فكانت كلماتها المضخمة تتدفق من لسانها الذي يجول ويصول بين فكين خلوا من الاسنـــان . وطفقت تحذر الفتاة من الدنيا الخبيثة والرجـــال الاشرار ، وتشرح لها كيف يفترسون النساء الضعيفات خاصة أمثالها اللاتي لا حامي لهـــن . ثم تعود فتستشهد برب السماء وملائكته بانها قد « عملت ما عليها وخلصت ضميرها .»

ولكن الفتاة لم يبد عليها انها قد فقهت كلمة مما قالته لها « العجوزة » فاستمرت تنظر امامها في دهشتها الخالدة . ويئست العجوز فكفت عـــن نصحها ووعظها الضائع ، وهزت رأسها في اسى وناولتها قطعة من الحلوى وهي تقول : « خذي يا ابنتي كلي وربنا يلطف بك .»

واخذت الفتاة الحلوى واكلتها ، هذا فقط كان ما تفقهه .

***

واقبل شتاء جديد يصحبه البرد الذي يدفع الحمرة الى وجنات السعداء والرعشة الى اطراف البائسين ، وفتاتنا العبيطة تنمو كأن نموها لن يقـف عند حد ، ثم بدأت تسمن وتسمن فكان اهل الشارع يمزحون مع بائع الفول و« جابر » بانهما « يعلفان » العبيطة علفاً جيداً ، فتتصاعد امارات الطيبة الى وجهيهما وهما يستغفران الله ويكرران بانهما لا يبغيان الا وجه الله وان مـــا يعطيانه لتلك المسكينة زكاة عن صحتهما واولادهما .

ثم ...

لاحظ اهل الشارع ان بطن الفتـــاة هو الذي ينمو ويسمن فكانوا ينظرون اليها في تساؤل وشك... هل حقيقي ما نرى ؟ هل وقعت الواقعة ؟ ... لا ... نعم ... لا ...

ثم ...

تأكدت الحقيقة ولم يعد هناك مجال للشك ، ان الفتاة قد حملت .

وانفجر الشارع كأنه خلية اضطرب امرها ، فكثر اللغط والتجمعات وملأ السخط النفوس . وكان على رأس الساخطين بائعا الفول ولحم الرأس. ومن فورة سخطه اندفع بائع الفول الى الفتاة وهو يصرخ فيها :

– يا بنت الكلب ... يا تربية النوارع ... هل كنا نطعمك لتروحي تحبلي في الحرام ... حار ونار في جثتك كل الفول الذي اكلته .

ثم امسك بكتفها يهزها في عنف ويقول :

– من يا بنت الذي فعل بك كذا ؟ من هو وانا اكسر رقبته ؟

ولكنها لم تجبه بكلمة وكيف يمكنها وهي لم تتكلم في حياتها ابداً، بل نظرت اليه بعينيها اللتين ليس فيهما الا دهشة ما وراءها الا دهشة .

وثار غضب بائع الفول فصرخ فيها :

– قولي ، انطقي .

وصفعها على وجهها في قوة .

فارتعش جسد الفتاة واضطربت النظرة في عينيها المركزتين على وجهه، وتصاعد الدمع الى عينيها ثم تصاعد على خديها نقطة بعد نقطة ... ولكن لم يبد عليها انها تدرك انها تبكي .

وتراجع بائع الفول أمام دموع البلهاء وقد تقلصت يده التي صفعتها وانقلب غضبه ضد نفسه .

واقبلت « العجوز » تهرول في جلبابها الماحل الناحل وهي تطلق من فكيها الاهتمين كلمات غير مفهومة ، ولما وصلت الى الفتاة جذبتها خلفها وواجهت اهل الشارع وهي تصرخ :

– إيا كم احدكم يمد يده عليها.. روحوا تشطروا على ابن الكلب..النذل.

ثم رفعت عينيها الى بيوت الشارع كأنها تتهم شخصاً فيها.

– ابن الكلب .. الجبان .. النذل الكافر الذي لا يخاف الله .

ورنت كلماتها بين الواقفين فتراجعوا ورنت كلماتها في اذنيها فبرقت عيناها وقد خيل اليها انها قائمة في برلمان تدافع عن حق الملايين من« الغلابة» امثالها ، او انها في ميدان قتال تدافع عن حياتها التي ضاعت وكيانها الذي لم يكن ابداً .

جالت ببصرها بين المتجمعين في الشارع والمطلين من النوافذ وقد شعرت بانها في اللحظات اللامعة في حياتها فصرخت فيهم :

– اربع سنين في الشارع تتلطم من رصيف لرصيف وتريدون اليوم ان تحاسبوها .. روحوا حاسبوا انفسكم، حاسبوا ضميركم إن كان عندكم ضمير إسلام ولا انسانية ...

ثم تجهم وجهها وهي تخاطب بائع الفول :

– تسألها من فعل هذا... هل تظنه غريباً ؟ انه واحد منكم... واحد

من الشارع .

ووقعت كلماتها على المتجمعين وقع السياط . وهرولت « العجوزة » في نشاط غريب الى قفصها ثم هرولت عائدة وهي تمد يدها بقطعة حلوى للفتاة وقالت لها :

– خذي يا بنت كلي ... الله يلعن اولاد الحرام وقلوبهم الجاحدة .

واستغرقت الفتاة في قطعة الحلوى ، وانفض الناس عنها ، وفي قرارة نفوسهم ضمير يتلوى ألماً فقد عجزوا كلهم عن حماية الصغيرة الضعيفة التي لجأت الى حمام في شارعهم .

ولكن المسألة لم تنته عند هذا الحد ، فقد وقع ذكور الشارع كلهم تحت طائلة الاتهام ..

واصبح اهل الشارع وامسوا فريسة حب الاستطلاع يطاردهم السؤال الذي لم يجدوا له جواباً .. من هو ؟

وكثرت الاتهامات ولكنها بقيت طي الصدور ، واختلفت وفقاً لشخصية المتهمين .

وكان من بين سكان الشارع عدد من طلبة المدارس الثانوية والجامعة ، اجمعوا على اتهام جامعي اعقاب السجائر وبائعي اليانصيب الذين يأوون الى شارعنا بعد انتصاف الليل . وفي ليلة ترقبوهم حين عودتهم فأمسكوا بهم كلهم ثم عزلوا البنات عن الاولاد ، وضربوا الاولاد « علقة » ساخنة جعلتهم يعوون كالكلاب ثم طردوهم جميعاً من الشارع . ومنذ ذلك الوقت لم يعد شارعنا فندقاً لمشردي شارعي سليمان باشا والملكة .

اما بائع الفول و« جابر » فقد اتهما الطلبة وكانا فيما بينهما يتحادثان عن « الافندية العسرة ولامة المدارس » .

وانفردت « العجوزة » باتهام الكهل الذي يقيم بمفرده في الدور الارضي من البيت الذي تقف « العبيطة » بجواره واستطاعت ان تنطق اتهامها له حتى اقتنعت به وكثيراً ما كانت تتمتم لنفسها :

– شايب وعايب .. صوم وصلاة .. ها .. روح الهي تنفضح في جهنم

وهدأت الفورة التي احدثها الاكتشاف الرهيب الذي هز شارعنا ، وعادت المياه الى مجاريها ، وعاد بائع الفول وجابر يقدمان للعبيطة وجبتي الافطار والغداء .. ولكن بقي السؤال الذي لم يجد له احد جواباً يجول في اعماقها الخفية . وافصحت « العجوزة » عن ذلك حين قالت يوماً :

– الشبه سوف يفضحه ونعرف من هو ..

وحلت ساعة الوضع والعبيطة لا تدري ما بها ولكن في جسمها آلاماً تجعل جبينها ينضح بالعرق الغزير وادركت العجوزة ما بها فصرخت من اولاد الحلال ان يطلبوا عربة الاسعاف .

وجاءت العربة فحملت الفتاة الى القصر العيني حيث بقيت اسبوعاً ثم عادت الى شارعنا ثانية وهي تحمل على ذراعها صرصوراً صغيراً يمكن ان تحتويه راحتا اليدين .

وطاف بها اهل الشارع يتطلعون في وجه الوليد ولكنه لم يكن يشبه احداً بل كان بوجهه المغضن اشبه « بالعجوزة » .

وضحك شارعنا للنكتة الطريفة وصاروا فيما بينهم يتضاحكون ويتمازحون

– شفتم يا عمي . الثعلبة العجوزة .

وغضبت « العجوزة » ان تكون هي موضع تنكيت اهل الشارع فقابلتهم بالسب المقذع ، ثم جرفها تيار الضحك فضحكت هي الاخرى ، وكأنما ارادت ان تتحدى الجميع فاستأجرت حجرة في الشارع لها وللعبيطة .

واعتاد اهل الشارع رؤية « العبيطة » تجلس على عتبة حجرتها ترضع وليدها فكانوا يتعجبون من قوة غريزة الامومة .

– سبحان الله يا اخي حتى العبيطة ! وتحركت عواطف الناس نحو الوليد الضعيف وهم يرونه يرضع ثدي أمه وينمو تدريجياً وجسده الناحل يمتلىء لحماً شيئاً فشيئاً فكانوا يرسلون له خليع اطفالهم من الملابس القديمة وزجاجات اللبن وقطع السكر ، وصارت الامهات تتنافس في ابداء عطفهن على « ابن العبيطة » .

وفي يوم جاء شارعنا موظف من مكتب الصحة يسأله عن « ام محمد » ليسلمها شهادة ميلاد ابنها محمد عبدالله . وتعجب اهل شارعنا من تكون ام محمد هذه ومن يكون محمد عبدالله هذا ، حتى افهمهم الموظف انه الطفل مجهول الاب الذي ولد في القصر العيني منذ شهور .. آه ابن العبيطة .

وضحك الناس لطرافة النكتة .. هذه البلهاء اسمها ام محمد ، وابنها له شهادة رسمية مسجلة في دواوين الدولة بان اسمه محمد عبد الله .. ها .. ها

وبين هذه القهقهات وخزتهم ضمائرهم ، كيف حرموها طيلة هذه السنين الطويلة الحق البديهي لكل مواطن في ان يكون له اسم يسمى به ، وكيف يريدون ان يفرضوا هذا الحرمان على وليدها الصغير ..؟

اما « ام محمد » فقد رفضت ان تمد يدها لتأخذ شهادة ميلاد ابنها فوضعها الموظف في يد الوليد الذي اطبق قبضته عليها وصار يهزها وهو يصدر من فمه أصواتاً صغيرة :

ما .. غا .. ما

وعمت الفرحة الشارع واقبل الناس على البلهاء يهنئونها .

– يا ام محمد ابنك يتكلم

اما هي فلم تفقه من كلامهم شيئاً واستمرت تنظر اليهم بعينيها المندهشتين ابداً .

ولكنها رغم ذلك اصبحت منذ ذلك الوقت « ام محمد » .

اسما حليم

عجالة في الشعر الاردني الحديث

بقلم ناجي علوش

انتهت الحرب العالمية الاولى واجتمع الحلفاء ليقتسموا الغنيمة التي كان مهرها الملايين من البشر بينهم ، وكانت الأمة العربية ، تلك الامة التي عاهدت الحلفاء وحاربت معهم ، تنتظر اليوم الذي ستفوز فيه بالوحدة والحرية . ولكن خاب الامل فقد اقتسم الاستعمار البلاد العربية فاصبحت « ولايات » تحت سيطرة الاجانب وكانت فلسطين قسماً والاردن قسماً آخر . اما فلسطين فقد رزحت تحت نير الاستعمار مباشرة بينما عين عبد الله بن الحسين اميراً على الاردن شريطة ان يكون له مستشار انكليزي في عمان . وهكذا عزل كل قطر عربي عن الآخر واصبحت احلام العرب في الوحدة امالاً دونها اجتياز العقاب والصعاب ، واخذ كل قطر يناضل لاستعادة حريته وتحقيق عروبته . في هذه الفترة المظلمة اخذ كل عربي يبحث عن ذاته ويناضل من اجل اثباتها فكان الوعي ... وكانت الثورات . ولا أقول بدأ الاردني يشعر بقوميته الاردنية بل بذاته العربية كما أخذ إخوانه يشعرون بذلك في كل بلد عربي وسارت القافلة في دربها الدامي .

كانت الاردن – شرق الاردن – اسوأ ما يمكن ان تكون عليه بلد ، اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً . ولا بدع ، فان بلداً رزح تحت نير الاستعمار التركي خمسة قرون تحكمه إمارة ويسوده نظام العشائر ، لا يمكن ان تكون حالته محمودة . أما فلسطين البلد الذي رزح تحت نير الاستعمار مباشرة ، فقد كانت ارقى ثقافياً ومادياً ، لخصب ارضها ولقربها من سوريا وكثرة الاديرة فيها ، ولانها كانت محط أنظار الزوار من القديم . زد على ذلك الاصلاحات التي أخذ يجريها الاستعمار فيها لأغراضه ، ولم تكن بالبلد الزراعي ولا الصناعي ، ولكنها كانت متجهة نحو الزراعة .

طوى البلدان قلبيهما على الحقد المحتدم وقد ظهرت نتيجة ذلك سنة ١٩٢٩ في الثورة الفلسطينية الاولى استنكاراً للهجرة اليهودية كما ظهرت نتيجته سنة ١٩١٩ في مصر وسنة ١٩٢١ في العراق وسنة ١٩٢٥ في سوريا . اما الاردن فقد ثار عام ١٩٢٤ عندما رحل الامير عبد الله الى الحجاز . ولما كان الادب هو المرآة التي نستطيع ان نلمس فيها المجتمع ، فعلينا ان نعود اليه ، وخير من يمثل هذه الفترة في الاردن هو **مصطفى وهبي التل** الشاعر الاردني الكبير . ومن يدرس شعر مصطفى يلمس اضطراب تلك النفس التي تبحث عن ذاتها في الحانات وخيام « النوَر » ، تلك النفس الثائرة التائهة التي تستشعر ضعفها فتهرب الى « الخرابيش » لاثبات حقيقتها هناك :

بين الخرابيش لا عبد ولا امة ... ولا أرقاء في ازياء احرار

الكل زط مساواة محققة ... تنفي الفوارق بين الجار والجار

وتريد ان تهرب من الواقع ... الواقع الاسود المؤلم ... فلا ترى ذلك إلا في الخمر :

واسباً لنا إن الزقاق مباءة الأمم السبيه

ثم يلم به طيف ذاته فيصيح :

أوما تراني قد شبعت على حساب الاكثريه

وأكلت بسكوتاً وهذا الشعب لا يجد القليه

وأخيراً يزداد به العطش إلى ذاته فيرى مثالها في « النوَر » :

يا هبر بي فقر كفقرك للاباء وللحميه

ان هذه الثورة المنحرفة المضطربة هي صورة الوضع الصحيحة في الاردن ؛ فلا بدع إذا رأينا مصطفى يقارع الظلم حيناً ويهادنه أحياناً . وأظن ان ما قاله الاستاذ العزيزي بهذا الصدد يكفي ! ولكنني أريد ان أزيد شيئاً واحداً عن « عرار » هو استقلاله الفني ؛ فمن الخطأ ان نقول إنه خيّامي لان بين الاثنين اختلافاً بيناً ، وانا هنا لا انكر تأثر « عرار » السلوكي بالخيّام ، بل أقول إن الخيام كان يشرب ليسعد ، وأمّا « عرار » فقد كان يشرب لينسى آلامه وآلام شعبه ، ليهرب من الحياة . وأزيد ان عراراً كان أوّل من نزل بالشعر من ابراجه وزخرفاته الى الخيام والحانات واستبدل غلظته وجفاوته بالبساطة والحيوية . وقارىء قصيدته « متى » يلمس اعتماده على التفعيلة إلى حدّ بعيد ويكون بذلك من أول ثوار الادب .

لنعد الى فلسطين : فقد اندلع لهب الثورة فيها سنة ١٩٢٩ وقد فشلت رغم بطولتها ، فأخذ العربي يشعر بذاته المهدورة . في هذه الفترة اخذت حالة البلاد تتحسن تحسناً يتفق وحاجة الاستعمار ، وأخذت تنشأ البرجوازية ، واصبحت فلسطين تقاوم قوتين أولها الاستعمار وثانيها الصهيونية . وابرز شعراء هذه الفترة هو **ابراهيم الدباغ** فقد تسنى له ان يتقن العربية فانقاد له البيان وأطاعته البلاغة فأبياته تزخر زخراً قوياً وهي قوية السبك متينة التركيب . وقد كان صوت كل عربي :

أين الفتى العربي المستعان به ... يوم الكريهة هل ضاع الفتى العربي[1]

[1] العدد الثاني من الآداب السنة الثالثة صفحة ٣٣ .

وهو شاعر انساني يتعذب لعذاب الانسان ويرجو له الخير والحرية :

أنا أبكي حرية الناس طراً ... وأراها حصناً لكل العباد

أو كقوله :

تشبع من لذاتهـا امـة ... وأمة في غير محـل تجوع

وقوله :

يا سائلي عن هوى نفسي وبغيتها ... عن الحياة وقد غصت بتكدير
هواي تحرير اهل الارض عن ملأ ... من الغواة واصحاب الدساتير

وقوله :

سمـة الارض ان فيهـا عن البغض تضيـق

ولكنه ينسى كل ذلك فيقول :

مرحبـاً بالموت إن زار واهـلاً بالمنـايا

أو :

وإذا يئست من السعادة فالتمس ... جواً خلا من خسة الانسان

ان هذا لتعبير عن التناقض الذي يفرضه المجتمع . ومما لا شك فيه ان الدباغ من ابرز شعراء العربية في مطلع القرن العشرين . ولشعر هذه الفترة مميزات يشترك فيها الادب العربي كله ، وقد بدأ يتحرر من التعنتات الشعرية ولكنه لم يتحرر من الاغراض القديمة كالمدح والرثاء والهجو والخمريات ، فظلت هذه الصفات غالبة على شعراء هـذه الفترة . وظـل الشاعر لا يعرف حقيقة مركزه ، فأكثر الشعر للكاس والطاس والقدود والنهود ، وما تبقى منه فبخور على أقدام الامراء والوزراء والملوك يسفح . ان مضمون الشعر وشكله لم يتغـيرا ولم يتطورا إلا تطوراً جزئيـاً لدخول الشعر في عصر ثوري جديد ؛ وأبطال هذه المدرسة عندنا هما **برهان الدين العبوشي** و**محمد حسن علاء الدين** وهما لا يختلفان عن الدباغ بشيء ولكل منهما روايـة شعرية تمثيلية [1] تمتـاز بلهجتها الخطابية وعدم انسيابيتها واضطراب فنيتها فما هي إلا قصائد مجموعة متكلفة . وقد توفي الدباغ عام ١٩٤٧ وأجـبرت النكبة الاول عـلى ترك الاردن بينما بقي الثاني يمـدح ويرثي ويهجو حتى الآن .

انني اعتبر عام ١٩٢٩ عام الثورة الاولى ، نقطة تحول في تاريخنا ؛ فلقد ظهرت على المسرح الطبقة البرجوازية الجديدة وهي طفيليات الاستعمار واخذت تشرئب الى السيطرة فأيدها الشعب تأييداً بطولياً دامياً تجلى في الثورة الثانيـة سنة (١٩٣٦ – ١٩٣٩) تلك الثورة التي برهنت على بطولة هذا الشعب واستماتته من اجل حريته . وإنا لنلمس اثر تلـك الثورة اذا قرأنا ديوان الشاعر **حسن البحيري** هـذا الشاعر الذي يعبر باسلوبه الاتباعي الذي ينضح بالابتداعية عن النفس العربية في تلك الفترة ، ويجسم الثورة تجسيماً . ومفهومه البرجوازي الذي يرى بفاروق حامياً ما هو إلا مفهوم الثورة التي كانت تريد الحكم لأي عربي ارستقراطي .

عزيز النيل قد ملكت قلبي ... وبعض قصيده السبع المثاني [1]
تقول لك العروبة وهي تشدو ... بألحان الأماني الحسان
وقفت عليك يا فاروق حامـاً ... أناف على سنمة الاماني

أما بساطته فهي تعبير صحيح عن روح الثورة البسيطة :

كانت لنا الارض مجداً والعلى حسباً ... واليوم نحن فلا مجد ولا حسب
ومن يكن عن وجار الصل في سنة ... أفاقه من كرى احلامه العطب

وهذا لا يمنع ان يعـالج شعره اهم المشاكل كالفقر والاستبداد بأسلوب بسيط مهيج :

ايذود عن فمنا الدخيل رغيفنا ... ويبيحـه في أرضنا الكلابه
ما قيمة الدنيا وما عمر الفتى ... إن لم يدعها من رواة خطابه
ايرى ونير الذل احكم قيده ... في جيده والسوط فوق إهابه

اما شعوره بالوحـدة .... الوحدة العربيـة فرائع وقوي :

لئن فرقتنا اكف الخطوب ... ديـاراً تقاسمهـا المقتسم
فان لنا في طوايا القلوب ... لشملاً تأصـل في كل دم

هذه هي الثورة وهذه هي مفاهيمها . وابرز شعراء هذه الفـترة هو **ابراهيم طوقان** شاعر الثورة . وانا لنلمس في شعره تجديداً بسيطاً في الشكل والمضمون في حدود التجربة الذاتية . غزله رقيق ولكنه ينحدر في بعض الاحيان حتى يصبح مجوناً وخلاعة وتهتكاً وهذا شعره في مطلع حياته . وطنياتـه حمراء ولكنها قليلة . أسلوبـه تصويري ذو نغم موسيقي رائع وهو قـادر على الابتكار واقتناص التشابيـه والاستعارات والصـور . وان كنت تشعر ببساطـة المبنى والمعنى في بعض قصائده مثل « الثلاثاء الحمراء » و « امامك ايها العربي يـوم » وغيرهما فانـك تشعر بروعتهـا في بعض قصائده مثل « الشهيد » و « الفدائي » و « الحبشي الذبيح » .

من قصيدته « الفدائي » :

هو بالباب واقف ... والردى منه خائف
فاهدئي يا عواصف ... خجـلاً من جراءتـه
صامت لو تكلما ... لفظ النار والدما
قل لمن عاب صمته ... خلق الحزم ابكما

---

١ وطن الشهيد ، للعبوشي . امرؤ القيس ، لعلاء الدين .

١ – الديوان – ابتسام الضحى – الفاروقية صفحة ١٩ .

ومن قصيدته « الشهيد » :

عبس الخطب فابتسم　　وطغى الهول فاقتحم
رابط الجأش والنهى　　ثابت القلب والقدم
لم يبال الاذى ولم　　يثنه طـــاريء الالم
نفسه طـــوع همة　　وجمه دونهـا الهمم
تلتقي في مزاجهــــا　　بالاعاصير والحمـــم
وهي من عنصر الفدا　　ومن جوهر الكرم
ومن الحق جذوة　　لفحها حرر الامـــم
سار في منهج العلى　　يطرف الخلد منزلا
لا يبالي مكبلا　　نالـــه أم مجـــدلا
فهو رهن بما عزم

وتوفي ابراهيم سنة ١٩٤١ تاركاً تلميذين اولهما عبـــد الرحيم محمود وثانيهما أخته الشاعرة فدوى طوقان . اما عبد الرحيم فهو لا يختلف عن ابراهيم بشيء في الاسلوب التعبيري وان اختلف في الاداء وطرقه . غـــير أن الاول شاعر الوطنية المظهرية والبرجوازية والثاني شاعر الوطنية الصحيحة العميقة التي تعبر عن احساس انساني عميق يبدو في لزومياته . وقـــد استشهد في معركة الشجرة سنة ١٩٤٨ بعد ان ترك قصيدته «الشهيد» جارية على كل لسان وقد ذهبت تلك البسمة الثائرة التي اعتادت لقيا الحياة مرحة صرخة في صخب الحياة فكان مصداقاً لقوله :

لعمرك اني ارى مصرعي　　ولكن اغذ اليه الخطى
وما العيش لاعشت ان لم اكن　　مهيب الجناب مخوف الحمى
ارى مقتلي دون حقي السليب　　ودون بلادي هو المبتغى
وجسم تجدل في الصحصحان　　تناوشه جارحـات الفلا
كساده الارض بالارجوان　　واثقل بالعطر ريح الصبا
ونام ليحلم حلم الخلود　　ويهنأ فيه باحلى الرؤي

وديوانه لم يطبع كديوان ابراهيم [1] ، وإننا لننتظر تلك الصرخات المرحة التي كان يقذفها عبد الرحيم كالقنـــابل في وجوه الطغاة . اما فدوى فقد تطرفت في ابتداعياتها حتى انك لا ترى في ديوانها « وحدي مع الايام » إلا صوراً مترفة محتشدة وخيالا رائعاً حائراً ونفسية منقبضة ناعمة مذبـــذبة تبحث فيها الشاعرة عن « الأنا » . وفدوى كغيرها من بنات جنسها مغرمة بالطبيعة حتى انها تود ان تذوب فيها ولكنها اشجع منهن جميعاً في اظهار حبها وقد تغير أسلوبها بعـــد النكبة من ناحية المضمون فهي اليوم أول شاعرة وطنية وان يكن قد ظل في اسلوبها رواسب من الماضي القريب كالحيرة والغموض والشك والشكوى ، الاسبـــاب التي جعلت في ديوانها شيئاً من الرتابة . وخير ما تمتاز به شمول الخيـــال النابض بالحياة وعمق العاطفة مع هدوء انثوي جذاب وانطلاق يكاد يكون ملحمياً وان كان ذاتياً الى حد . وقصتهـــا « هي وهـــو » دليل على ذلك . ونذكر من قبيل التـــاريخ الشاعر الفقيد مطلق عبد الخالق الذي تـــوفي ابن عشرين ، وانه لمن الاجحاف ان نحكم على ديوانه ، فشاعريته الفذة لم يمهلها الردى ، والا لكانت من القرائح المبدعة العظيمة . ولنعد الى اثنين من زعماء هـــذه الفترة هما الاستاذ عبد الرحمن الكيالي وابو سلمى « عبد الكريم الكرمي المحامي » وكل منهما شاعر كبير واكب الحركة الوطنية من اولها ، وهما



ابراهيم طوقان

متساويان في قوة السبك ولكن الاول اميل الى الشعر الحر واعمق ، وهو ذو لغة سهلة سائغة وعاطفته الانسانية رصينة قوية . اما اسلوبهما فخطابي غنائي ولكن هذه الصفـــة اقوى في الثاني منها في الاول . وبالاضافة الى ذلك فالاول رصين والثاني عنيف الى ابعد حدود العنف . والذي يقرأ شعر الاستاذ كيالي وديوان ابي سلمى «المشرد» يلمس هذا بوضوح ويرى قوة الاستعارات والتشابيه والخيال في شعر ابي سلمى ، بينما لا يرى في شعر الكيالي غير قوة التعبير . بقي شيء واحد وهو رقة الغزل عند ابي سلمى تلك الرقة التي تشبه رقة ابراهيم ولكنني لا اعرف للاستاذ الكيالي غزلا فاحكم عليه وقد قال لي « ان غزله قليل وعادي » . من شعره الانساني

[1] سيصدر « ديوان ابراهيم » قريباً في منشورات المكتب التجاري ببيروت (قلم التحرير) .

القلق على مصير الانسان قصيدته « صباح العيد» ومنها:

الليل يزحف لاهث الانفاس مبتور الرجاء
وغداً سينطلق الرصاص مفجراً فيك الدماء
اولادك الاطفال من يرعاهم من بعد موتك
اذهب واوص فان ظل اليتم ينشر فوق بيتك

وبعد هذا يصف اطياف السعادة كيف تمر بذلك الرجل ويصف اولاده الفرحين وهم يلعبون حوله يريدون ان يستقبلوا العيد باجمل ما عندهم من الثياب والتحف ثم يقول :

وافاق مذعوراً على الصوت الاصم يروع
اسرع واوص دنا الصباح وعن قريب تصرع

ويشرق صباح العيد فيقول :

اهلا صباح العيد ما احلاك صبحاً ترقب
اطفالي الابرار لا توصى عليهم اذؤب
ان الوصية أن اطفالي بكم لا تنكب
ان الوصية ان اطفالي عليكم تغضب
انا ليس لي طفل ولكن امة تتوثب
اطفال كل الناس اطفالي لذاك اعذب
ستظل من دمي السفيح جراحهم تتصبب
واظل في محراب اطفال الحياة اقرب
فاتقرأ الاطفال في اعيادها اني الاب

ومن شعر ابي سلمى شاعر العنف :

انشر على لهب القصيد شكوى العبيد الى العبيد
شكوى يرددها الزمان غداً الى الابد الأبيد
قالوا الملوك وانهم لا يملكون سوى الهبيد
دكت عروش زينوها بالسلاسل والقيود
. . . .
يا دولة الاصنام خير منك مملكة القرود

وبعد ان يكيل لكل دولة عربية حقها يصيح :

قوموا اسمعوا من كل ناحية يصيح دم الشهيد
يمشي الى حبل الشهادة حالما مشي الاسود
قوموا انظروا الاهلين بين الوعد قاموا والوعيد
او بين ملقى في السجون وبين منفي شريد
او بين ارملة تولول او يتيم او فقيد
تتزاحم الاجيال دامية الخطى حول اللحود .

وجاءت تلك النكبة التي شردت مليوناً من البشر وهزت العروبة هزة عنيفة جعلت كل عربي يلتفت الى الحقيقة. ونحن نلمس هذا في الادب العربي عامة وقد شردت هذه المهزلة كثيراً من شعرائنا كأبي سلمى والعبوشي وحنا جامس وذياب ربيع ولكنها فتحت قرائح جديدة لا في



فدوى طوقان

الاردن فحسب بل في جميع انحاء الوطن العربي . وقد اتحدت الضفتان على اثر هذه المهزلة وكان لهذا أثره الكبير في النهضة الادبية . وقد انتقل الشعر في هذه المدة تحت تأثير الاحوال الخارجية والداخلية بتمثله الثقافات الاجنبية واستساغتها وشعوره بحقيقته وذاته ، اقول انتقل من شعر تقريري تصويري الى شعر مفعم بالحياة . هذا الشعور الذي ينبع من اغوار الانسانية المعذبة يعبر عن آلامها وآمالها تعبيراً دقيقاً عميقاً تتبلور فيه شخصية الشاعر ويظهر فيه الموضوع وحده فيه انطلاقة وفيه انسيابية . وشخصيات هذه الفترة هم الاستاذ **كمال ناصر المحامي عبد الكريم خريس، يوسف الخطيب ، خالد نصره وخليل زقطان**.. اما الاستاذ كمال ناصر فهو وثاب الشاعرية بديع اللفتات الشعرية وكأنه صورة مصغرة عن ابي ريشة ، لهجته خطابية وغزله رقيق وهو ذو مواقف وطنية رائعة ، ولكن شعره ثورات متقطعة مثل العواصف ويبدو عنف ثورته في ملحمته الشعرية « بلادي »

فيا شعب إما اردت الحياة	ورمت السمو ورمت الكمال
فذا ملعب الموت فاخطر به	وشد الى ساحتيه الرحال
فان يد الشعب إن اطلقت	تعلق المجرمين الحبال

ومن شعره :

قسماً «ببايير» ترجهاوهوائها	وسياسة التشريد والابعاد
سأصوغ شعر البعث قربانا له	واصوم عنه ليلة الميلاد

وله ايضاً :

يا اخي اللاجيء عش لا تيأس	فالاسى يحيي كرام الانفس
انما العودة فرض واجب	لربى يافا وبيت المقدس
ها هو الساحل مشتاق اليك	ارضه الخصبة تحتاج يديك
لعنة الاجيال قد تبقى عليك	ان نسيت البيت بيت المقدس

وكذلك عبدالكريم خريس شاعر الاشتراكية والبعث وثوريته اقوى ماوصلت اليه ثورية . لهجته الخطابية قوية جداً حتى لتلمح ابياته تزخر زخراً .

ومن شعره بعنوان (وثبة البعث) :

ولوا الوجوه الى الكراسي واجلسوا	فالانجليز قضى بأن تترأسوا
فاذا الرعاع تذمروا او شاغبوا	قولوا لهم خير الكم ان تخرسوا
وتوجهوا نحو السفير وشاوروا	فالحكم من غير السفارة مفلس
ولوا الوجوه وللمقامر شيدوا	وعلى رفات الابرياء تغطرسوا

لا تخجلوا من جوعهم ان تشبعوا — او تخجلوا من عريهم ان تلبسوا
ولوا الوجوه فشمسنا قد اشرقت — والشعب اصبح للنضال يقدس
انا نقول ونحن نفهم قولنا — ان الحليف هو العدو الانجس
والجيش لا يرضى قيادة غاصب — علج على اوطاننا يتجسس

وعبد الكريم بعيد عن القصة بعد الاستاذ كمال ناصر عنها ويمتاز الاثنان بروعة القائهما . واما ثالثهما الاستاذ يوسف الخطيب فهو دونهما في قوة اللهجة ولكن شعره اقوى زخراً بالحياة واعمق ، واشعاره زفرات ثورية تعبر عما في صدر العروبة ، ورقته في غزله كقوته في وطنيته . والشاعر قوي التعبير جميل التصوير والصياغة ، في شعره انسيابية وطلاوة ولا يفتني ان له قصيدة ملحنة في مدح حسين الاول . وليعد القاريء الى قصائده التي نشرت في الآداب الغراء . وقد صدر له ديوان باسم « العيون الظماء للنور » .

بقي الاستاذان خليل زقطان وخالد نصره ، وقد صدر للأول ديوان اسمه « صوت الجياع » وللثاني جزء من ديوانه « اغاني الفجر » وميزة هذين الشاعرين هي البساطة والشعبية. اما الاول فهو شاعر الخيام .. البؤس ... الفقر ... الثورة فهو صوت كل عربي ثوري :

ما قيمة الانسان يهواها حياة غير حره
ما قيمة الاقوال والاوضاع باعثة لثوره
انا من انا ان لم اثر في كل يوم الف مرة ؟

ومن شعره :

يا شاعري نحن الطليعة والشباب هم الطليعه .
ووعوثة الدرب الطويل تزيد قوتنا المنيعه
والشعب حين يثور لا يثنيه طاغ او صنيعه
فاذا قضينا فالطليعة سوف تعقبها الطليعه .

وقد عالج القصة في شعره ولكنه لم ينجح الا في قصته الغرامية « انتصار الحب » [١] التي يتحدث فيها عن قصة حبه . وهو شاعر الجمهور لبساطة شعره وموافقته لاهواء الجموع ينطق باسمها . اما الاستاذ خالد فشاعر وطني ولكن له سقطات ... كمدائحه ورثائه ، وخياله كخيال صديقه مقصوص الجناح ما طار الا وقع ، ولست اعرف له قصة ناجحة وله من الشعر المبتذل ما ليس لصديقه ، من قصيدته « حيرة شاعر » قوله :

بعدما اعلنت عصيان اله المال وحدي
وتحديت طواغيت الورى كل تحدي
بميدان مرغت فوق الشوك والاوحال خدي
واذابت لفحات السوط ... سوط الظلم جلدي
طفقوا نحوي يشيرون وقالوا .. ذاك شاعر
هم يقولون بأن البؤس سر العبقريه
وبأن الزهد في الدنيا سمو ومزيه
بيد اني كلما قلبت فيهم ناظريه
لا ارى الا صراعاً وحروباً دمويه
انا لو شاركتهم فيها لقالوا لست شاعر

ليس هذا كل ما عندنا من الشعر فهنالك من الشعراء الناشئين جمهرة تبشر بمستقبل زاهر امثال اسد قاسم شاعر البسارية ونايف سليم ابو عبيد وحسين شكري خبط واسماعيل عبد الرحمن اسماعيل والشاعرة سميرة ابو غزالة وغيرهم . وليس معنى هذا اني ذكرت كل شعرائنا فانا لم اذكر الا البارزين منهم وانا اعترف اني صدفت عن شعراء كبار امثال حنا جاسر وذياب ربيع لقلة ما بين يدي من شعرهم .

هذا هو شعرنا وهو شعور العربي بعروبته وانسانيته ، والشعر في الاردن ضعيف في ميدان القصة ، فلم يعالجها معالجة ناجحة الا الشاعرة فدوى طوقان . وشعرنا لا يعتمد على التفعيلة الا قليلاً وهو فيما تبقى بيتي مقطعي غنائي .

وبعد فربما كانت دراستي مجرد محاولة فالموضوع يحتاج الى دراسة اوفى ومراجع كثيرة . ولقد كنت غير دقيق في التقسيم فجعلته تقريرياً تقريبياً . وخير ما اتمنى ان اكون قد قدمت صورة ولو صغيرة عن الشعر في الاردن [٢] .

الفحيص (الاردن)

ناجي علوش

١ صوت الجياع – صفحة ١١١

٢ هناك بعض الشعراء يعيشون على هامش المجتمع ، اذكر منهم الشاعرة الاردنية ثريا ملحس . فان قاريء ديوانها « قربان » – وهو شعر منثور – يشعر بالسريالية والرومانسية والرمزية ، اي انه يواجه طلسمات ورموزاً . وهي على كل حال تعيش داخل مأساتها الخاصة .

مشروع نظرية في

التكوين الشعري

بقلم خيري الضامن

قد يخطيء من يبحث للشعر عن تعريف محيط ، وذلك لسببين : اولهما ان تعريفاً ما لا يمكن ان يحيط كل الاحـــاطة بما تعطيه لفظة « الشعر » من معنى ، ففي طبيعة « التعريف » تحديد لا ترضـــاه طبيعة « الشعر » ، وثانيهما ان التعريف بمعناه التحديدي ، حتى لو وجد بحالة ارغامية ، يكون داخلاً ضمن التأريخية التي تقلل من شأن المادة ، فتختزل المكان ولا تسلط ضوءها الا على الزمانية التي تكون المادة ، موضوع التأريخ ، فتحركه ضمن مجالها .

والتأريخية على هذا ، هي عيش زمـــانية الموضوع على حساب اضمحلال مكانيته. نلحظ ذلك بجلاء خلال تأريخ النتاج الفكري خاصة . والشعر عندما يستحيل الى تعريف ويدخل في المجال التأريخي ، يبدأ تدريجيـــاً عملية تقلص خطوطه المميزة ، اي انه يبدأ عملية التحول من المكانية الى الزمانية .

ان اي تعريف ، غير تأريخي ، للشعر يخرج عن كونه تعريفاً ، ويتحول الى معرفة طبيعة الشعر ودوافع واشكال تكوينه والمراحل التي يمر بها هذا التكوين .. ان هذا ما سنأخذ في تبيانه .

قد نلحظ ظاهرة واحدة على ماسنقوله عن الشعر ، وهي ان الفنون الاخرى وكذلك النثر ، تصدر عن نقطة الانطلاق نفسها التي يصدر عنها الشعر .. وليس في هذا ما يسيء .

ان هناك شيئاً واحداً يجب ان يوجد كي تبدأ سلسلة التكوين الشعري ، هذه السلسلة الطويلة العريضة التي قلما يفكر فيها قاريء الشعر ومتذوقه .. ان « الموضوع » هو الشيء الاول الذي يجب ان يوجد ؛ ولا اعني بالموضوع ما يعنيـــه دارسو الشعر ، بعد ان « يتكون » من انه « هو المضمون » او الفكرة التي توجد راسبة في ما يسمونه « الشكل » ؛ لا اعني بكلمة « الموضوع » ما يعنيه هؤلاء ، لان « الموضوع » هنا وجود قبل وجود الشعر ، بل هو علة اولى لوجوده ، اعني « بالموضوع » المادة الاولى التي توجد في الخارج ، خارج الذات الفردية للانســـان ، وما يسمى « بالمؤثر » . ان هذا المؤثر له طبيعة خاصة هي الاشعاع والبث خـارج المؤثر نفسه ، ومـــادة البث — ان كان له مادة — هي ما يدعى « بالتأثير » .

ويتضح هذا التأثير جليـــاً اذا وجد شيء عنده قابلية على الاستجابة ولكن « المؤثر » يبث « تأثيره » ان وجد الشيء الذي لديه القابلية على الاستجابة او لم يوجد .. ان الطفل الذي يبكي او يضحك ، هذا « المؤثر » الذي يظهر الحزن او السرور يبث « تأثيره » في كل مسافة بينية ان وجد الشاعر الذي يلتقط ويستجيب وان لم يوجد .

ان « المؤثر » الذي يبث « تأثيره » يعطي حياة متحركة لهذا التأثير ، لأن « المؤثر » نفسه لا يكون « مؤثراً » إلا بعد ان توجد فيه الحيـــاة الفنية التي تؤهله لعملية « بث التأثير » .

ولكي يكون « التأثير » ايجابياً ، وجب وجود الشيء المستجيب وجوداً مستعداً للانفصال والاستجابة ، ان هذا الشيء ما هو الا مادة او موضوع آخر يختلف تعقيداً وميكانيكية عن الموضوع الاول « المؤثر » .

وهنا ، في بحث الشعر ، يكون الموضوع المستجيب هو الشاعر بالذات ، هذه « الآلة» التي ليس لهـــا الفضل ، كل الفضل ، في ايجاد الشعر وتكوينه .. اننا يجب الا نؤله الشاعر ، لان ما يقوم به الشاعر من عمل فني يستطيع ان يقوم به اي فنان « مستجيب » آخر .. وواضح كما يقول « اليوت » ان النقد النزيه والتذوق الرفيع يجب الا يتجهـا الى « الشاعر » هذا النوع الخاص من انواع الآلة .

الشاعر هذا الموضوع المستجيب ، انت لا تسميه شاعراً في المراحل الاولى من عملية التكوين الشعري ؟ انت وانا نسمي الشخص شاعراً اذا « انتج » شعراً ، ولكن من الممكن ان يدعى الشخص شاعراً قبل الانتاج ، شاعراً خلال عملية التكوين .. انه مادام يحمل الاستعداد للاستجـــابة للتأثير الصادر من الموضوع المؤثر ، فهو شاعر .. وقد لا يكون شاعراً عندك الآن ، كما قد لا يكون شاعراً عندك

ابنتي

نامي على يدي
يا بسمة الغد
يا همسة الامل
والحب .. يا نهاد
. . . .
نامي .. مضى النهار
وعدتُ مجهداً
أسابق الظلام
لبيتنا الصغير
أسأل في انبهار
عن حبي الكبير
عن طفلتي نهاد
فاسمع الكثير
من امك الحنون
عن لثغة جرت
من ثغرك الجميل
ولفظة شموس
تكسرت غناء
لم يحوها قاموس!
وانت في المساء
ابهى من القمر
وزنبق الوهاد
وانت في المساء
سعادة وزاد
فحلقة السمر
مدارها نهاد
. . . .
وانت في الصباح
كبسمة الربيع
على فم الورود
وانت في الصباح
طياشة اليد
لم ينج لي كتاب
لم ينج لي قصيد
بضمه الورق
فكل ما اراه
في غرفتي مزق
والقطة السوداء
ان هوّمت .. تموء
تموء في الم
وتطلب النجاء
فذيلها أسير
في كفك الصغير
وانت في انتشاء!
. . . .
بقيت يا نهاد
اقلبي الضياء
في دربي البهيم
وكل ما اريد
من هذه الحياة
العود في المساء
اسابق الظلام
لبيتنا الصغير
اسأل في انبهار
عن حبي الكبير
عن طفلتي نهاد

كمال نشأت

القاهرة — من (رابطة النهر الخالد)

بعد العملية اذا لم يكن قد انتج شعراً . ان مجرد وجود القابلية على الاستجابة لدى شخص ما يجيز اعتبار هذا الشخص شاعراً ، بوجه من الوجوه ، حتى لو لم يكن قد انتج شعراً بعد . ان استعداد الشاعر للاستجابة قد يكون فطرياً وجد بوجود العواطف المختلفة في النفس الانسانية الشاعرة . واذا صحت فطرية العاطفة والغريزة تصح فطرية الاستعداد للاستجابة ، لانه من الممكن الظن ان للعاطفة صفة طبيعية تتمثل في ميلها للاخذ والسحب ، اي في اسفنجيتها التي تمص التأثيرات المختلفة ، وعملية المص هذه ليست سلبية بحال من الاحوال ، فالعاطفة لا تقضي على التأثير عندما تمتصه ، والعملية ايجابية تعويضية ، « امتصاص » ثم « تمثيل » ، وهذه العلية اعني تلامس التأثير بالموضوع المتأثر تسير بشكل قد يحلو لبعضهم ان يسميه اثيرياً ، ولكنه بلا شك ، يعتمد على الحواس التي هي واسطة التماس ، ونقل التأثير الى نقطة التأثر ، العاطفة المستجيبة عند الشاعر . وهنا في هذه النقطة تحدث استجابتان او استجابة ذات طرفين احدهما يتعلق بالعاطفة ، اي الموضوع المتأثر ، والآخر يتعلق بالتأثير نفسه ، فيتم اتصال بين التأثير وبين العاطفة ويصبح بشكل « تمازج » يتبعه « حبل » وتكوين « نطفة » فنية ، يحلو للبعض ان يسميها التسمية الغامضة : « الالهام » او « الحدس الراقي » . ان ذلك يحدث في « داخل » الانسان ، وبه تفقد العملية استقلالها وتتحول من كونها الخارجي الى الذاتية الانسانية . ان « النطفة الفنية » تبقى تجول وتتحرك في دخيلة نفس

١ « الاسس النفسية للابداع الفني في الشعر خاصة » تأليف مصطفى سويف . فصل « عملية الابداع – مشكلة الالهام » ص ١٧٥ – ١٨٣ .

لموضوع المستجيب ، الشاعر .. وبوجود امكانيات خارجية وشكلية لدى الشاعر ، تستند اول ما تستند ، على قدرة اسلوبية ، او قدرة على « القولبة » والسبك يتم بواسطتها افراغ النطفة الفنية الى الخارج .

وهنا قد يكون هذا الافراغ[1] بشكل «لوحة» اذا كانت امكانيات الشاعر على « القولبة » امكانيات من نوع خاص يمكن ان تسمى إمكانيات التلوين والتظليل ، وقد يكون الافراغ « سيمفونية » او « تمثالاً » او « سوناتا » لنفس السبب المتعلق بنوعية الامكانيات الشكلية . ومن هذا نرى ان الفنون الاخرى ، من غير الشعر ، تصدر عن نفس نقطة الانطلاق التي يصدر عنها الشعر ، فيحدث التباين شكلياً في المراحل النهائية لعملية التكوين .

ان للامكانيات الشكلية عند الشاعر اهمية كبرى ، وعند هذه الامكانيات يتمايز الناس ويختلفون فيكون شاعراً من كان اقدر الناس على الافراغ بواسطة هذه الامكانيات . والقدرة على الافراغ اذا لم توجد لدى شخص يحس بتجربة شعورية اعتملت في دخيلة نفسه وبدأت تتحرك ، نتيجة لقوة التأثير الصادر عن الموضوع المؤثر ، ولقوة التفاعل المستجيب مع العاطفة ، ان انعدام القدرة على الافراغ ، عند مثل هذا الشخص يسيء إساءة كلية الى الفنان ، ويميت كثيراً من الناس الذين يمكن ان يكونوا فنانين يوماً ما ، اذ يحدث هذا الموت ببقاء ما سمي « بالنطفة الفنية » في نفس الموضوع الحاس المتأثر ، ويبدأ التكدس الكبير للتجارب الاخرى عليها فتطمس تلك النطفة وتمحي خطوطها فتتلاشى . وإذا ذهبنا مع علماء النفس فيما يذهبون اليه صار من الممكن القول ان النطفة الفنية تدخل في مجال اللاشعور ، ذلك العالم المجهول ، واذا بقيت هناك نامت او قل ماتت اذا لم تكن لصاحبها القدرة على الافراغ بواسطة الامكانيات الشكلية ، واذا لم توجد الظروف المبررة « لقفزها » من منطقة اللاشعور الى منطقة الشعور الواعي ، وحينذاك يبدأ الافراغ بالأشكال .

لنعد الى الشعر ، فهو ، في المرحلة الاخيرة من التكوين ، عبارة عن رسم بغير الالوان والخطوط للوحة تسمى «قصيدة» . ان هذا الرسم يتم بالالفاظ المثقلة بالايحاء والتعبير .. فالشاعر اذن هو امهر من يستطيع ان يرسم لوحته الشعرية ، واحسن الشعراء اكثرهم تقنية واجملهم رسماً لتلك اللوحة ، لان المهمة الاخيرة التي بقيت على عاتق الشاعر ، هي ان « يعبر » ادق واكمل تعبير ، ولكي تكون عملية التكوين الشعري عملية ايجابية وجب ان تكون اكثر استطاعة على التعبير ونقل التجربة الشعرية الى « مستهلكيها » من قراء الشعر ومتذوقيه . ولكي تكون القطعة الشعرية معبرة بأمانة عن التجربة ، وجب ان يكون الشاعر ماهراً جداً في كيفية استغلال امكانيات « القولبة » الشكلية ولكي يهذب ويوسع هذه الامكانيات هناك وسائل دراسية كثيرة يعرفها كل منا .

وفيما يخص متذوق الشعر ، يجب ان تحدث اعادة للتجربة ، او اجترار معكوس تؤديه القصيدة للمتذوق . ان نقل التجربة لهذا المتذوق لا يكفي ، والمهم ان يتمثل المتذوق التجربة الشعرية فيعاد بذلك تمثيل نفس الدور معكوساً عن القصيدة . فقراءة الشعر اذن ما هي الا اعادة للتجربة الشعرية ، لان تمثل الفنون عامة يستند على اجترار التجربة التي تتضمنها تلك الفنون اجتراراً واعياً وايجابياً .

البصرة — **خيري الضامن**

---

١ الافراغ هنا – بعكس مفهومه العلمي كوظيفة لطرح المواد الضارة من الجسم الحيواني او البشري – هو تجسيد الفكرة الفنية ، النطفة ، وتوضعها بشكل اثر فني ملموس ، يخرج عن ذاتية الفنان الى استهلاكية المتذوق .

رجل وامرأة...

قصة للكاتب الأمريكي أرسكين كالدويل

وعند فجر باهت الالوان مثل ظلال تركها الليل وراءه ، بلغا الطريق ببطء . لم يكن هنالك من حركة في جسميهما ، ولكن مع ذلك فــان اقدامهما كانت تصارع الغبار الذي اخذ يستقر خلفها بعيد آثارتــه . كانا يرفعان أعينهما مع كل خطوة يخطوانها ، ناظرين نحو الافق ليريا بوادر اشعة الشمس الحمراء . كانت المرأة تشد على شفتها السفلى باسنانها الـتي تمكنها من دفع نفسها خطوة بعد خطوة الى الامام . لم يكن هنالك من طريق آخر تجرجر فيه قدميها واحدة إثر الاخرى ، ميلا إثر ميل . وكانت بين حين وآخر ترسل نشيجاً خافتاً .

« لقد حان الوقت الذي نقف فيه ونستريح ثانية » قال (رنج) ولكنها لم تجبه .

واستمرا على السير .

وعند قمة التل ، واجها الشمس وجهاً لوجه . لقد كان ربعاً مــن الطريق ، قطعه مثل سكين افق لا شجر عنده .

وتحتهما يرقد واد تحت غطاء من ضباب كان يرتفع وئيداً عن الارض . كان بامكانهما ان يريا عدة بيوت ومزارع ، ولكن معظم تلك البيوت والمزارع كان بعيداً عنهما يصعب تمييزه من خلال الضباب .

كان هنالك دخان يتصاعد من مدخنة اول تلك البيوت .

نظرت (روث) الى الرجل بجانبها . وكانت اشعة الشمس الحمــراء بدأت تلون وجهه الشاحب بلون الدم .

ولكن مع ذلك فقــد كانت عيناه لا تزالان ميتتين لا حياة فيهما . نظر كما لو كان يوازن نفسه على قدميه بجهد جهيد ، او كأن اللحظة التالية ستفقده توازنه فيخر بعدهـــا على الارض .

« سيكون بمقدورنا ان نحصل على شيء ما قليل نأكله عند ذلــك البيت الاول » . قالت ذلك وهي تتوقع منه ان يجيب الدقيقة بعد الدقيقة .

« سنحصل على شيء هنالك . » قالت ذلك مجيبة .

« سنحصل على شيء . »

اخذت الشمس ترتفع في الافق حمراء عجلى . تشد بها غيوم سنجابية ، كطبقات من دخان الخشب تسبح عبر وجهها . وكانت الشمس بعيد شروقها تنكمش على نفسها فتؤول الى كتلة نارية تلفح العيون فيستحيل عليهـــا ان تطيل النظر اليها .

« دعنا نجرب اي طريق » قالت (روث) .

نظر رنج اليها في وضح النهار ، نظر اليها لاول مرة منذ ان غابت الشمس في الليلة الماضية .

لقد كان وجهها اكثر شحوباً ، وكان خداها غائرين .

ودون ان ينبس بكلمة ، اتجه سائراً نحو اسفل التل . لم يدر رأسه ليرى ما اذا كانت (روث) تتبعه ، نزل الى اسفل الطريق ساحباً قدماً واحدة من الخلف ودافعاً اياها الى الامام بكل ما اوتي من قـوة . لم يكن هنالك من طريق آخر يستطيع ان يحرك نفسه فيه على الارض .

واذ وصلت (روث) أخيراً ، وقف قبالة البيت واخذ ينظــر الى الدخان الذي يتصاعد من اعلى سقفه .

« سأذهب الى هذا البيت واحاول » قالت (روث) « اما انت يا (رنج) فاجلس واحصل على بعض الراحــة . » فتح فمه ليقول شيئاً ما ، ولكن الكلمات كانت مخنوقة في حنجرته فلم تخرج واحدة منهـا من فمه .

ونظر الى البيت بعتبته المكسوة ونوافذه تغطيها الستائر وبدخانه المتصاعد من المدخنة ، وقد زايله الشعور بأنه غريب في بلد غريب مــا دامت عيناه تقعان على مثل هذه الاشياء .

ذهبت (روث) واجتازت البوابة ودارت حول البيت ، ووقفت عند باب المطبخ ، نظرت خلفها فرأت (رنج) آتياً نحوها عبر الساحة .

وكان احد الناس يرقبها من خلف ستارة لاحدى النوافذ .

« اطرقي » قال (رنج)

جمت اصابع يدها اليمنى وقرعت على الخشب حتى اصاب الاذى يدها التفتت حولها وحدقت سريعاً في (رنج) فهز لها رأسه .

فتح الآن باب المطبخ بضعة انشات واطل رأس امرأة من خــلال الشق . كانت متوسطة العمر سمراء الوجه على جبهتها ندبة طويــلة كما لو كانت نتيجة انفجار وعاء فواكه .

« اذهبا بعيداً » قالت المرأة لها .

« لا نريد ازعاجك » قالت (روث) بأسرع ما تستطيع .

« كل ما نريده هو ان نسألك ان تقدمي لنا شيئا قليلا نأكله إذا كان ذلك بميسورك . بطاطة واحدة مثلاً ، اذا كان عندك،خبزاً ، او شيئاً اخر . »

« لست ادري ماذا تعملان هنا » قالت المرأة « لا اريد ان ارى اناساً غرباء يحومون حول بيتي . »

اغلقت الباب تقريباً ، ولكن ما هي الا لحظة حتى انفرجت فتحــة الباب ، ولاح وجه المرأة ثانية .

« سأطعم الفتاة » قالت أخيراً « ولكن لا استطيع ان أقدم شيئاً ما للرجل . ليس عندي الكفاية لاطعمكما كليكما ، على اية حال . »

والتفت (روث) حواليها بسرعة ، وهي تحفر الارض الرمليــة بكعبيها . التفتت الى (رنج) . هز رأسه بحماس . فقد كان بامكانه ان يرى الكلمة تتكون على شفتيها حتى ولو كان لا يسمعها . هزت رأسها . خطا (رنج) عدة خطوات نحوها .

« سنلتمس مكاناً آخر » قالت (روث)

« كلا » قال الرجل . « اذهبي وكلي ما ستقدمه اليك . اما انــا فسأحاول الحصول على بعض الشيء من البيت الاخر الذي سنأتي اليه . »

ظلت وليس لها رغبة في الدخول الى هذا البيت بدونه . فتحت المرأة الباب قدماً وبعض قدم ، وانتظرت الفتاة ان تدخل .

اما (رنج) فقد جلس على مصطبة تحت شجرة .

« سأجلس هنا وانتظرك تدخلين وتحصلين على شيء تأكلينه انت » قال (رنج) .

مشت (روث) الى الطنف ببطء ودخلت الباب . وبينا هي في داخل الغرفة اشارت المرأة الى كرسي بازاء المائدة ، جلست عليه (روث) .

كانت المائدة تحتوي على بطاطا سخنت قبل ليلة ، وخبز بارد ، وهنا صبت المرأة كوباً من قهوة حارة وضعته بجانب الصحن . وبدأت (روث) الاكل بأقصى سرعة ممكنة . اخذت تشفط القهوة السوداء الحارة وتقضم قطع البطاطا والخبز بينا وقفت المرأة ذات الوجه الاسمر خلفها عند الباب لتتمكن من ملاحظة (رنج) والفتاة بالتناوب . وحاولـت (روث) مرتين ان تزلق قطعاً من الخبز في (بلوزها) واخيراً وضعت نصـف قطعة من البطاطا في جيب (تنورتها) . ونظرت المرأة اليها بريبـة وسألتها :

— « أتذهبان بعيداً ؟ »

« نعم » اجابت (روث) .

« أتيتما من بعيد ؟ » سألت المرأة .

« نعم » أجابت (روث).

« من يكون هذا الرجل معك ؟ »

« انه زوجي » اخبرتها (روث) .

نظرت المرأة الى الخارج ثانية ، واعقبت ذلك بنظرة الى (روث). لم تقل شيئاً اكثر لفترة . وحاولت (روث) ان تضع قطعة اخرى من البطاطا في جيب(تنورتها)،ولكن الآن كانت المرأة ترقبها بدقة اكثر من ذي قبل .

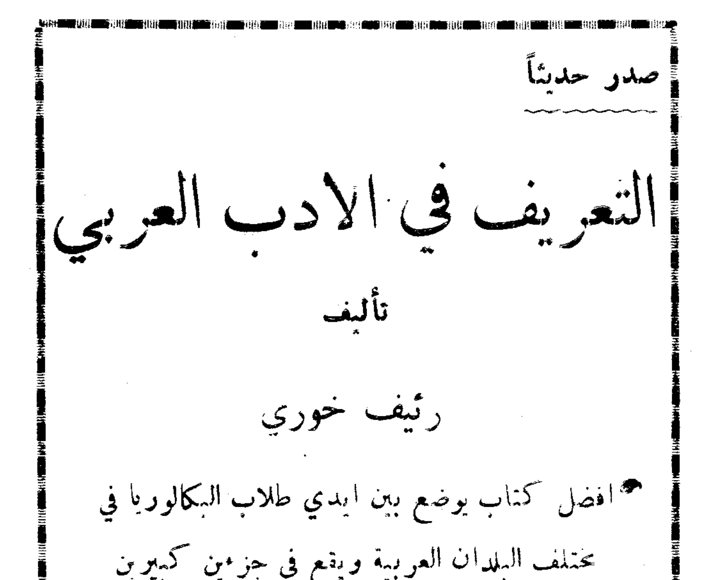
« لا اعتقد ان هذا زوجك» قالت المرأة .

« بلى » اجابت (روث) « انه زوجي » .

« لا استطيع ان احبه رجلاً هذا الذي يجعلك تجوبين المدن تستجدين الطعام كما فعلت الآن ». «كان مريضاً» قالت (روث) بسرعة مستديرة في الكرسي لتواجه المرأة . « لقد كان مريضاً في الفراش خمسة اسابيع قبل ان نبتدىء المسير . »

« لماذا لم تمكثا حيث كنتما ، بدلاً من ان تجشما نفسيكما عناء التجوال ؟ ألا يستطيع ان يحصل على عمل ؟ او انه لا يريد ان يعمل ؟ »

نهضت(روث)،وقالت: «شكراً لك على هذا الافطار،انا ذاهبة الآن.»



قالت المرأة : « اذا اردت ان تأخذي بنصيحتي ، فعليك ان تتركي هذا الرجل حالما تتاح لك الفرصة . فاذا كان لا يريد ان يعمل عملاً ما ، فانك ستكونين مجنونة . »

« انه يعمل ، ولكنه اصيب بنوع من الحمى .»

« انا لا اصدقك . انك تكذبين.»

ذهبت (روث) الى الباب ، وفتحته بنفسها ، وذهبت خارجاً . التفتت نحو الطنف ونظرت الى المرأة التي اعطتها بعض الشيء لتأكله .

« ان كان مريضاً في الفراش كما قلت » سألت المرأة ، تابعة روث نحو الباب،فلماذا نهض وابتدأ تطوافه على مثل هذه الحال دون ان يكون لكما شيء تأكلانه؟»

رأت (روث)(رنج) جالساً على المصطبة تحت الشجرة، وما كان بوده ان تجيب هذه المرأة ، ولكنها لم تستطع السكوت .

« السبب الذي دعانا ان نبدأ السير هكذا هو ان اختي كتبت تخبرني بأن طفلتنا ماتت. فقد كنت ارسلت الطفلة الى بيت اختي عندما فاجأ المرض زوجي . اما الان فنحن ذاهبان لنرى قبرها حيث دفنت .»

نزلت مسرعة وسارت عبر الساحة بأقصى ما يمكنها من سرعة . وعندما وصلت الى ركن البيت ، نهض (رنج) وتبعها الى الطريق.لم ينطق احد منهما بكلمة، ولكنها لم تستطع ان تمنع نفسهـا من النظر الى البيت، حيث كانت المرأة ترقبها من خلال فرجة الباب .

وبعد ان ابتعدا عن البيت مئة قدم او يزيد حلت (روث) (بلوزها) واخرجت قطع الخبز التي كانت تحملها . اخذ (رنج) قطع الخبز منها دونما كلمة . وعندما اكل القطع كلها اعطته البطاطا . اكلها والجوع الشديد باد عليه ، وبينا راح يمضغ ما في فمه كانت عيناه تكلمانها .

سارا قرابة نصف الساعة دون ان يكلم احدهما الآخر .

« لقد كانت امرأة حقـيرة خسيسة » قالت (روث) ولو لم نكن مضطرين للطعام ، لكنت قد تاركة البيت قبل ان آكل ما قدمته الي.»

مضت فترة طويلة لم يقل فيها (رنج) شيئاً . لقد وصلا بطن الوادي وقد كانا في بداية مرحلة في الجانب الآخر في الطريق قبل ان يتكلم.«ربما لو كانت قد عرفت الى اين نحن ذاهبان ، ربما لم تكن وضيعة الى هذا الحد بالنسبة اليك .» قال (رنج) .

انطلقت (روث) باكية .

« وكم ستكون المسافة بعد هذا يا (رنج) ؟

« حوالي الثلاثين او الاربعين ميلاً .»

« هل سنكون هناك غداً ؟

هز رأسه .

« بعد غد ؟ »

« لا ادري .»

« اذا كنا راكبين أفنكون هناك الليلة ؟ » سألت (روث) غير قادرة على كتم بكائها ذلك الذي خنق حنجرتها وصدرها .

« نعم » قال . لو ركبنا فاننا سنصل عاجلاً .»

وادار رأسه وحدق اسفل في الطريق خلفها ، لم يكن في ذلك المنظر من شيء، ثم نظر الى اسفل، الى الارض التي يسيران عليها،عادّاً الخطوات التي يخطوها بقدمه اليمنى وتلك التي يخطوها بقدمه اليسرى .

نقلها عن الانكليزية

بغداد — ابراهيم يوسف المنصور

... وحطمت ذاتي !

... ودار الزمن
وجئت الى الارض ارض الاحن
لقد قيل لي قبل لمس التراب
تراب البشر
ستنعم بالعيش بين الصحاب
وتنسى الضجر
وتنسى حياة الاسى والسدود
حياة « العدم »
وقد كنت بالامس هذا التراب
وليس التراب يضير التراب

***

وفي لحظة مثل لمح البصر
يدور الزمن
وتغمر نفسي رياح المحن
وفوق التراب هنالك فوق التراب
غدوت كأني غريب الوطن !
حليف الشجن
واصبحت اشعر بالوحدة
وبالوحشة
تهز كياني
فتردي جناني
هناك شعرت
واصبحت انفر مما رأيت
وفتشت عن صورتي في الوجود
وجود التراب
تمليت الجث في حفنتي
لالمح ذاتي في التربة
لعلي اطلق من ربقتي
واخرج من عالم الحسرة

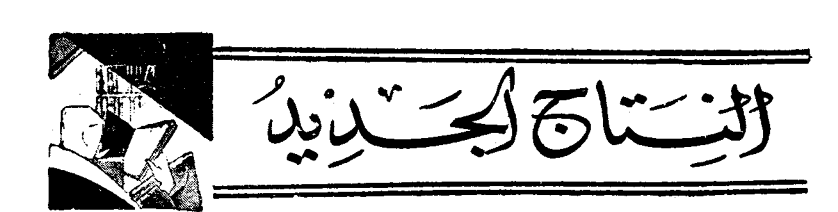
***

لقد كنت بالامس عرفاً شذياً
يضوع شذاه
ولحناً شجياً وصوتاً نديا
يرن صداه
يرن صداه بسمع الزمان
فيبعث في الملكوت الامان
.. ألم أكُ بالامس حراً طليقا
ولا من مريب
وكوني رحيب ؟!
وها نذا الان صرت غريبا
ولا من حبيب
ولا من قريب
بأرض التراب
بأرض البشر !
اسير ولا ادري اين اسير ! ..؟
ولا ادري ماذا يكون المصير ؟
وفي النفس من ظلمات السنين
ومن وحشة الطين
طين القيود
وطين السدود
جراح تسيل

***

ولما تمليت في حفنتي
ولم ار ذاتيَ في التربة
نبذت الذي قدّسوه إليا
والقيت ما حمّلوني صبيا
وحطمت ذاتي
وحطمت ذاتي ضمن القيود
وضمن السدود
وحطمت ذاتي
وما صاحبتها من الذكريات
وكل الذي دار في خاطري
وعدت افكر في حاضري

قصر قفصه (تونس) — **شلفوح علي**



البؤساء

ترجمة الاستاذ منير البعلبكي

منشورات دار العلم للملايين – ستة اجزاء

•

بدأت قراءة « البؤساء » في ترجمتها الجديدة الفريدة التي اصدرتها دار العلم للملايين والقلم في يدي ، وفي نيتي ان اعدد المآخذ واسجلها للنقد . وهكذا خططت خطاً تحت « رأى الى » في قول مسيو ميريبل : « مولاي انك لترى الى رجل ساذج ، واني لارى الى .. الخ » . وخطاً اخر تحت كلمة Palabres الواردة بالفرنسية في المتن العربي . وثالثاً تحت كلمة « سو » التي وددت لو انها ترجمت بكلمة فلس .. وخطوطاً اخرى في مواضع اخرى . ولكن قلمي لم يطاوعني في المضي الى اكثر من صفحات معدودة من الجزء الاول من هذه الترجمة الكاملة لهذه الرائعة الكلاسيكية . ذلك اني نسيت نفسي ناقداً فلم انتبه اليها الا وانا التهم صفحات الكتاب التهاماً ، مترقباً في تشوق ما تحمله الصفحات المقبلة من حلول لمشاكل الاسقف ميرييل التي تخلقها له طيبته ومن منافذ للمآزق التي يتردى فيها جان فالجان ، متأثراً تأثراً يكاد ان يبلغ حد الاستعبار ، كيافع تقع في يده لاول مرة رواية رومانتيكية ، بمواقف الاسى الممض التي تقفها فانتين وكوزيت ، متابعاً في شغف المأخوذ ذلك الوصف الانساني الرائع لمعركة واترلو ، وصفاً تتقارع فيه بوارق البطولة الحق مع بهارج المجد الزائف ، وآلام الجوع الذبيحة مع امجاد القادة الجلادين ، وتصاريف القدر مع خطط العباقرة ، وحقائق التاريخ مع شطحات الخيال .

والحق اني شغلت بالبؤساء انفسهم عن نيتي في نقد ترجمة قصتهم . ولعل الاستاذ منير البعلبكي ، هذا الذي رضي لنفسه ان يقوم بهذا العبء الثقيل في ترجمة رائعة فيكتور هيغو ، يرضى عني اذا قلت له اني نسيت جهده في الترجمة ، فلم اقدر هذا الجهد حق قدره الا بعد ان فرغت من قراءة الاخير من الاجزاء الستة التي اخرجها للناس حتى الآن . بل لعل فيكتور هيغو ، ومثله مثل كل روائي وكل كاتب قصة ، اكثر رضى عن نفسه اذا نسيه الناس اثناء قراءة قصته فلم يذكروا جهده فيها الا حين يرون اسمه تحت العنوان وحين ينتهون من قراءتها بالاعجاب . ذلك انه على خلاف الشاعر الذي يصف لك مشاعره ويريدك على ان تحياها معه متذكراً انها دوماً له ، وعلى خلاف الكاتب الذي يبسط لك اراءه ويريدك على ان تقتنع بها مع بقائها آراء له غير متنازل عن نسبتها اليه . على خلاف هذا وذاك كاتب القصة ، فهو يصف لك اجواء ويروي لك احداثاً قد يكون اختلقها اختلاقاً او قدّها من ذات نفسه او من تجاربه ، ولكنه يجهد كل الجهد في ان يقنعك بانها اجواء قصته واحداث ابطال قصته وان ليس له منها غير حق الرواية . وعلى قدر فوزه في اقناعك بذلك يكون نجاحه في محاولته وابداعه في فنه .

ولست في سبيل تبيان قيمة البؤساء كقصة بعد ان احتلت ، عند اجيال القراء المتعاقبة منذ نحو من مائة عام ، مكانتها في قمة الادب العالمي واسبغ عليها وصف الكلاسيكية وهي رائعة من روائع الرومانتيكية . من الطبيعي ان يندمج القارىء في جوها وينسى نفسه بين احداثها . ولكن الاستاذ منير البعلبكي الذي ترجم هذه القصة الى العربية قد تصرف في ترجمته كأنما اراد ان يخرج القارىء ، متعمداً ، وفي كل صفحة من صفحات القصة ، من جو الرواية الذي يعيشه والذي ينقله اكثر من مائة عام الى الوراء وآلاف الاميال الى الغرب ، لافتاً نظره في كل لحظة الى انه انما يقرأ ترجمة لقصة غريبة عنه وضعها كاتب بعيد منه . يبدو هذا التصرف من الاستاذ البعلبكي في الحواشي والشروح التي تزدحم بها صفحات الكتاب وتكاد ان لا تخلو منها صفحة واحدة . وقد اشار الاستاذ البعلبكي نفسه الى ان ترجمته هذه العربية هي وحدها ، بين الطبعات المختلفة للنص الفرنسي والترجمات العديدة للبؤساء في سائر اللغات الحية ، التي تنفرد او تمتاز بشروح مثل هذه الشروح . فهل مر في خلد الاستاذ المترجم ان هذه الميزة التي تحاماها قبله مؤلف الرواية ومترجموها انما تحاموها لغرض ؟ قد يكون هذا الغرض ان لا ينغّصوا على القارىء اندماجه في جو القصة ومعايشته لابطالها في الوان الحياة التي يحيونها بين سطورها .

اذا كان شيء مثل هذا قد مر في خلد الاستاذ البعلبكي فلا بد انه قد وازن ، في الجهد الكبير الذي تكلفه في تحقيق هذه الشروح والجري وراء مظانها ، بين الفائدة التي يجنيها القارىء العربي من الالمام بتراجم الشخصيات التي يستشهد بها فيكتور هيغو او يتمثل بمواقفها في التاريخ والفن والادب وبين الهزات التي تعكر انصرافه الى متابعة احداث القصة حين يحول بصره من السطور في اعلى الصفحات الى النجوم في اسفلها ، فرجحت عنده ، عند الاستاذ البعلبكي اعني ، كفة العـــلم على كفة المتعة وامانة الباحث على ايحائية الروائي .

ان اتقان الترجمة والجهد في حسن اخراج الاثر الروائي وحسن انتقاء الرائعة المعدة للترجمة بين الآثار الادبية العالمية ، وكلها عادة عودتنا عليها دار العلم للملايين ، قد تجلت على خير صورة في ترجمة البؤساء هذه التي هي بين ايدينا . وان جهد الاستاذ منير البعلبكي في اخراج هذا الاثر ، جهده في الترجمة بالاسلوب العالي وفي الشروح الدسمة على منغصاتها ، جهد يقل فيه الشكر جزاء ويصل فيه الاعجـاب الى حد العجب من قدرة الاستاذ البعلبكي على وفرة الانتاج على هذا المستوى من الوفرة والقوة . وليس لنـــا بعد هذا ونحن في ارتقاب صدور اجزاء البؤساء المقبلة من دار العلم للملايين وبقلم الاستاذ منير البعلبكي الا ان نحمد حظ القارىء العربي ان اتيحت له في غمرة تعطشه للقراءة دار لا يغريهـــا الربح الهين بتقديم النفايات ومسخ الروائع ، ومترجم يأخذ على عاتقه ما تنوء به العصبة من اولي العزم فيحقق ظن المحسنين به الظن ويزيد في التحقيق على ما وعد وأمّلوا .

الرقة – سورية **عبد السلام العجيلي**

صراخ في ليل طويل

رواية لجبرا ابراهيم جبرا

مطبعة العاني – بغداد – ١٠٤ ص

•

يخيل إلي ان الناقد في هذا الكتاب يحتاج إلى عدّة أحدّ وأمضى من العدّة المألوفة التي يستخدمها المعلقون على الكتب عندنا . فمن قراءة ما تكتبه الاكثرية من هؤلاء المعلقـــين يستشف المرء فهمـاً يقصر عن العمق – فهماً لا يحيـط بقضية القصة من نواحيها الكثيرة . فالتقنيـة في هذا الكتاب تـكاد تكون امراً لا عهد للقصة العربية به ، لانها تعتمـد على سرد ذي محتويات كثيرة . ولا بـــد من رؤية هذه المستويات المتباينة التي يعرضها الكاتب لنا في وقت واحد ، قبل ادراك البراعة الفنية التي ركبت بها القصة .

« صراخ في ليل طويل » قصة ليلة واحدة . ولكن الليل هنا ، فضلاً عن كونه حقيقياً نكاد نشعر بمرور الساعات فيه ، هو ايضاً ليل رمزي . انه ليل المحنة ، ليل التجربة القـاسية ، الليل الذي تجتمع فيه ظلمات يأس متشعب . وما القصـة الا توغل في شعاب هذا الليل . وهو ليس ليل فرد واحـــد فحسب ، إسمه امين سماع ، زلقت رجله على حافة الهاويـة ، بل انه ليل عاشت فيه اسرة ، كأسرة ياسر ، قروناً متوالية . إنه ليل الفرد وليل المجموع .

فالقصة في سيرها العام عبـــارة عن نزول الى الجحيم – وهو نزول الى امكنة العذاب قبل النجاة الى الطرف الآخر من الحيـــاة . ومعظم القصص التي تركت اثراً في الادب الروائي ، ليست الا ضرباً من هـذا النزول الى الجحيم . انها رحلة ليلية لا بد منها قبل بلوغ النهـــار في الطرف الآخر البعيد .

ولعل هذا هو السبب في ان امين ، في كل كلمة يقولها ، يضع جزءاً من نفسه . وهو دائماً جزء ذو وجهين على الأقل ، مشرق ومظلم . ويشتد الاشراق وتشتد الظلمة بالمقابلة بينهما باستمرار . ولا شك في ان المؤلف ، جبرا ابراهيم جبرا ، انما يشير الى طريقته في سرد قصة امين ، حين يجعله يقول : « بعد

ان عانيت ما عانيت زمناً ، حاولت ان اجد موقفاً من الحياة يتعادل فيه الربح والخسارة ، الامتلاك والاملاق ، ويكون لكل منها في حياة الفرد غرض مماثل وقيمة متساوية ؛ ولكن كان علي ان اجد النقطة التي تتوازن فيها الاضداد ، والشكل الذي تترتب فيه الالوان ، قاتمها وزاهيها ، بانسجام . فقلت افعل ذلك عن طريق الكتابة ... »

فهذه الومضات او الارتدادات الزمنية ، التي تسمى بالانكليزية Flashbacks ، انما هي القطع او « الاضداد » التي يحاول البطل ان يوازن بينها (حتى الزهور الصفراء التي تقترن بالموت فيما بعد بلهيب الشمس وتصبح « شارة للنضارة والحياة ») . وهذا الضرب من الكتابة في القصة العربية ، فيما اعلم ، جديد ، تتجلى فيه اهمية الزمن في التكنيك القصصي . اننا نرى الزمن هنا على مستويين اثنين : المستوى المستمر (الواعي) من نقطة الى اخرى (من المساء الى الصباح) ، والمستوى المنقطع (اللا واعي) الصاعد النازل في اغوار الماضي — أغوار التجربة — التي تشكل تضاريسها الخفية شكل السطح الذي نراه . وهذه طريقة في السرد نجدها في روايات فرجينيا ولف وفوكنر ، وتمت بصلة قوية الى جيمز جويس في كتابه « يوليسيس » .

ثم ان صاحب هذه القصة — وهنا نأتي الى المستوى الفكري — يجمع الى السرد حواراً تمتاز به قصصه الكثيرة الاخرى . وهو حوار جماعة من الاذكياء (تتخلله الارتدادات الزمنية) رأينا مثله في قصصه التي اذكر منها « السيول والعنقاء » و « اصوات الليل » و « نوافذ مغلقة » و « عرق » مما نشره في مجلتي « الاديب » و « الآداب » . ولعلنا هنا نرى تأثير الدس هكسلي الذي تتخلل رواياته كلها أحاديث مسهبة عن الحضارة والدين والفن وغيرها . غير ان جبرا يصل حواره بتحليل نفسية المحدث او تحليل المجتمع الذي يعيش فيه . والمجتمع الذي نراه في « صراخ » مجتمع مفصوم ، يقف فيه الفقر موازياً للثراء ، والانتقال فيه من الاول الى الثاني ، او بالعكس ، هو انتقال عسير يكاد يشطر شخصية المنتقل الى شطرين . فامين سماع في الواقع مصاب بهذا الانفصام في الشخصية ، وهو انقسام تبرزه سمية بهربها من امين ، ولكن شخصيته تعود فتلتئم بشقيها حين تعود اليه سمية فيدرك انه لن ينجو الا برفضها .

ان في « صراخ » سخرية وكثيراً من المرارة ، وقد وضعها المؤلف في اسلوب صلب ، يتفق وشخصية البطل الذي يسرد القصة ، فهو يتحاشى المبالغة اللفظية ، ويسمح للعاطفة بان تسير في مسارب تشتد قوتها بكبحها . انه يلقي بنا في الشارع رأساً ، لنلقى الفتاة الغامضة التي تشير الى حذائها قائلة : « انظر ! » ، والشرطي الباحث عن بطاقات الهوية (وسكان فلسطين ايام الانتداب البريطاني ادرى بمعنى ذلك) وصاحب المقهى والمتسول الذي يقذف به الظلام عند اقدامنا ليلتقط عقب السيكارة ، والغريب المقبل علينا

د كلها تفاصيل ، اشبه بتفاصيل فلم سينمائي ، تهيىء لنا الجو. انها اشياء حقيقية ملموسة ، ولكنها ايضاً - كالليل الطويل - رموز تتواتر وتتضخم ، إلى ان يمسي المتسول وصاحب المقهى وسكان الحي الغريق بالفيضان جمهوراً هائجاً يقذف باحد اسلاف آل ياسر في محرقة ملتهبة ... فالاسلوب يبدو تقريرياً ، ولكنه في الحقيقة اسلوب شعري كثير الرموز ، وليس ما فيه من « تقرير » إلا خدعه قصصية رائعة .

من بين هذه الرموز اود ان اشير الى رمز المطر . إننا نجد المطر يبدأ تقريباً كل مرحلة من المراحل المهمة «الحاسمة» في حياة امين . فهو في كل مرة إذن او تبشير بشيء جديد . انه مقدمة البعث من الموت .

ثم ما هذا « التمثال » الذي تتكرر الاشارة إليه ؟ يتمنى امين لو يرى تمثالاً في اعلى المدرّج في بيت سليمان شنوب ، ولكن عبثاً. ثم نرى ان سمية بقدها المرمري تشبّه بالتمثال ، ولكننا نجد التمثال الحقيقي في حديقة قصر ركزان ، واذا هو تمثال اغريقي لافروديتي تتمثل فيه مقاومة الفن للزمن : « اي عواصف ساطتها واي امطار غسلتها واي شموس قبلتها في مئات السنين الغابرة ، وهي واقفة وقفة الغنج تغطي وسطها بيد مستطيلة الاصابع ؟ » وفي نهاية القصة تقترح ركزان تقديم التمثال هدية الى امين . فاذا كان التمثال رمزاً للفن ، حق لنا ان نستنتج ان المؤلف جعل من الفن رمزاً للسعادة الذهنية التي يبحث عنها البطل ، كما جعل الكتابة « النقطة التي تتوازن فيها الاضداد » . وهكذا يغدو الفن وسيلة من وسائل النجاة . ولا ريب في ان القارىء المدقق سيرى رموزاً كثيرة غير هذه .

هذه القصة المترعة سطراً سطراً ، إذن ، بمستوياتها الكثيرة وتركيبها المعقد الدقيق ، مغنم للقصة العربية المعاصرة . إنها تعزز مكانة جبرا ابراهيم جبرا في الطليعة من القصاصين العرب اليوم. ولا بد لي من القول بانني دهشت جداً حين علمت انه كتبها عام ١٩٤٦ ... تسع سنوات تركها مطوية بين اوراقه ...

بغداد

حسن نافع الدليمي

جائزة نوبل تمنح لكاتب تقدمي

كانت جميع انظار الادباء في العالم متجهة الى ستوكهلم يوم ٢٨ تشرين الاول الماضي ، في انتظار اعلان الفائز بجائزة نوبل للآداب لعام ١٩٥٥ ، وكانت الاوساط الادبية في العاصمة السويدية تردد اسماء كثيرة ، بينها اسماء روسية او يسارية على الاقل ، كان المعتقد ان منح احدها جائزة نوبل يشارك في تعزيز روح جنيف التي ازالت كثيراً من التوتر بين الشرق والغرب . ومن اجل هذا ، كانت الشفاه تتداول اسم الشاعر بوريس باسترناك B . Pasternak . ولكن اسماء اخرى ظلت تتردد بين المجمع العلمي السويدي وعلى رأسها الاديب الايسلندي هلدور لاكسنس Haldor Laxness الذي انتصر عليه همنغواي في العام الماضي والذي هو معروف بميوله الى اوروبا الشرقية . كما تردد اسم الاديب المصري الكبير الدكتور طه حسين الذي تزداد حظوته الادبية في الاوساط العالمية ، والاديب اليوناني نيكوس كازانتزاكي N . kazantzakis ، والمكسيكي الفونسو رايس A . Reyes ، والفرنسيين اندريه مالرو Malraux وسان جون بيرس Perse .

وقد التأم المجمع السويدي في الساعة الثامنة من بعد ظهر الخميس ٢٨ تشرين الاول الماضي ، فلم تكد عشر دقائق تمر حتى اعلن المجمع فوز الكاتب الايسلندي هالدور لاكسنس بجائزة نوبل . والجدير بالذكر ان الفائز كان موجوداً في مدينة « غوتمبورغ » بالسويد ، وكان يهم مساء الاربعاء بالسفر الى كوبنهاغ بالقطار الحديدي ، فتسلم في مركز الجمرك رسالة لم يكد يقرأها حتى عاد ادراجه الى غوتمبورغ : ولم يشك احد في ان الرسالة كانت تعبر له عن رغبة المجمع العلمي السويدي في ان يظل ، حتى الغد ، ضيفاً على السويد .

وقد تلقى لاكسنس نبأ فوزه بالجائزة بدون حماسة . وصرح بقوله «منذ سبعة اعوام يرددون اسمي للفوز بالجائزة ، مما أضجرني حقاً . اما قيمة الجائزة (١٩٠٬٢١٤ كورونا ، اي ما يساوي ١٢٠ الف ليرة لبنانية . .) فأنها لم تفرحني كثيراً ، لان الضرائب باهظة في بلادي . ولا شك في ان الحكومة ستأخذ ٥٠ بالمئة من قيمة الجائزة ! »

والملاحظة الاولى التي يوحي بها اختيار لاكسنس للجائزة ، ان المجمع العلمي السويدي يخرج عن العرف الذي كان سائراً عليه بان يمنع جائزة نوبل الكتاب التقدميين . ولئن كان لاكسنس ينفي انه شيوعي ، فان اعماله وآثاره تضعه في الطليعة من اليسارية المناضلة .

وقد اشار الدكتور اوسترلنغ السكرتير الدائم للمجمع العلمي الى ان لاكسنس يفوز بالجائزة « بسبب لون آثاره الفنائية التي جددت الفن الادبي الايسلندي» واضاف الى ذلك قوله : « وهو قد اعطى معنى سياسياً للأمر المسيحي « احبوا بعضكم بعضاً » »

هالدور لاكسنس

وقد اتبع الكاتب الايسلندي في ذلك تطوراً يشبه تطور كثيرين من المفكرين في زمننا : فقد ربي في صغره على الاتجاه البروتستانتي ، ولكنه اخذ يميل الى الكاثوليكية ، وهو يصف ذلك الآن بأنه « ازمة من ازمات الشباب ».

غير ان القلق ما لبث ان عاوده ، فسافر الى الولايات المتحدة ، وسرعان ما اصبح صديق الادباء التقدميين امثال دريسر Dreiser وسنكلر لويس S . Lewis ولا سيما ابتون سنكلر U . Sinclair . وكان ان اكتسب حبه لوطنه الايسلندي معنى جديداً واتجاهاً اجتماعياً نجد

السويد

أثره في جميع مؤلفاته . وقد ولدت افكاره الجديدة من ثورة عارمة على الوضع الزري الذي كان يعيش فيه صيادو ايسلندا ، فاذا هي تدخل شيئاً فشيئاً في خط الادب الملتزم . ولا شك في ان روايته المثلثة « اجراس ايسلندا » التي ظهرت في اثناء الحرب والتي يصور فيها نضال الايسلنديين في القرن السابع عشر ضد المحتل الدانمركي تضعه في صف اكبر الكتاب الذين حاربوا الفاشتسية ، وان كان اسلوبها لا ينال رضى الفنيين .

وحين اقام الاميركيون قواعدهم العسكرية في ايسلندا ، تحول لاكسنس الى مناضل كبير اخذ ينشر مقالات عنيفة في صحف ايسلندا ، هذه البلاد التي هي في رأيه « احدى بلاد العالم الاكثر ثقافة وعلمـــاً » ويضيف لاكسنس « إن في أصغر مدينة من مدننا عدداً من الشعراء يكفي لوضع مجموعة كاملة من شعرهم للتداول » . وهو قد وضع رواية بعنوان « المحطة الذرية » يفضح فيهـــا المحتل ويدعو مواطنيه الى نبذ الحلف الاطلنطي والتأثير الاميركي ، وذلك بواسطة عمل سيـــاسي واضح وفعال .

على ان القيمة الحقيقية لموهبته الكتابية ولقوة فكرته وغنى قريحته هي التي تحوز رضى القراء ، بما فيهم اعداؤه . وقد كانت رواية « الرجال الاحرار » التي صدرت قبل الحرب تعتبر من اروع الروايات في الولايات المتحدة ، وقد ترجم لاكسنس الى الايسلندية رواية « وداع السلاح » لهمنغواي صديقه .

هذا وقد ولد لاكسنس في « ريكجافيك » عاصمة ايسلندا عام ١٩٠٢ وتلقى دراسة بسيطة لم تبلغ به اية شهادة ؛ وقد عمل بائعاً للحليب فترة من الزمن ، ثم سافر الى اوروبا واميركا ، ونال عام ١٩٥٣ جائزة مجلس السلم العالمي . وتدور موضوعات كتبه على بعض مظاهر التاريخ والفولكلور والمجتمع الايسلندي . وقد نشر عام ١٩٣٠ رواية « سالكافالـــكا فتاة ايسلندا » التي ترجمت الى الفرنسية ، وعام ١٩٣٥ « الرجال الاحرار » حول فلاحي ايسلندا الصغار ، ثم رواية « اضواء العالم » باربعة اجزاء وبطلها الشاعر الشعبي « اولافور كارسون » ، وفي عـــام ١٩٣٨ « القصر الصيفي » وفي عام ١٩٣٩ « بيت الشاعر » وفي عام ١٩٤٠ « جمال السماء » . وقد ترجمت كثير من هذه الآثار الى اللغة الانكليزية .

ويعتبر لاكسنس احد زعماء حركة المناضلين من اجل السلام ؛ وقد اراد المجمع العلمي السويدي بمنحه الجائزة ان يشارك في ازالة التوتر العالمي . ولكن الاوساط الادبية تقف حائرة بعض الشيء امام هذا الاختيار وتتساءل بقولهـــا : مادام هذا اختياراً « موجهاً » فلماذا لم يمنح المجمع الجائزة الى ميخائيل شولوخوف فهو ليس شيوعياً فقط ، بل هو روائي من اكبر روائيي عصرنا ؟

اليونان

كازانتازاكي .. فكر عالمي

يأتي في طليعة الروائيين اليونان المعاصرين الكاتب الكريتي نيكوس كازانتزاكي N. Kazantazaki الذي رشحته الاوساط الادبية العالمية هذا العام لجائزة نوبل . وهو يعتبر الى جانب الياس فينيزيـــس I. Venezis اكبر الروائيين المحدثين في اليونان . وقد صدرت له اخيراً رواية احدثت ضجة كبيرة في اوساط المثقفـــين بعنـــوان « الكسيـــس زوربا » Alexis Zorba .

وكازانتزاكي فكر عالمي ، تغذى بالثقافة الفرنسية ، وحضر محاضرات برغسون في السوربون ، وهو يعشق السفر والرحلات ، ولكنه يحتفظ بروح بلاده الخاصة ، ويمارس المسرحية والشعر والقصة والرواية والدراسة . وقد ترجم دانتي وغوته الى اللغة اليونانية الحديثة ، ولعب دوراً هاماً في السياسة منذ تحرير بلاده ، وتولى رئاسة الحزب الاشتراكي والـــوزارة ومهمة رئيسية في الاونسكو ، ثم تخلص من مهامه الرسمية ليكرس جهده للادب .

وقد صدرت له منذ حين رواية اخرى رائعة بعنوان « المسيح مصلوباً مرة ثانية » وهي تدور في قرية اثناء عيد الفصح حين اجتمع الاعيـــان ليعينوا الفلاحين الذين سيجهدون ، طوال عام ، ليمثلوا حياة المسيـــح وآلامه .

ويجد القارىء في « الكسيس زوربا » هذا المزيج نفسه من الصوفية والواقع . وقليلة هي الكتب التي تعطي كهذا الكتاب حساً للارض التي تصفها : فالقارىء يكاد يستنشق رائحة تلك الجزيرة الكريتية الغارقة في البحر « الذاهبة مع السماء » والتي لا تزال فيها العادات القديمة قائمة ، والصراع ضد الاتراك محفوراً في الذاكرة ، والشعب في فقره وكرامة حياته اليومية يبدو متوحشاً ومتمدناً في وقت واحد .

ثم ان الرواية غنية بالمغامرات المدهشة والتفاصيل البارزة التي لا يأتي بها المؤلف لتسلية القارىء فحسب ، ولا لعرض اللون المحلي فقط ، بل لانها تندرج في جوهر القصة واساسها ، وتكسبها كثافة وجدة .

والراوي فيلسوف ومتأمل يدرس الفكرة البوذية . وقد تركه خير صديق له ليقوم برحلة خطرة ، وتواعدا على انه « اذا وجد احدهما نفسه في الخطر ، فكر بالآخر تفكيراً عميقاً جداً حتى يشعره بمكان وجوده .» ويغادر الراوي اثينا بدوره ويحاول ان يمارس عملا ما ، فيستأجر على الشاطىء الكريتي منجماً مهجوراً يحاول ان يستغله ، فيلتقي صدفة بشخص غريب في الستين من عمره يدعى الكسيس زوربا فيأخذه مديراً للمنجم واية شخصية عجيبة هي شخصية زوربا بتجاربه ومغامراته ونضارة روحه ! انه زير نساء ومع ذلك فهو يحتقر النساء ، وهو لا يحترم الدين ولا الكهنة ، ومع ذلك فهو عميق الايمان ، وهو نهم يعشق الطعام ومع ذلك فهو زاهد فيه ، وهو مخلص امين لاصدقائه القلائل ، ومع ذلك لا يتورع عن السرقة الخ .. وهو يغني ويعزف على آلته الموسيقية الخاصة ويرقص ليعبر عن افراحه ... رجل بسيط لا يحسب حساباً لشيء ، ويكاد بطبيعته يقترب من جوهر الحياة الحقيقية اكثر من الراوي الذي يظل ممزقاً بين كتاب يريد ان يضعه ولاينجح في ذلك لانه لاينجح في ادراك الحقيقة وبين رغبة في حياة اكثر طبيعية وحيوانية . على ان زوربا يستشعر قلقاً يكاد يكون ميتافيزيقياً ، وهو يستغيث بسيده لتبديد هذا القلق ، والا فما فائدة الكتب اذا لم تفدنا في اضاءة مصيرنا ؟

ولكن الراوي لا يستطيع الاجابة لانه يشعر شعوراً عميقاً بان «اعلى قمة يستطيع الانسان ان يدركها ليست هي المعرفة ولا الفضيلة ولا الطيبة ولا النصر ، وانما هي شيء اعظم من ذلك كله واكثر بطولة واوفر يأساً ، هي « الخوف المقدس » .

وفي نهاية الكتاب ، يفترق الراوي وزوربا . وفي تلك اللحظة يكون الراوي قد انتصر على اعدائه الداخليين فيعلم ان صديقه مات في مكان بعيد . وتمر السنون ، ويكتب زوربا الى الراوي بين وقت وآخر فيعلمه انه تزوج مرة اخرى ، وانه عثر على حجر اخضر جميل ، ثم يموت وهو يهتف : « لقد عملت اشياء كثيرة ، وليس هذا كافياً مع ذلك . ينبغي للبشر الذين هم مثلي ان يعيشوا الف عام . » وهو يهدي آلته الموسيقية الى معلمه القديم . واذ ذاك يأخذ هذا في كتابه اسطورة زوربا لانها قصة روح كبيرة مشدودة الى روحه برباط لا ينفصم .

قد يوحي هذا التلخيص للكتاب بانه رواية مجردة ، او رواية ذات فكرة ولكن الواقع انها رواية غنية جداً بالتفاصيل الحية والمغامرات المدهشة والاحداث الضخمة التي تنزع كلها الى الروح الواقعية . وفكرة الانسان الذي ينظر الى نفسه وهو يعيش والذي يشعر بحياته الخاصه تمتزج امتزاجاً كلياً بالواقع والمحسوس واليومي : ذلك ان الرواية ترتعش بنفس شعري طبيعي وعميق يحرك الابطال تحت انوار البحر المتوسط : « ذلك البحر ، تلك العذوبة الخزينة ، تلك الغلالة من المطر الرقيق الذي يغطي عري اليونان الخالد ... » هكذا يتكلم نيكوس كازانتزاكي في رواية تجمع بصورة مدهشة آثار ارض قديمة مقدسة ومأساة الوضع البشري ، تلك المأساة الابدية الخالدة .

قرأتُ العدد الماضي من « الآداب »

بقلم
الدكتور سهيل ادريس

بدعة عجيبة ولا شك، ان يقدم رئيس تحرير المجلة على نقد احد أعدادها فهو إذ يفعل ذلك ، انما ينقد نفسه الى حد ، ويرضى بتعريض ذاتــه الى الحرج ، والمهم هنا ان يكون صريحاً وصادقاً ، وإلا ضاعت الفائدة ، ولم يتعد الامر ان يكون نكتة للتسلية .

والواقع ان الادباء الذين اقدموا من قبل على تحرير هذا الباب ، قد واجهوا قدراً قليلاً او كثيراً من الحرج ، لأكثر من سبب . فقــد يكون بين من يُدعون الى نقدهم صديق عزيز عليهم يضيق صدره بالنقد، وهم لا يرغبون في ان يخسروا صداقته ، اذا التزموا الصراحة التــامة في الحديث ، او يكون فيهم من يعاني مشقة في التعرض لموضــوع يؤثر ان يتعرض له من هم اكثر اختصاصاً منه ، او يكون فيهم من أصبح يوجس خيفة من هذه الحراب التي يرشق القراء بها الناقد ، دفاعاً عن انفسهم او عن سواهم ، في باب « مناقشات » الذي يقترح بعض القراء الغاءه بسبب ما يثيره من ضغائن ...

وأني اغالط نفسي واخدعها اذا زعمت اني لا اواجه من الحرج أعظمه، اذ اقدم على تحرير هذا الباب في هذا الشهر ، لاني اخشى جميع الاسبــاب التي ذكرت . فلي بين كتاب هذا العدد اصدقاء كثيرون، وانا لست جديراً بالتحدث عن جميع المواد حديث عارف مختص ، ثم اني اخشى السنة الكتّاب والادباء الذين اعتقد ان نشر ما يوافون به « الآداب» هو واجب مقدس علي ، شريطة الا يخرج عن لهجة الرصانة الى لهجة المهاترة ...

وبعد ، فاني مقر بأني انا الذي اخترت المادة المنشورة ، وان نقدهــا يعني ، الى حد ، نقد الاختيــار . ولكن الواضح ، مع ذلك ، اني لا اختار للنشر أحسن المادة الادبية إطلاقاً ، بل اختار أحسن المادة الادبية التي تصلني . « فالآداب » انما تمكس ، في آخر المطاف ، الانتاج الادبي العربي الحديث ، بحسناته وسيئاته . وهي ، في اقتباساتها الاجنبية ، ترتكز على امكانيات محدودة ، وتظل خاضعة ، في تقييم الآثار ، لاجتهاد خاص .

ولا يعني نشر المادة ، ان المحرر راض عنها كل الرضى ؛ ولكنه يعني على كل حال ان في الامكان الرضى عنها .

ومن أجل هذا ، أجد حريتي غير مقيدة بقيد في قراءة العدد الماضي ، الا بقيد العجز عن ان اوفي النقد حقه ، وهــذا العجز مردود في الواقع الى عدم امكان الاختصاص في تذوق الفنون الادبية على اختلافها . ومن هنا كان منشأ بعض الغبن لبعض الادباء ، اذ يتحدث عن الشعراء منهم من لم يملك عدة التذوق الشعري ، وكذلك القول عن القصاصين والدارسين . ولعل هذا ما يحمل « الآداب » على ان تعهد في نقد كل عدد من الاعداد القادمة الى ثلاثة ادباء ، يتذوق أحدهم الشعر تذوقاً رفيعاً، ويتذوق الآخر القصة ، ويملك الثالث عدة الدراسة والبحث . ولعل الغبن ان يزول آنذاك او ان يضعف على الاقل .

★

الشعر

اود هنا ، قبل ان أستعرض قصائد الشعر التي ضمها العدد الماضي ، ان ابدي بعض الملاحظات على نقد الدكتور علي سعد للشعر الذي تنشره « الآداب » . ففي صدد الحديث عن قصيدة نشرت في العدد الاسبق ، قال الدكتور سعــد : « إنه ليس من خطر على مذهب الالتزامية في الأدب والدعوة الى الشعر الاجتماعي اكبر من الخطر الكامن في مســايرة المحاولات التي لا يشفع بها إلا انها تتحدث في موضوع متصل بهمومنا الوطنية . فان الشعر الاجتماعي لن يستطيع فرض نفسه إلا اذا بدأ بأن يكون شعراً ، اي الا اذا بدأ بالتفرد بطابع الجمال الفني » .

اني اوافق الناقد الكريم على ان الشعر ينبغي ان يكون شعراً قبل كل شيء . ولكن المناسبة التي اوحت له بهذا القول قابلة للمناقشة . فهو قد خلّى قصيدة « المغرب العربي » التي نشرت في الصفحة الاولى من العــدد الأسبق (وهي للشاعر العراقي خالد الشواف) من كل شاعرية ، ووصفهــا بانها « كلام أعد لأن يكون شعراً فما افلح ، رغم تسلحــه بالوزن والقافية والنغم » وإنها « قــالب شعري ولا شعر » وأنها « كلام تستطيع ان تجد مثله في اية جريدة سيارة وفي منظومات الصفوف التي يدرس فيهــا علم العروض ، فتخرج منه دون ان تمسّ بأي انفعال ولا بأي غنى في إحساسك وتجربتك ولا بأية رجة في كيانك » .

وليس من همي الآن ان اناقش صحة هــذه الاحكام ، ولكني آخذ على الناقد انه أطلقها من غير ان يقدم بين يديها البيّنة ، فظلت تهماً تحتاج إلى اثبات . وقــد كان يحسن ان يبين « لماذا » لم تفلح القصيدة في ان تكون شعراً ، وبعبارة اخرى كان عليه ان يقدم لنا مقاييسه الشعرية ، ما دام قــد أطلق هذه الأحكام . والواقع اننا نراه يتهرب من ذلك حين يقول : « وليس هنا مجال تحديد الشعر او مقومات الجمال

الفني » وهذا موقف عجيب ، موقف من يقول : ان هـذا ليس شعراً ، اما اسباب ذلك ، فليس هذا مجال تبيانها !

ولعل الدكتور سعد قد شعر بضعف هـذا الاسلوب النقدي ، فأراد ان يعوض عنه بمقارنة عقدها بين « المغرب العربي » و « مذكرات اندلسية » لنزار قباني. ونحن نحسب ان هذه المقارنة لم تؤدِ في كشف الاسباب التي حملته على اطلاق تلك الاحكام ، لانه لم يذكر اسباب اعجابه بـ « مذكرات اندلسية » الا بالحديث عن أثرها في نفسه ، والحديث عن الأثر هو وضع للنتيجة في محل السبب ، اي انه قلب للقضية .

وبوسع القارىء بعد ذلك ان يتساءل عما اذا كان الناقد لا يناقض نفسه قليلا حين يوازن بين شعر ونثر . انه يطلب من الشعر ان يكون شعراً قبل كل شيء ، فكيف يبيح لنفسه ان يُلغي النظم من قصيدة حين يقارنها بكلام منثور ؟ قد تكون المادة في « مذكرات اندلسية » شعرية ، ولكنها ليست شعراً ، ولا شك في اننا نخطيء حين نقارن شعراً بروح شعرية ، لاننا نُسقط من حسابنا القالب الذي هو ركن اساسي في الشعر ، ولاسيما الشعر العربي .

أعود فاكرر انني لا أقصد هنا تقييم نقد الدكتور سعد من حيث صحته او خطأه ، وانما آخذ عليه هـذا الاسلوب النقدي الذي لا يصدر عن مقاييس موضوعية واضحة ، وأحسب ان معظم الغبن الذي يُصيب كتاب « الآداب » ، من نقادهم ، مردود الى مثل هذا المأخذ .

★

القصيدة الاولى التي تطالعنا في العدد السابق هي قصيدة « العندليب المهاجر » ليوسف الخطيب ، هذا الشاب الذي استطاع في فترة قصيرة من الزمن ان يكون صوتاً عذباً من هذه الاصوات التي تحدو الجيل العربي الجديد وتغني آماله وآلامه ، وتثير فيه نوازع التمرد والثورة على الوضع الباهت الذي تفرضه عليه الحياة . وهذه القصيدة مناجاة لطائر نزح هو ايضاً مع النازحين من ارضنا العربية الدامية ، فاذا هو حديث هادىء صاخب ، فيه كآبة الذكريات عن وطن ضاع ، وغصّة الالم لحقول خلّفها اهلها في مأتم ، وثورة الكرامة لنفوس اصيبت بالذل ، وعنفوان القسم على استرداد الضائع ، ومحو العار .

وروعة هذه القصيدة تنبعث من ذلك المزيج العجيب من

اوفى الدراسات

الموضوعة والمترجمة عن الفنون ، مع عدد كبير من الرسوم واللوحات ، في العدد القادم.

احاسيس الذكريات والرؤى وصيحات التمرد والثورة . فوحدة الجو الايحائي انما تتم بتوزع تلك الذكريات والرؤى والصيحات ، تصهرها أحاسيس الالم . وقوة شاعرية الشاعر تتضح بقدرته على ابتعاث تلك الصور في لهجة هي اللهفة كلها والحنين :

كيف الحقول تركتها في عرس آذار
ومتى لويت جناحك الزاهي عن الدار ؟
. . . . .
لو قشة مما يرف ببيدر البلد
خبأتها بين الجناح وخفقة الكبد
لو رملتان من المثلث او ربى صفد
لو عشبة بيد ، ومزقة سوسن بيد

هذه الاشياء الصغيرة : القشة والرملتان والعشبة ومزقة السوسن ، محملة بطاقة تعبيرية كبيرة تجسم كل فاجعتنا بالضياع . وقد استطاع الشاعر ان يبعثر ايحاءاتها ليجمعها كلها في آخر بيت من كل مقطع تعبيراً عنيفاً عن أثر المأساة في النفوس : « لكأن في عينيك بعض اللمح من وطني » — « دفء العروبة في شراييني وملء دمي . » - « عجباً اتيتنا من غير تذكار ؟ » —

داري ، وفي عيني والشفتين نجواك
لاكنت نسل عروبتي ان كنت انساك

وبعد ، فهذه قصيدة توفر لها من الشاعرية وعمق الاحساس بالموضوع وقوة التعبير ما يجعلها من عيون شعرنا القومي الحديث . ولا أحسبها الا تصح شاهداً على ان بوسع بعض شعرائنا المحدثين ان يقولوا شعراً هو قبل كل شيء ، شعر ، وهو في اثناء ذلك متصل بهمومنا الوطنية اتصالاً عميقاً ، وفي هـذين الامرين تزاوج سعيد غاية السعادة .

اما قصيدة « هولاكو الجديد » لناجي علوش ، فهي في طاقتها الايحائية أضعف من « العندليب المهاجر » وإن كانت مثلها تهتم بهمّ من همومنا القومية . ولعل ذلك مردود الى أن

مادة المضمون – كما أوردها الشاعر – مادة ملحمية ، وهذا يعني ان إطار القصيدة القصيرة يعجز عن استيعابها. ان الشاعر لم يُطلق لنفسه العنان في تفصيل الصور الملحمية ، بل رسم لها خطوطاً سريعة موجزة بدت في إطارها مخنوقة متقطعة الانفاس ، تذكّر بمحاولة بعض كتاب القصة القصيرة الذين يحسبون الاقصوصة تلخيصاً وضغطاً للرواية الطويلة . ولقد حشد الشاعر صوراً ضخمة كثيرة لم يستغلّ مادتها الخام باستخراج الالوان والاضواء والتأثرات منها ، فأتت ركاماً متلاحقاً تعوزه هدأة النفَس الشعري المديد الموحي . ولو أنه اجتزأ بالقليل من هذه الصور وأراق عليها ما ينبغي لها من انفعالات ، لكان اكثر فلاحاً . والحق ان استهلال القصيدة كان يَعِدُ بمثل هذا ، وكان الختام جميلاً موفقاً بما يوحيه من آثار المعركة :

وهناك لم تزل السنابل والمناجل والحقول
مجنونة الاشواق تنتظر الحصاد
وفلول قافلة الجهاد
لكنها ظلت نداء في الجبال وفي السهول
للطير ... للارض الحبيبة ... للذبول .

ولا بدّ لي من ان اشير الى ملاحظة لاحظتها في قراءة هذه القصيدة : إن صاحبها متأثر دون شك بنزار قباني في قصيدته « خبز وحشيش وقمر »، وتأثره يتجاوز الايحاء احياناً الى الشكل والوزن والقافية . واحسب ذلك من الوضوح بحيث اعفي نفسي من المقارنة .

والاحظ كذلك ان قصيدة « معايدة من باريس » لمحمد جميل شلش متأثرة هي ايضاً بشعر البياتي ، ولا سيا بنزعة الترديد ، هذا الترديد الذي لا يكون دائماً لتثبيت الصورة او لتكثيف الشعور ، بل قد يكون حشواً لا طائل تحته . على ان هذه القصيدة غنية بما تبثه في النفس الواعية من ارجاع . انها تقطر سخرية وأسى لما نحن فيه من سدور ، وفيها تصوير موجز لاهتماماتنا البليدة التي نلوكها في غير وعي . ولعل التصوير بهذه اللهجة اشد تأثيراً على النفس من لهجة الادعاء والتفاؤل . انها سلبية تؤدي الى ايجابية اكثر فعالية ، وعبارة القصيدة ، بعد ذلك ، متوترة نابضة تتناغم مع الغصة النفسية التي يضطرب بها المغنى .

واما قصيدة « هي ومدينتي » فيسيرة بسيطة . ولكني لا ارى في مضمونها الا فكرة واحدة يتوسل الشاعر لاظهارها بمقدمات طويلة تبدو ازاءها أشبه بثوب فضفاض على جسم نحيل . الفكرة هي ان المدينة – مدينته – تزخر بالفساد وباللصوص، ولكن الابرياء الطيبين فيها كثيرون ، وهم يمثلون الاماني الوضيئة . والواقع اني لم ادرك جلياً الرابطة بين الحبيبة والمدينة ؛ ان الشاعر يشبهها بها : اتراها هي ايضاً فاسدة ، وهي مع ذلك بريئة ؟ اني اكاد احسب ان الاطار الغرامي الذي أحاط الشاعر به فكرته هو اطار مصطنع ، لا ينطبق مع واقع الحال الذي يقصد اليه.

ثم اننا نسمعه يقول :

وسألتني ...
« كم ذا تراني يا رفيق العمر يا لحن السنين ؟»
فاجبت : « مثل مدينتي ...

وواضح من الجواب انها تقصد من السؤال « كيف تراني ؟» والواقع انها اساءت التعبير اذ جعلت الكيف كماً ... اما كان بوسع الشاعر ان يتفادى هذا الحرج ، وهو انما ينشد شعراً حراً يسهل فيه التعبير اكثر مما يسهل في القصيدة التقليدية ؟

★

القصص

« معبد بوذا » قصة لقصاص مبدع عرفه قراء « الآداب » منذ نالت قصته « صفعة سوط » الجائزة الاولى في مسابقة القصة منذ عامين تقريباً .

والميزة الاولى التي تسم اقاصيص هذا الاديب الشاب هي شدة التركيز . فهو يستقطب الفكرة والصورة والحدث استقطاباً شديداً لا بد للقاريء معه ، لكي يدرك القصة بكل تفاصيلها ، من ان يعيد تلاوتها اكثر من مرة . ولعلّ هذه ليست بالميزة الحسنة دائماً ، لان فيها إرهاقاً للقاريء في التتبع الموصول المجهد . ولكن القاريء اذ يبلغ ما يريده الكاتب ، تتكشف له امكانيات غنى وفيرة . ولهذا التركيز ، بعدُ ، طاقة كبيرة في اغناء التحليل النفسي، من حيث انه يوتّر الانفعالات ويرهف التأثرات ، فتكون لكل حركة معنى ، ولكل نبسة صدى ، ولكل نظرة لهجة .

على اني أحسب ان الاستاذ صفدي لم يبلغ في هذه القصة التوفيق الذي بلغه في سابقاتها ، واني موجز اسباب هذا الرأي فيما يلي :

اولاً – إن القصة لم ترسم جميع أبعاد الحادثة رسماً طبيعياً متأنياً ، بل اقتسرت بعضَ هذه الابعاد اقتساراً واضحاً ، وتكلفته تكلفاً شديد الظهور ، حتى اوشكت ان تسقط في التجريد . فشخصا القصة الرئيسيان ، هو وهي ، يسبحان في ضباب غامض يحجب حقيقتهما الارضية ، حتى لنكاد نحسّ انهما مخلوقان خياليان، بالرغم مما يأتيانه من حركات بشرية يعوزها الثقل الانساني . فمن هي هذه الفتاة التي نصبت نفسها داعيةً للفكرة العربية تحثّ الشباب على الاضطلاع بالبطولة من أجلها وترسلهم هنا وهناك ؟: « إن لي شاباً كالصبح اشراقاً يعمل الآن في المغرب العربي ! » ان ما تحدثت به القصة عنها من انها تمردت على الزواج ، فشرعت تصبح بطلة ، لا يكفي

للتدليل عن وعيها ، ولا سيما الجانب القومي من هذا الوعي . وما هي ماهيتها بعد ؟ لقد حدثنا هو انه حملها الى احد المصايف وقضى اوقاتاً سعيدة معها ... وان حياتها ستنتهي عند الصباح ... انها اذن فتاة للغرام ؟.وهي ايضاً تريد ان تتركه لتلتقي به دائماً بين الذرى ... ولقد حدثته قبل ذلك عن تدنّيها وتساميها.أفتصلح هذه الفتاة لتكون داعية للبطولة العربية؟لقد شعرت من غير شك بغرابة دورها بل وباستحالاته فقالت (او قال الراوي على لسانها) : « نعم ستكون قصتي غريبة ، وسيحسب بعض السذج انها اسطورة ، ولكن في القرن العشرين ، عصر العلم والذرة تحدث المعجزة ، ولا شيء مستحيلاً في امة الانبياء » وهذه عظة لا تزيد هذه الفتاة الا اسطورية ، فضلاً عن انها تفسد جمالية القصة . وان بعض الهلهلة يبين في شخصيته هو ايضاً حين ينقلب ، بعد لقاء لهما ، الى حياة الصاعقة « تلك التي بدأها ضد نفسه ، ضد أطره، ضد أصدقائه، ضد العالم والله . » كأنما كان يكفي ان تدعوه فتاة الى الاضطلاع بالبطولة ليكون كذلك ... ان الامر في ذاته ممكن ولا شك ، ولكنّ ما ساقه الكاتب من مبررات أعجز من ان يُقنع بامكانه .

ثانياً – ان تأليف القصة غير قائم على تصميم متناسق قويم. « فالقضية » التي تدور حولها مضغوطة ضغطاً خانقاً في آخرها، حتى لتبدو شبحاً من وراء حجاب ؛ ومن أجل ذلك يبدو البطلان و كأنهما ملصقان بها لصقاً . وان مقومات ثورة البطل لا تكاد تنحصر في غير احساسه بالفردية . والفردية هي حقاً مصدر الامة ، ولكن تحقيقها ، على مستوى الامة ، يحتاج الى تطورات نفسية عميقة لم يقدم الكاتب لها مبرراتها ومعاذيرها . وبوسع القارىء ، بالاضافة الى ذلك ، ان يلاحظ ان الصفحة الاولى من القصة التي تصور مكان البطل ، وهو في انتظار الفتاة ، هي على براعة التحليل والوصف ، خارجة تماماً عن خطوط القصة ، بحيث انه يسهل اسقاطها من غير ان تفقد القصة شيئاً من مقوماتها.ومعنى ذلك ان الكاتب لم يراع مبدأ الضرورة والاختيار ؛فهذه المقدمة او هذا الوصف للاطار لا يلقي ضوءاً هادياً على جو القصة النفسي .

ثالثاً – يبدو تأثر الكاتب كبيراً جداً بالتحليل الوجودي لظواهر الحياة . فتصويره للحركات والافكار التي تنقلب اشياء وللاشخاص الذين يصبحون استطالات ولمعاني المدى والزمن والغد ، كل ذلك مما تتداوله الاقلام الوجودية الروائية في معظم آثارها . وقد ذكرتني اوصاف حركة اليد في اول القصة باوصاف هذه الحركة في رواية سارتر الاولى « الغثيان » . ولا مأخذ في ان يكون الاستاذ صفدي او سواه متأثرين بالادب الوجودي او بالفلسفة الوجودية التي نستطيع ان نفيد منها كثيراً في خلق نماذج ابطالنا الروائيين، بل قد يكون المأخذ انه عمد الى تسجيل هذه التأثرات في إطار ضيق من قصة قصيرة ، لا يتسع لاستيعاب تصويرات لا قيمة لها الا بما تؤدي اليه من امتدادات في الاحداث والافكار .

وبعد ، فأحسبني استطيع ان ألمّ ملاحظاتي على هذه القصة بقولي : ان فيها بذوراً كان ينبغي – حتى تؤتي اكلها – ان تنضج على نار متأنية .

واما قصة « صندوق الدقيق » بقلم فاضل السباعي ، فهي تصيب حظاً من التوفيق في وصف نفسية بائع الاقمشة الجشع القابض اليد الذي يماطل ويسوف ويتشاغل ويتجاهل ، كل ذلك بروح من اللؤم والخبث . على ان القاريء يحسب وهو يقرأ القصة من اولها ان المؤلف سيعالج فيها قضية الأزمة التي يمر بها المحامي الناشيء ، اذ يحرم كسبه الاول من المحاماة ، هذا الكسب الذي كان يرصده لشراء الدقيق. والواقع ان المؤلف يجعل من هذه القضية فيما بعد قضية ثانوية، لينشغل بوصف مراوغات البائع ، ولذلك تبتعد قصته عن ان تكون « قصة » لتصبح «صورة» وصفية، لا سيما وانها تصاب في خاتمتها باجهاض ظاهر يتجلى في خضوع المحامي للحرمان ، وفي إلغاء الازمة بتأجيلها.

اما السرد القصصي في « صندوق الدقيق » فيجري على طرار كلاسيكي لا تجديد فيه من حيث التقنية ، ومن المآخذ التي توجه للكاتب انه يدس نفسه احياناً في سياق السرد بتعليق او بشرح[1] ويكثر من المرادفات التي تثقل العبارة على غير طائل . و لكن له – على اي حال – نفساً قصصياً يعد بالخير .

واما قصة « اجهدي بالدعاء الاخر » بقلم م . زيتون[2] فلا اتردد بان اصفها بأنها من روائع قصصنا العربي الحديث . انها مونولوغ داخلي لطفل من اطفال اللاجئين يناجي امه التي تقصد الكنيسة كل يوم احد لتطلب له ولاخوته خبزهم اليومي ، فيحدثها حديثاً بسيطاً صادقاً نابعاً من اعماق السذاجة ، ويسألها عن دعواتها وكيف يستجيبها الله ، ويصارحها بان هذا القربان المقدس الذي يمضغونه لا يقيم اودهم .. ويظل يسائلها حتى نعلم انها ذهبت يوماً ولم تعد : « ايجوز انك ذهبت لتقابلي الله في مكان آخر؟

---

١ من ذلك قوله عن بائع الاقمشة وهو يشد القطعة بين يديه باجهاد « وليس الشد في الواقع من العنف في شيء ، وانما هو بعض من حذق وفن ومهارة امتاز بها الباعة في سوق المدينة في حلب » – «ولكن الحاج بكرياً الخيام ما بارح مكانه ... بل ما رد التحية وهي اضعف الايمان !»

٢ لا ادري لماذا يصر الكاتب على الاكتفاء بالحرف الاول من اسمه الأول !

ذكريه اذن بالمعجن ... » وان هناك صلاة في غير يوم عيـد ، وان الجرس يقرع : « ايتها الام الطيبة ، املك تهمين بارسال دعاء آخر » اجل فقد ذهبت الى بعيد ولن تعود ، وخلفت أبناءها في الجوع الذي قتلها .. ولكن ما ابرع ما يميز الكاتب عن ذلك ! وما اروع هذا الغموض الذي يسربل به حديث الطفل ! وكم هو قادر على بث طاقة التـوتر في جو تلك الصلوات الحارة تصعدها الام المنكوبة ! ان هذه القصة تعد نموذجاً حياً للقصص الانساني العميق الذي توحيه النكبة ، ولا بد ان يمضي م . زيتون قدماً في كتابة القصة ، فان ما نشرته له « الآداب » حتى الآن يبشر بنتاج انساني رفيع ، ولعله سيجهد ، هو ايضاً ، بتعزيز لغته وتمكين اسلوبه وتنقيته .

الابحاث

تبنت « الآداب » بحث الاستاذ سعدون حمادي « قضية القومية العربية مشكلة وحلاً واسلوباً » اذ نشرته افتتاحية في العدد الماضي. والحق انه من اروع الابحاث الواعية التي تتناول القضية العربية من مختلف زواياها ، وهو يعالجها معالجة تهتم بجميع الابعاد ، وتحاول ان تضع نظرية شاملة محكمة البـنـاء تكتشف الطريق الصحيح للنهضة .

وليس في نيتي ان الخص البحث ، كما يفعل بعض ناقدي « الآداب » ، كما اني لا املك ان اناقشه ، فما دام يقصد الى وضع شبه نظام لهذه القضية ، فهو يحاول ان يجد لها فلسفة نظرية وعملية ، وانا اترك لفلاسفة الفكرة العربية ان يبدوا رأيهم في الموضوع . وقصارى ما اقوله ان البحث قد استجاب للمفاهيم العامة التي كنت قد كونتها فيما يخص هذه القضية ، واستعرضها بتفصيل واف اعجبت به اشد الاعجـاب . اما ما قد يكون فيه من فجوات ، فـادع ذلك لمـن هم اجدر مني واقدر ، وان كان هذا لا يمنعني من القول بان البحث قائم على اساس من الدراسة المنطقية المتسلسلة التـي تعرض للامر في وضعه الراهن ، فتستجلي اسبابه وتلتمس له الشروح ، ثم تصف له العلاج . وقد ذكرني هذا البحث بمثيل له كتبته الشاعرة العراقية الآنسة نازك الملائكة ، ونشرته « الآداب » في العام الماضي بعنوان « التجزيئية في المجتمع العربي » ، ففي المقالين درس رصين صابر يعتمد الاسلوب العلمي ويقوم على الاستقصاء ، ويعنى بالمقدمات والاسباب والنتائج .

واما بحث الاستاذ سليمان موسى عن « لورنس في الميزان » فهو حقاً « بحث الشهر » بما تضمنه من تحقيقات غنية وملاحظات دقيقة تضع الامور في نصابها وتكشف اسطورة تداولها الناس وما يزالون يتداولونها ، حتى كادت تبلـغ مستوى الحقائق التي لا يُشكّ فيها . ولئن كان يؤخذ على « الدنغتون » عنف لهجته ومرارة هجومه على لورنس ، فان ما تكشّف عنه تحقيقه من وقائع وتعليلات جدير بكل تقدير واعتبار . انه يفضح الاكاذيب ، ويظهر مبالغات مغرضـة ، وتمجيدات تتجاوز الحد المنطقي المعقول .

وقد اسهم الاستاذ سليمان موسى في توكيد هذه الملاحظات ، بمشاركته الواسعة في الاطلاع على قضية لورنس ، عبر الكتب التي قرأها والاشخاص الذين اجتمع بهم ، وكان اهم ما توصل اليه فضح الوهم المسيطر « بان لورنس كان مخلصاً للعرب وقضيتهم » . ولنا نحن العرب ، في هذا الصراع العنيف الذي نعيشه اليوم لنوكد ذواتنا ، ان نلتمس العبرة من هذه القضية ، فنؤمن بان خلاصنا لن يكون الا بيدنا ، من داخلنا نحن ، وان ما يأتينا من الخارج ما هو الا تضليل وتخدير وتأخير ليقظـة وعينا .

ولقد كنت تابعت ما أثاره كتاب الدنغتون من نقاش في الصحف الفرنسية بعد صدور ترجمته بعنوان « لورنس الكذاب » فأحسست بقصور شديد في صحفنا التي لم تتناول

احداها هذا الموضوع الخطير ، الى ان وافى الاستاذ موسى « الآداب » ببحثه القيم الضافي الذي لا اتردد في تفضيله على بحث جديد في الموضوع نفسه كتبه مانس سبيربر Manes Sqerber أخيراً[1] . صحيح ان هذا البحث يحاول ان يدرس قضية لورنس درساً نفسياً واجتماعياً ، ولكنه يظل اقرب الى التجريد من بحث كاتبنا العربي الذي يعيش القضية في جلده ونفسه فتظل ألصق بالحياة وأحفل بنكهة الواقع .

و « الجرذان والرواية المعاصرة » من الابحاث القيمة التي يصل بها الاستاذ محيي الدين محمد « الآداب » متناولاً قضايا الادب الحديث . وهذه الدراسة تمتاز بالمعنى والشمول وترسم ما ترمز اليه الجرذان في الروايات الغربية الحديثة من معان ورموز ، ابرزها الموت ، وتصور تطور الصراع الذي يقوم به البشر تجاه الموت .

ولكن لا بد من ان اورد ملاحظتي على اسلوب الكاتب ولغته . فان هذا الاسلوب متفكك واهن الرابطة في كثير من الاحيان ، حتى ليبدو وكأنه ترجمة سقيمة لنص اجنبي . ان الكاتب لا يعنى البتة باوصاله ، وعلى القارىء ان يبذل جهداً قليلاً او كثيراً ليربط بين اجزاء العبارة ويتابع تطور الفكرة واكتمال المعنى ، وهو يلقى في ذلك قدراً من المشقة . واحسب بعد ذلك ان ابحاث الاستاذ محيي الدين محمد ، على غناها وإتساع الثقافة فيها ، تحتاج الى تركيز ، او على الاصح الى تخطيط للافكار وتوضيح للاتجاهات .

وأما بحث الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا عن قانون العلية وحرية الارادة عند برتراند رسل ، فيبسط تبسيطاً مستساغاً قضية هامة من القضايا التي مافتىء الفلاسفة منذ القديم يهتمون بها في تفسير العلاقة بين العلة والمعلول ومحاولة « تقعيد » هذه العلاقة بحيث تصبح ناموساً وقانوناً . وأهم ما في البحث درس صلة الارادة الانسانية بالقوانين العلية . فنظرية رسل تذهب الى ان هذه الارادة حرة مع خضوعها خضوعاً تاماً لهذه القوانين ، وهو يرد هذا الذي يبدو متناقضاً الى ان بين العلة والمعلول علاقة تبادل لا علاقة اجبار .

واعتقد ان قراء « الآداب » سيفيدون من امثال هذه الابحاث العلمية الفلسفية في الاطلاع على تطور التفكير العالمي الحديث . واحسبهم يستزيدون الدكتور مرحبا الذي تخصص فيها تخصصاً مكيناً ، وهم سيجدون في هذا العدد بالذات مقالاً يمكن اعتباره تكملة لهذا المقال القيم .

وتدافع السيدة اسمى طوبي في مقالها « الاديب الميت » عن حق الاديب في ان يكون ملك نفسه ، لا ملك الامة ولا ملك التاريخ ، اي ان يحتفظ لنفسه باسراره ، وتذهب الى ان المؤرخين انما يجنون على الادباء الاموات حين يكشفون عن اسرارهم في الوثائق او الكتابات الخاصة التي خلفوها .

واني اوافق الكاتبة على ذلك ، الا في حالة واحدة ، هي ان يكون في هذه الوثائق والكتابات الخاصة ما يضيء جوانب خافية من انتاج الاديب المنشور ، فيكسب هذا الانتاج ، تحت ذلك الضوء ، قيمة لم تكن له من قبل . ذلك ان الاديب ليس ملك نفسه وحدها ، والا وجب عليه ان لا ينشر انتاجه . اما اذا نشره فمن واجبه ان يكون صريحاً فيه غاية الصراحة ، ومن حق القارىء ، اذا لم يجد في هذا الانتاج القدر الكافي من الصراحة ، ان يلتمسه في اسرار الكاتب المخبوءة .

الأبواب

يثير استغرابي دائماً الا يتناول ناقدو الاعداد الماضية من « الآداب » هذه الابواب الكثيرة التي تنبض بالحياة ، والتي لا أشك في ان معظم القراء يقبلون عليها قبل سواها من الابحاث والقصائد والقصص . ولا اذكر ان ناقداً واحداً قد تحدث عن هذه الابواب ، كأنما هي تحوي مادة غير جديرة بالاهتمام ، او كأنما لا ترسم خير رسم وضع الادب الراهن في الشرق والغرب . فان باب « النتاج الجديد » ينبغي له ، مبدئياً ، ان يعطي صورة واضحة عن آخر الآثار الادبية ، ومثل هذا الباب يُعطى أهمية كبيرة في الصحف الأدبية والاجنبية . ويقتضيني الاخلاص لرسالة « الآداب » أن اعترف هنا بان هذا الباب ، كما تقدمه المجلة ، يشكو بالاجمال الضعف والهزال ، ويستحق ان يكون أحفل وأغنى ، وان تجند له « الآداب » اقلاماً نقدية قوية وصريحة ، فقد كف النقد عن ان يكون « مهنة طفيلية » ليصبح ابداعاً وخلقاً جديداً ، ولا مفر لي هنا من من ان أعد القراء والمؤلفين بتحسين هذا الباب وإيلائه مزيداً من العناية .

واما باب « مناقشات » فاحسب ان معظم القراء يجدون فيه فائدة ... ومتعة ! اما الفائدة ، فصادرة عما يولده الاحتكاك الفكري من آراء وتأملات وملاحظات قد تتميز كلها بالجدة ، بالنسبة الى مفاهيم القاريء المقررة . واما المتعة .. فهي متعة التفرج على كل نزاع او معركة او مصارعة .. ولكن قلم التحرير يحرص دائماً على الا يبلغ الصراع بين المتنازعين حد اسالة الدم ، اي المهاترة .. وهو لذلك يسمح لنفسه ان يسقط بعض العبارات الجارحة ، او هو قد يلغي احياناً مناقشة برمتها محاولاً دائماً ان يكون موضوعياً وغير متحيز لأحد . وقد سبق للمجلة ان استفتت قراءها حول هذا الباب : أيبقى ام يُلغى ، فأيد معظم القراء ابقاءه ، وهو من غير شك باب حي يتيح لجميع القراء ان يشاركوا في ابداء آرائهم ، فيتم بذلك

---

[1] راجع العدد ٥٥ من مجلة Preuves .

لون من التجاوب بين القراء يجعل منهم اسرة واحدة .

واعتقد ، بعد ذلك ، ان بابي « النشاط الثقافي » في العالم العربي وفي الغرب هما اهم ابواب المجلة من حيث انهما يحاولان ان يعطيا القاريء صورة اقرب ما تكون الى الصدق عن الوضع الأدبي في البلاد العربية والأجنبية . ففي العدد الماضي مثلاً دراستان خطيرتان عن الأدب الفرنسي المعاصر والمسرح السوفياتي الحديث وهما صورة لتطورين هامين في ادب كل من الامتين . وفيه كذلك تصوير عميق لظاهرة ادبية تتهدد الثقافة العربية في مصر تهدداً خطيراً ؛ ولا بد لي هنا من ان ابعث بتحية حارة الى هذا الأديب المجهول ، مراسل الآداب في مصر ، الذي يحرر رسائل شهرية على غاية من الأهمية والقيمة ، من حيث انها تعرض للاحداث الادبية من زاوية واعية جداً تقصد الى تأصيل الانتاج العربي الحديث وإكسابه شخصية متميزة مستقلة تنسجم مع الانتفاضات العنيفة التي يتمخض بها الوطن العربي في محاولة بطولية لتوكيد ذاته .

بقي باب « قرأت العدد الماضي من الآداب » . وحسبي ان اؤكد ان القراء جميعاً يبدأون به ، وان هذه المناقشات الحارة هي ابنته الأولى . فحري بكل من يتولاه ألا يوفر سلفه ، فهناك كثير من الكتاب الذين يُنتقدون على غير حق يؤثرون ان يصمتوا ، بانتظار ان يتصدى لنا ناقدهم من ينصفهم منه .

★

وبعد ، فأحب ان انهي هذه المراجعة للعدد الماضي من الآداب بملاحظة تكاد لا تخفى على أحد : إن كتاب ذلك العدد هم جميعاً من الادباء الشباب ، من هؤلاء الذين ليست لاسمائهم شهرة واسعة عريضة . ولكني أحسبهم يمثلون نماذج صادقة لهذا الجيل الجديد من الادباء العرب بانتصاراته وعثراته ؛ هذا الجيل الذي يكاد الآن وحده يتسلم مقدّرات الادب الجديد ، والذي عليه تعقد أمتنا العربية أجمل آمالها ، وتنتظر منه دائماً ان يسهم بقسط وافر في المعركة الكبرى التي تقودها من أجل حريتها ورفعتها .

سهيل ادريس

حول الوحدة والاتحاد

– تتمة المنشور على الصفحة الخامسة –

اما القول بان الاتحاد بين قطرين عربيين يقلل عدد الكيانات القائمة ،فهو صحيح من الناحية العددية ومن الوجهة المنطقية المجردة . ثم ان النتيجة التي يراد الوصول اليها من وراء هذا القول ، وهي اختزال القوة الاقليمية المعرقلة للوحدة ، قد لا تكون صحيحة ، وربما ادت لعرقلة قوى النضال ضمن الشروط التي المحنا اليها في السؤال الآنف الذكر .

ونعتقد ان من الخطأ الفادح ان ننظر الى موضوع الاتحاد وهو من القضايا الهامة المعقدة – من زاوية عددية او من خلال المنطق المجرد الذي يهمل الواقع الحي ولا ينتبه كثيراً الى الشروط والملابسات التي تحيط بنشأة الاتحاد وتكوينه وتقرر مدى فوائده واضراره .

٤ – اما القول بان الاتحاد يجب ان ينال رضا الفئات الحاكمة كيلا تعرقل تحقيقه ،فامر ان دل على الرغبة الشديدة بالاتحاد ، وعلى النظرة الواقعية المفيدة في تحقيقه ، فهو يدل من جهة ثانية على نوع من المسايرة والاستسلام للفئات التي اثبتت الحوادث انها تريد المحافظة على الواقع الراهن بحكم عقليتها ومصالحها ولضعف ثقتها بنفسها وبامكانيات امتها .

لقد كانت الجامعة العربية من صنع هذه الفئات وكان بامكانها – لو ارادت – ان تجعل موادها وعقودها اقوى وامتن مما جاءت ، بل كان بأمكانها – لو ارادت ايضاً – أن تستند الى بعض موادها ، على ضعف هذه المواد ، فتعمل على تقوية الروابط بين العرب ،وتسير خطوات جدية في سبيل الاتحاد ولكنها لم تفعل شيئاً من ذلك ، وتبددت الآمال التي علقها العرب على الجامعة . ثم تتعاقب الدروس القاسية على هذه الفئات ويزداد شعورها بخطر الاستعمار والصهيونية ، وتتضاعف المطالبة الشعبية بتوحيد الجهود لدفع هذا الخطر ، فتعمد هذه الفئات الى خلق الضمان الجماعي بين الدول العربية ولكن هذا الضمان بقي اسماً بلا مسمى ، ولم يشعر العرب بعد ابرامه بشيء من الضمان او الاطمئنان ، بل كان مثالاً جديداً اضيف الى الامثلة السابقة التي كشفت عن تمسكها بالاوضاع الراهنة واهمالها لكل عمل جدي في سبيل الوحدة.

صحيح ان نضالنا في سبيل الوحدة ، يجب ان يرتكز على معرفة دقيقة للواقع . وصحيح أنه ليس من الحكمة في شيء ان نطالب في ظروف كهذه بالمتعذر كيلا يفلت من ايدينا الممكن . وصحيح أن تجاهلنا لعقلية الفئات الحاكمة وقواها لا ينطوي على خطأ فحسب بل وعلى ضرر للوحدة نفسها. صحيح هذا كله ولكنه لا يمنع من ان تبقى فئة من المناضلين العرب في صف المعارضة للخطوات الناقصة منعاً للوقوف عند هذه الخطوات واعتبارها الهدف الاخير ، خاصة وان هذه الفئات سبق لها ان اقامت الدنيا واقعدتها عندما انشأت الجامعة العربية والضمان الجماعي .

وبعد فلا نظن احداً من المؤمنين حقاً بالعروبة يطالب بتحقيق الوحدة دفعة واحدة وبصورة تامة شاملة ، ولكن هذا لا يعني قط الاستسلام لمنطق « الاتحاديين بأي ثمن » ولا يجب قبول اتحاد شكلي يوهم العرب بأنه الهدف المنشود ويمتص المطالبة بالاتحاد الفعلي . وإذن فتحفظ الفئة الثانية في قبول منطق« الاتحاديين بأي ثمن » ومطالبتها بأحسن الشروط واسلمها لا يصبحان والحالة هذه ، أمراً مفيداً فحسب بل ضرورياً لضمان استمرار النضال في سبيل الوحدة .

٥ – وبالاستناد الى ما تقدم فان الفئة الثانية تعتبر ان إقامة اتحاد على اساس توحيد الثقافة والبرلمان والجيش والسياسة الخارجية والاقتصاد ، والغاء الحواجز الجمركية ، مع المحافظة على الكيانات القائمة ، وضمن الاوضاع الراهنة التي قد لا تسمح

بتطبيق بعض هذه الاسس إن لم نقل ربما تضيف اليها عوامل جديدة من الاحتكاك والتنافر نقول ، إن اتحاداً كهذا تعتبره الفئة الثانية مرحلة جديدة وخطوة جدية في سبيل الوحدة . فهي تباركه وتقبل به ولكنها تطالب في الوقت نفسه بغنم جديد ، وتسعى لتوجيه القوى النضالية لتحقيق ما هو أحسن منه .

٦ – اما مسألة الالتزامات والمعاهدات التي ترتبط بها احدى دول الاتحاد ، وكيف ان القانون الدولي يسقط عنها التزاماتها – كلها أو جلها – لمجرد اشتراكها في الاتحاد ولا يسمح بان تسري هذه الالتزامات – اذا بقيت – على بقية الدول الاخرى ، اما هذه المسألة فحقوقية قانونية لا اريد ان أقحم نفسي في بحثها ، ولكنني لا ازال اذكر تلك المناقشة الحادة التي جرت حول هذه المسألة بالذات بين رجال القانون في لجنة الدستور الاتحادي لمؤتمر الخريجين بالقدس ، ولا ازال اذكر منها ان الدكتور ادمون رباط والاستاذ عبد القادر الميداني وغيرهما،قد خففوا من حماسهم لنصوص القانون الدولي بشأن الالتزامات ، واعترفوا بان القوة التي تتوفر لدولة الاتحاد هي الأساس . فاذا بقيت هذه الدولة هزيلة ضعيفة ، بقيت التزامات بعض دول الاتحاد على ما هي عليه . واذا اصبحت قوية حازمة استطاعت ان تخفف من وطأة الالتزامات إن لم نقل الغاءها والتخلص منها .

بقي علينا في نهاية هذا البحث ان نناقش الرأي الذي لا يجد مانعاً من الاعتماد على دولة اجنبية لتحقيق الاتحاد .

١ – من الواضح ان الدول الغربية الكبرى تسيطر عليها الروح الاستعمارية وتسيرها مصلحتها القومية ، فلا تؤيد اتحاداً عربياً مالم تتأكد عملياً وموضوعياً من الفوائد والاضرار التي قد تجنيها من جراء دعمها له، وهذا يعني انه لا بد من دفع الثمن على حساب حريتنا ومصلحتنا.

٢ – ولو افترضنا ان احدى الدول الكبرى وجدت من مصلحتنا ان تلبي رغبات العرب ، وتحصل على ثقتهم بها ، وارادت ان تدعم الاتحاد العربي ، فهل تستطيع ان تنفرد بهذا الامر من دون الدول الكبرى الاخرى وان تضمن عدم معارضتها الشديدة ، لانفرادها بهذا التأييد ، اولتضارب مصالحها مع هذه السياسة ؟.

٣ – ولنفترض كذلك ان هذا الامر ممكن ، فهل يجدي تأييد علني للاتحاد العربي من دولة كبرى اشتهرت بمساوئها المتكررة مع العرب وبخاصة في هذا الظرف الذي نمت فيه كراهية الشعب العربي لهذه الدول الاستعمارية ولم يعد يرى فيها سوى عدو غادر متآمر ، لا يقيم وزناً للصداقة ولا يتقيد بالعهود والقيم الاخلاقية ولا ينظر بالتالي الى الآخرين الا من زاوية النظر المصلحية التي لخصها « بالمرستون » احد الساسة الانكليز المشهورين فقال « ليس في نظر انكلترا صداقات وعداوات بل المصلحة الانكليزية فقط » . ?

٤ – ثم ان حوادث التاريخ نفسها تؤكد لنا ان الاتحادات القومية الصحيحة لم تتحقق الا بقوة الشعب او بالدم والحديد على حد تعبير بسمارك بطل الاتحاد الالماني ثم ان الاتحاد الايتالي نفسه والذي يتخذ مثالاً للدلالة على اثر المساعدات الاجنبية في تحقيقه ، لم يكن لنابليون فيه الا اثر ثانوي ضئيل ، في حين كان الشعب الايتالي ، بمنظماته واكثر حكوماته ، يناضل لتحقيق هذا الهدف قبل ان يتدخل نابليون بما يقرب من نصف قرن . وكانت الثورات تتكرر من اجل ذلك في مختلف الولايات والمقاطعات الايتالية ، هذا وعلى الرغم من مهارة كافور في السياسة وحسن افادته من التنافس بين فرنسا والنمسا في ذلك الحين ، فانه لم يستطع ان يضمن بقاء نابليون الى جانبه في الساعات الحاسمة من الحرب ضد النمسا .

٥ – ثم ان التاريخ لا يعيد نفسه ، ولا يشترط ان تكون وسائل الاتحادات في اوربا وشروط تحقيقها متشابهة مع الوسائل والشروط المطلوبة لتحقيق الاتحاد العربي . وان ما صح في القرن التاسع عشر لا يشترط ان يصح في القرن العشرين .

٦ – ثم لماذا نغوص في اعماق التاريخ لندعم رأينا بالحوادث الخادعة احياناً ، ونترك الوقائع الحية التي تطالعنا كل صباح ومساء ، وتؤكد لنا بما لا يقبل الجدل ان دول العرب الكبرى لا يمكن ان تدعم اي اتحاد بين العرب ، ليس هذا فحسب بل انها تسعى جهدها لاحباط كل عمل يهدف تحقيق الاتحاد .

الا يكفينا دليلاً على نيات هذه الدول وموقفها العملي من الاتحاد العربي انها خلقت اسرائيل وجعلتها اسفيناً في قلب الوطن العربي يسعى بتمزيق وحدته ويدأب على تحطيم عروبته ؟

وبعد : فان اعتمادنا في تحقيق الاتحاد على دولة أجنبية واطمئناننا لوضع دستور اتحادي تتبناه الحكومات تبنياً سطحياً ، وتتآمر عليه قوى الاستعمار والرجعية ، وركوننا لنصوص القانون الدولي مع تجاهل الواقع وملابسات الاتحاد وظروفه ، أجل ، ان هذا كله لن يوصلنا الى الاتحاد المنشود وإنما لا بد – كيما يتحقق هذا الاتحاد من نضال دائم يستهدف الانقلاب الشامل في الفكر والسياسة والاقتصاد ، ويرتكز الى اساس قوي من الوعي والايمان والتنظيم .

وسنحاول توضيح ذلك في مقال قادم .

السويداء — **شبلي العيسمي**

مُناقشَات

حول قصيدة «فلسطين أبداً»

بقلم حامد يوسف

يحاول بعض النقاد وضع قوانين وحدود ومفاهيم خاصة للشعر هي ابعد ما تكون عن روح الفن وجوهره . ففي نقد الدكتور علي سعد لقصيدة « فلسطين ابداً » للشاعر كاظم جواد حاول الناقد ان يدخل في القصيدة عناصر ومواضيع هي براء منها . يقول الدكتور سعد ان القصيدة « تنقلنا الى جو سريالي » ذلك « لان الشاعر جند كل ضروب التنافر في الانغام والصور والمفاهيم » ، ولكنني مع الاسف لم اجد اية لمات سريالية في القصيدة ، ذلك لان التنافر في الانغام والصور والمفاهيم ليست شرطاً من شروط السريالية ، كما ان « الصور المبعثرة » لا تعني ان الشاعر سريالي . واستميح الناقد عذراً بان الصور التي يعتبرها « غير مدركة » هي مدركة فعلاً . فعندما يذكر بضعة استعارات يقول عنها انها تبعث الدهشة : « اذ تلمس الصدى يشع » و « يسمون البرق » و « فيسطع الظلام » ، اقول بان الشاعر قد نجح كثيراً في تركيز صور للصدى ، والظلام ، والبرق ـ ذلك بذكر نقائضها وهي الاشعاع واللمس ، والسماع ، والسطع ـ فاستعمل ما يسمى في النقد بـ« Black and White ».

ثم ان الصورة الشعرية التي ذكرها الشاعر في : « وتحت الاف الجسور تحمل المياه ـ قلوب الاف الرجال .. »

لم اجد فيها ما يحمل على الغرابة . فالصورة واضحة جداً : المياه هي هذا الواقع الفاسد الذي يطفو عليه البشر ، فبدلاً من ان ينزلوا الى اعماقه ويتحرون ما فيه ، نراهم يمرون تحت آلاف الجسور التي تربط طرق الخلاص . حقاً انها لصورة بديعة !

ثم يعرض الناقد لفلسفة العبث في : « .. ما جدوى شذى الضياء ـ في عالم تباد فيه اجمل الورود ؟ ـ فلنحترق، ماذا وراء الحب والغناء ؟ .. »

ويمتد بنا البحث اذا تطرقنا حول مسألة العبث في الفلسفة ، وحول هذه الدفقات الشعورية الصارخة في هذه الابيات التي يصل فيها الشاعر الى قمة اندفاعاته . ان هذه النتيجة تحرك مشاعرنا واحساساتنا ، لانها توصلنا إلى مرحلة تكفر باقدس ما في الحياة ذلك هو « الحب والغناء » ، هذه المرحلة هي ليست غير انعكاس رائع ولكنه خفي لهذا الواقع الفاسد الذي نعيشه .

وليت المجال يتسع لي هنا لكي ابين للناقد ما في القصيدة من روائع اخرى ولعلي لن اكون متعنتاً اذا رجوته ان يرجع مرة اخرى الى المقاطع ٥ و ٦ و ١٢ ، وان يخبرني ماذا وجد من العبث في :

« كلا ، فمن كل جدار ينبع الرجال ـ كلا ، ففي كل الزوايا يصرخ النضال ـ في كل قلب مسترق تهم النصال .» .

ويستطرد الناقد فيقول « ان هذه الوسائل المعقدة في التعبير لم تترك اثراً يفهم منه اننا بصدد الحديث عن فلسطين » . ثم يحلو له ان يوزع هذه القصيدة على اللاجئين فرداً فرداً ليرى انطباعاتهم عنها .

وقد فات الناقد ان الشاعر عبر عن مشكلة فلسطين كمشكلة انسانية لا كقضية قائمة بذاتها . وعلى ذلك فشاعره اوسع من ان تسلك طريقاً ضيقاً خاصاً ، فان التعبير الصحيح عن اية مشكلة لا يتم الا بأن يعيش الشاعر هذه المشكلة كانسان فتتداخل في اعماق نفسه وتتجاوب مع تجاربه وثقافته وآماله وفلسفته في الحياة . عندئذ نستطيع ان نتعرف على رأيه حول هذه المشكلة لان قصيدته مرآة نفسه . وعلى هذا فان معالجة المشكلة بطريق مباشر لا يحمل أياً من المعاني التي ذكرتها . فالصهيوني (مثلاً) الذي يستأجره العرب ، والعربي المخلص كلاهما يستطيع ان يعبر بطريق مباشر عن مسألة فلسطين . كما اننا نستطيع ان نعكس الآية . ولكن الصهيوني الخائن والعربي الخائن في كلتا الحالتين لم يعيشا التجربة الانسانية المشكلة .

ويجرنا الحديث عن الطريق المباشر في التعبير والبساطة في القول الى قيمة المعيار الفني الذي توزن به القصيدة ، فماذا يقول الدكتور سعد في هذه الابيات :

« فلسطين للعرب رغم انف الزمن »

او :

« فلسطين فلسطين لك المجد فلسطين
من الشرق الى العرب تحييك الملايين »

او :

« فلسطين يا قبلة المشرقين اين ابن الوليد ؟ واين المثنى ؟»

هل هناك بساطة اوضح من هذه البساطة ؟ هل هناك تعبير مباشر اقوى من هذا التعبير الذي يفهمه « اخواننا اللاجئون الفلسطينيون » ويقع « في متناول ابعد قاريء في مجتمعنا الذي لم يذهب بعد بعيداً عن طور العلم البدائي » ؟ ولكن هل يعد حضرة الناقد هذا شعراً ؟ ام نظماً ؟

اذن ليس علينا إلا ان نطبع منشورات فيه توزع على اللاجئين الفلسطينين ثم نسمي هذا شعراً فنياً . ولكن ما قيمة الفلسفات وما قيمة الفنون والعلوم اذا وضعناها في ميزان البساطة المتناهية والتعبير المباشر ؟ وكيف نريد بناء حضارات جديدة اذا اخضعت هذه الفلسفات والفنون والعلوم لاحكام الشخص العادي « الذي لم يذهب بعد بعيداً عن طور العلم البدائي؟»

ليس في قصيدة « فلسطين أبداً » أي تعقيد او لولبة او (انبيقية) على حد قول الناقد، وليس فيها ضباب ولا اشباح كما في شعر اليوت وكوكتو، ذلك لان التجارب التي يحياها هؤلاء هي غير التجربة التي طلع بها كاظم جواد في قصيدته ولان الفلسفة التي يفكر بها اليوت هي غير الفلسفة التي يفكر بها كاظم جواد ، ولان كلا منها يمثل ناحية من نواحي الحضارة تختلف اختلافاً بيناً ، فعلى ذلك ليس هناك وجه المقارنة بينهما .

كما اني لم افهم قول الناقد ان بلاد الشرق المفعمة بالضياء وبلاد الغرب المفعمة بالضباب ، وتعبيره (السريالي) « ولا تزال شموسها الناشئة الهرمة تنتظر الكلمة الواضحة .. » ، اقول لم افهم قول الناقد ان الاجواء لها هذا التأثير المطلق دون العوامل الاخرى على الشعراء وهل ان شعراء الغرب كلهم متجهمون مبهمون مثل اجوائهم وشعراء الشرق يسطعون بالضياء لان اجواءهم مضيئة ؟

ولا ادري ماذا يقول الناقد في لوركا وفي ستويل وفي سندر ، وحتى في لامرتين وشكسبير ؟

ثم يستطرد الدكتور سعد فيقول ان المؤسسات الفكرية « في الغرب تقف درعاً ضد البهلوانية الادبية او الفنية » انني اربأ باي ناقد حديث يسمي السريالية والانطباعية والرمزية والتجريدية والتكعيبية الواناً بهلوانية وان بيكاسو واليوت وسلفادور دالي وكوكتو..الخ ليسوا الا مشعوذين. وجواباً على ذلك اقول بان النقاد الغربيين هاجموا هذه المدارس بعنف عند ظهورها ولا يزال صدى هذا الهجوم الى الآن ، ولكننا مع ذلك نراها قد رسخت اقدامها ونمت واخذت توجه الفكر العالمي حسبما تشاء . ولم تبلغ هذه المدارس « متناول ابعد قاريء » كما لم تبلغ من قبلها الرومانتيكية والكلاسيكية عند بدء ظهورها ، ولا حدث ذلك لاية فكرة جديدة ظهرت الى الوجود ، بل لا بد من وجود التناقض الصارخ بين الفكرة وبين الواقع والا فلن تستمر الحياة في سيرها المعهود ، ولن تظهر حضارات على سطح الارض .

ويستشهد الناقد بـ « لوركا وناظم حكمت » ويحث كاظم جواد على التمثل ببساطتها في التعبير ووضوحهما في القول (وهما على ما اعلم على العكس) فانه من العبث ان نضع امام الشعراء والفنانين امثلة منهم ليحتذوها لان ذلك مخالف للطبيعة والمنطق . فكل انسان في هذه الدنيا له تجاربه وانفعالاته وشخصيته التي تكونت من محيطه ومن ثقافته ومن فلسفته في الحياة . كل هذه العوامل هي التي تكون طريقة تفكيره وتعين اسلوبه الفني ان كان فناناً فتطبعه بطابعه الخاص وبذلك يتميز عن زملائه .

واخيراً وليس آخراً ، فالفن لا ولن يكون مطية مادية الى هذا الحد ، لانه صورة حية للمشاعر الانسانية الخالدة ، ولن يصبح الانسان آلة ميكانيكية في اي يوم من الايام .

بغداد **حامد يوسف**

الدكتور سعد والمثقفون

بقلم عباس أحمد الصالح

يطول بنا الحديث اذا اردنا ان نتعرض الى جميع ما اراد الدكتور سعد ان يبينه في معرض حديثه عن قصيدة الشاعر كاظم جواد « فلسطين ابداً » ذلك انه قد ادخل نفسه من خلال كتابته في دروب طويلة ملتوية، زج فيها من المواضيع والمعاني والافكار المتشعبة ما جعلنا نحار في الرد عليها كلها نقطة فنقطة. ذلك انها كما نرى تتطلب منا شروحاً وافية للسريالية وفلسفة العبث والواقعية الجديدة وغاية الأدب ومفهوم الشعر الحديث والأدب للكافة او للخاصة والمضمون والشكل وعلاقتها بالتعابير الشعرية، الى ما هنالك من آراء وفلسفات متضاربة ومتنافرة، تحتاج الى كثير من التوضيح والتفسير. وعلى هذا الاساس وجدتني ملزماً ان أكتب ردي بصورة هي اميل كثيراً الى الاختصار.

اولاً: يقول الاستاذ علي سعد « وتحاول قصيدة فلسطين ابداً ان تنقلنا الى جو سريالي ولكن عبثاً : فان هذا الجو الذي جند له الشاعر كل التنافر في الانغام والصور والمفاهيم ظل محرماً علينا دخوله .»

اي جو سريالي قد لاحظت ايها الاستاذ في هذه القصيدة؟.. افي قوله : اهكذا ؟ اهكذا نعيش — احط الوان الزوايا السود .. والضباع — في هذه البقاع — حياتهم ام يا ترى ضريبة الفناء — مغلولة الى خطى مشلولة الرجاء — هذا الهدوء المطبق الملعون ...

ام في قوله : اعالم المصانع الخضراء .. والحقول — هذا الذي نحياه تحت سطوة الألم — ام عالم الخراب والاحزان والذبول — والخوف والسأم؟

ام في قوله : فيسطع الظلام في حيفا وفي الجليل — وتقرع الطبول، طول الليل الرحيل : — « دير ياسين .. دير ياسين — هيا افتحي للقادمين بابك الحزين — العائدون يذكرون همك الدفين — اثداءك المقطعات ، دمعك المراق — اطفالك الممزقين ، قسوة الفراق ... الخ

ام اننا يا ترى لم نتفهم الى الآن معنى السريالية ؟.. هذا ما نتركه الى القراء الاعزاء الذين عناهم الاستاذ بعدم تمكنهم من الدخول الى هذا العالم « السريالي !. » واين ضروب التنافر في الانغام يا ترى والقصيدة من بحر واحد ؟. — مجزوء الرجز — اتريدنا ان نقول انه طبيب ماهر حقاً ولا شأن له « بعلم العروض » ؟

اما من ناحية التنافر في الصور والمفاهيم فالقضية من الوضوح الى درجة يفهمها اقل الناس اطلاعاً على الواقعية الحديثة في الادب . يقول الاستاذ كاظم جواد في صدد الحديث عن الواقعية في العراق على صفحات هذه المجلة « ليست الواقعية الحديثة هذا النقل اللافني لصور الحياة ، الواقعية الحديثة عملية هضم لهذه الصور تتخذ مجرى الشعر الحر الطليق .» ويضيف قائلاً : « إن اديباً يستلهم المباديء اللاعقلية في فهم الادب ، من الصعب ان يدرك قيمة قصيدة حديثة تنقل « شعراً حركة الاشياء في الواقع .»

فمن هذا نرى ان الاستاذ كاظم في هذه القصيدة قد مزج بين الذاتية والموضوعية .. قد عبر عن « المأساة » من خلال ذاته واسبغ عليها صفة انسانيه شاملة بحيث اصبح سؤال الاستاذ سعد «اين فلسطين؟» على الرغم من تصوير الشاعر للاطفال المشردين ولمذبحة دير ياسين ، اصبح في غير محله .

اما ما يسميه الدكتور «تنافراً في الصور » فنحن نطلق عليه « حركة الاشياء او تناقضها » معبراً عنها بلغة الشعر حيث تؤدي في الاخير الى تجانس هو ما يجب أن يكون . يقول الشاعر :

ألم نزل — حيث تقسو الارض — للزمان — انشودة الواحات والرمال والهجير — قوافل الامس البعيد ، نالك العياء ؟ — ام جفف الهجير في لهاتك الحداء — فكيف عدنا في الصحارى الجرد صامتين — مشردين ، اي شعب شاحب حزين

هنا يكمن التناقض ١ في الصور ، شعب يخلق الحياة في الصحراء ، رغم قسوتها — حيث تقسو الارض — يخلقها بكفاحه ... باغانيه ، ولكنه يعود بعد الكارثة — مشرداً — فيها صامتاً . واية صورة رائعة في قوله :

وتحت آلاف الجسور تحمل المياه — قلوب آلاف الرجال . الخ ...

نحن لم نكن لنتوقع ان يفهم الدكتور هذا البيت الرائع هذا الفهم السطحي الخاطف ، اذ كيف فاتته هذه الصورة الملأى بالاحاسيس الانسانية ؟ ..يكفي ان يتصور معي القاريء قلوب الاف من البشر تحملها المياه مع القش والاوساخ تحت الجسور التي كان يجب ان تكون معبراً لهذه القلوب الانسانية الوادعة . اية صورة انسانية رائعة هذه التي تعبر عن مدى ابتذال قيمة الانسان ، في عالم يجب ان يرفع من قيمته ؟

ثانياً : اما من ناحية الوضوح والغموض فقد وجدت ان للاستاذ آراء غريبة لم اتمكن من فهمها او استيعابها ؛ ذلك لان المسألة تجرنا الى تفهم

١ وقد دعاه الاستاذ محيي الدين اسماعيل (بالطباق في الصور) في كلمته عن « لغة بغداد » للاستاذ كاظم جواد على صفحات هذه المجلة .

طبيعة الانسان وهل هو واحد ام متعدد ؟.. مما يطول فيه الاخذ والرد، ولكني اود ان اقول : الأن سماءنا تنوء بالضياء !- كما يعبر الاستاذ - توجب على شعرنا الوضوح ؟. ولان سماء الغرب « تنوء » بالضباب توجب على الشعر الغربي ان يكون غامضاً ؟.. اذا كان هذا هكذا فما قول الدكتور بغموض شعر « طاغور » وسماؤه تنوء بالضياء ؟.. وما قوله بشعر « اليوت » الغامض وشعر « سبندر » الواضح وسماؤهما « تنوء » بالضباب ؟.. وما قوله بشعر « بابلونيرودا » الذي يتسم بالغموض مع انه من شعراء الواقعية باعتراف الدكتور ؟ .. وما قوله بقصائد « ناظم حكمت » الذي قال بعض قصائده في سجن « تنوء سماؤه بالضياء » وقال القصائد الاخرى في سجن « تنوء سماؤه بالضباب » ؟..

اذن فالقضية لا تبتعد عن الواقعية الحديثة في الشعر في كونها «مضامين وصوراً » ونحن لا نستطيع ان نطلب من الشاعر باسم التبسيط وباسم وصول القصيدة الى « ابعد قاريء » ان يتخلى عن الفن وعن العمق وان يكتب لنا تقارير كالتي اعجب باحداها الدكتور نفسه ..

ثالثاً : ان عبارة « سور عكا » و « الجنود الراقدين » الذين شهيب بهم « الطيور القادمة من القفار » ليحرقوا « صليب شجيرة الصبار » رمز الجدب .. الخ » اثارت في نفسي من المعاني وتوارد الخواطر ما جعلني اقوى ثقة مني قبل قراءة القصيدة، بأن فلسطين ستعود الى اهلها المشردين. إن سور عكا ذكرني بأيام الصليبيين ، سور عكا ذكرني باندحار نابوليون الجبار ، سور عكا .. الذي اصبح .. رمز النصر للعرب ! .. ولست استطيع « باسم الاستعارات والرموز البعيدة التي استخدمها الشاعر » كما يقول الدكتور ان اطلب منه ان يبتعد عن خصائص الشعر في سبيل « التعبير المباشر » وليس بامكاني ايضاً ان اطلب منه ان يذكر لي ان « بروتس » ورفاقه قد لطخوا ايديهم بالدماء بعد اغتيال قيصر كما ورد ذلك في احد مقاطع القصيدة « صورة منقولة عن مسرحية يوليوس قيصر شكسبير »

رابعاً : يطالب الدكتور من الشاعر كاظم جواد ان يلتزم « وضوح » شعر « لوركا » في شعره ، ونحن مع علمنا بأن اطلاع الاخ كاظم على « لوركا » وشعره قد بلغ حد محاولة تأليف كتاب عن هذا الشاعر ونقل اهم اشعاره الى قراء العربية ، نود ان يطلع القاريء على « صور » لوركا « الواضحة » التي لا يتسع المجال الآن لنقلها او نقل بعضها .

خامساً : اما من ناحية فلسفة العبث فاني لا اشم لها اية رائحة في القصيدة واعتذر بهذا الى الدكتور سعد ،- فاما ان اكون قد اصبت بالزكام او ان الدكتور لم يلاحظ الابيات التي اسقطها ، وعند ذاك فالابيات التي ذكرها لوحدها تعني فعلاً فلسفة العبث .

ما جدوى شذى الضياء - في عالم تباد فيه اجمل الورود ؟ - فلنحترق، ماذا وراء الحب والفناء ؟ - ولكنها اذا ذكرت مع بقية الابيات تثبت العكس بجلاء، تثبت روحاً ثائرة لم تستطع ان تتحمل اكثر مما تحملت:

قد ترمز اللحون - الى حديث لن يتم ساعة اللقاء - وسوف لا يتم ، ما جدوى شذى الضياء - في عالم تباد فيه اجمل الورود - فلنحترق ماذا وراء الحب والفناء .

هذا وارجو ان اكون قد اوضحت بعض الاشياء التي استرعت انتباهي اثناء مطالعتي لمجلتنا العزيزة « الآداب » كما ارجو ان لا اكون بهذا قد ازعجت الاستاذ سعد ، فرائدنا جميعاً الحقيقة اولاً وآخراً .

بغداد **عباس احمد الصالح**

حول « الكاموية »

بقلم عثمان سعدي

تعرض الدكتور علي سعد للقطعة الشعرية الكاموية - التي ترجمتها ونشرتها « الآداب » في عددها العاشر من سنتها الثالثة ١ . ولست الآن بصدد إصدار رأيي مفصلاً في الكاموية وصلتها بالبيئة الجزائرية، فهذا يستدعي مني دراسة طويلة آمل ان أخصبها « الآداب » في القريب .. وإنما اريد أن أتعرض هنا لبعض المفاهيم المنحرفة عن هيكل النقد، استعملها الدكتور في لمحته هذه.

والخطأ الذي وقع فيه الدكتور هو هذه النزعة الزجرية التي حملته على أن يصرخ صرخة مبنية على العاطفة البحتة .. فهو يعيب على «الآداب » ان تتوج المقال المترجم عن كامو بـ « صفحات من الادب الجزائري » ناسياً أن مجلة الآداب ما هي الا وسيلة من وسائل التثقيف المبني على حرية الفكر. إن الآداب أو أية مجلة ثقافية أخرى عبارة عن ميدان فسيح تتلاقى فيه الآراء وتتقابل لتؤدي في النهاية مدلولا واحداً في إدراك القاريء الواعي يسمى « الحقيقة »، ولنفرض أن مدير المجلة ورد عليه رأي لا يتفق واتجاه مجلته ، هل يرمي هذا الرأي في سلة المهملات أم ينشره على القراء..؟ إن كان مديراً تافهاً - كما يريده أن يكون الدكتور - فانه سيرميه في سلة المهملات..وإن كان مديراً واعياً يفهم معنى حرية الرأي فأنه سينشره بحذافيره ثم يرد عليه ويدحضه بالحجة والبرهان. إن المفهوم النقدي الخاطيء الذي نستخرجه من مقصد الدكتور هذا ، هو ، النزعة الزجرية في النقد ، التي هي عبارة عن نزوة عاطفية .

ثم يستمر الدكتور في كلامه فيقول: « .. إن إدراج ادب كامو في نطاق الادب الجزائري مغالطة لا يبررها كونه ولد في الجزائر..» إن الدكتور يصدر هذا الحكم قبل ان يدرس الكاموية دراسة «متكاملة » وينظر مدى تأثير البيئة الجزائرية في هذه الفلسفة..ولا شك أنه يعترف بأن كامو لم يولد في الجزائر فقط وإنما نشأ فيها أيضاً واختلط بدمه التراب الجزائري عن طريق الماء الجزائري الذي شربه ، والخبز الجزائري الذي أكله ، ولم يغادر الجزائر إلا بعد أن اكتمل تكوينه الفكري ونضج جهازه الحسي، وبعد أن صابح وماسى شعباً جزائرياً ، ولازم شباباً جزائرياً ، وبعد أن كافح وناضل في سبيل وجود مثالي للانسان الجزائري .. ولا يهمني إذا كان« كامو الآن » تخلى عن مبادئه، وعن هذه البيئة الجزائرية التي استوحى من مناظرها الطبيعية ومن وضعية إنسانها فلسفته لان « كامو الآن » ليس هو « كامو الماضي » الذي أقصده : كامو في « الطاعون » في هذه الفلسفة التي استمدها من وضعية الانسان الجزائري وسط هذا الطاعون السياسي المبيد له بالتدريج ، ليس هو كامو في « التفاهة » التي تعتبر اساساً لفلسفته والتي استمدها من صميم الاوضاع التي جعلت الحياة الجزائرية تافهة في كل مظاهرها ، ليس هو كامو الجزائر يوم ان كانت مسرحياته الثورية تمنعها الرقابة الاستعمارية خشية من ان تثير الشعب الجزائري على أغراضها .

انني لم أقصد كامو سنة ١٩٥٥ الذي تنكر لمبادئه واصبح آلة في يد الحكومة لا يتحرك إلا اذا كانت الحركة ترضي السلطات الفرنسية . لقد كتب كامو بعد أن أرسلت تلك الترجمة إلى «الآداب»، مقالا في مجلة «الاكسبرس» الأسبوعية أعلن فيه رأيه في الثورة الجزائرية - في هذه الثورة التي جاءت مقياساً لاخلاص كل من له صلة بالجزائر بعيدة أو قريبة . لقد ايد كامو

١ راجع العدد الحادي عشر من السنة الثالثة للآداب

في مقاله هذا خرافة فرنسة الجزائر وحكم عليها انها قطعة من فرنسا .. لكن هل كامو الفنان يؤمن بهذا الرأي ؟الحال أن « فور » الرجل البسيط كثيراً ما صرح بأنه لا يستطيع ان يتغاضى عن ١٠ ملايين مسلم يريدون أن يحافظوا على شخصيتهم .. إن كامو الذي كتب هذا المقال ليس هو كامو الفنان وإنما هو كامو الصحفي ، الموظف . إن كامو الفنان كان قد أعلن رأيه في فشل فرنسة الجزائر واعتبرها بلداً له شخصيته المستقلة في مقال له نشرته مجلة الكومبا Combat سنة ١٩٤٥ (عدد اغسطس) ... ولكن هذا لم يثنني من أن أغير رأيي في جزائرية كامو وأبقى مؤمناً بجزائرية الفلسفة الكاموية ، لأن كامو الذي خلق هذه الفلسفة تلاشى في معمعة الحياة وحل محله كامو الصحفي ، كامو الموظف .. ولم اتخل عن رأيي في جزائرية كامو بعد ان كتب هذا المقال.. لان الحكم على الكاتب مرتبط بانتاجه . إن الدكتور اهمل هنا أساسين من اسس النقد وهما أثر البيئة في الانتاج الفني و « الحكم على الظاهرة الفنية بعد الالمام الكامل بالانتاج الفني . »

ثم يستمر الدكتور في كلامه فيجور على تفسير النص فيستخرج منه الشيء الذي يبحث عنه هو والذي بناه في ذاكرته بناء قبلياً فلم ير النص الا كلمة «ينحني» فيحكم بها على كامو انه يعتز بهذه الامة الفرنسية التي « كل شيء ينثني أمامها وهي لا تنحني امام احد .. » ان كامو لا يعتز هنا يا دكتور بكبرياء الفرنسيين بل انه ثائر على هذه الكبرياء. لقد اغمضت عينيك عندما وصلت الى « هي صماء عن ادراك كل الاسرار » لقد ثار كامو على هذا الصمم الذي اصاب الفرنسيين ، وجعل ضمائرهم متبلدة امام الشعب الجزائري والشعوب الاخرى المستعمرة .. انه لم يقصد الانحناء في بلاط ملكي وانما قصد الطواعية التي تتعانق فيها المشاعر الانسانية والتي حرم منها الفرنسي ... ان الدكتور لم يستخرج المدلول الجوي للنص وانما أخذ الفاظاً منه ثم استغلها في تفسير رأي بناه بناء قبلياً وبهذا جار على النص فحمله ما لا يطيق وجار على المؤلف فنسب اليه ما لم يقصد . ولو رجع الدكتور الى قراءة القطعة قراءة متأنية متكاملة لادرك من المعنى الجوي لها انها مبنية على ثورة تذمرية خفية لا يفهمها إلا من احاط بالكاموية ومن تتبع حياة كامو .. ان كامو هنا يا حضرة الدكتور - ثائر على تلك الظروف الحتمية التي رمت به الى الوظيفة الحكومية وانسته وظيفته الاجتماعية الفنية .. انه يحن الى تلك الايام التي كان فيها خلاقاً ..ويثور على هذه اللحظة التي صار فيها مقرراً صحفياً.

ثم يستمر الدكتور في حديثه فيقول : « .. ففيها يتحدث الكاتب عن الجزائر فلا نرى فيها غير بحرها وشطآنها وترابها وخرائبها اي غير هذا الاطار الذي يخرجها عن واقعها الحي كبلد يعيش فيه شعب ويبني ويناضل ويستشهد» ان المدلول الذي يؤديه هذا الكلام هو ان صاحبه لم يلم الالمام الكافي بالكاموية ولا بالوجودية . لانه يعيب على كامو عدم تسجيله لنضال ولواقع الشعب الجزائري .. ان الكاموية كما هي معروفة ليست فلسفة واقعية موضوعية تدرس مشكلة المجتمع وتحلل واقع الجماهير وكفاحهم في سبيل الخبز ، ونضالهم ضد اعداء الانسان ، وصراعهم مع خانقي الحريات ، ان كامو لم يفعل هذا وانما آمن بفلسفة ذاتية استمدها من حياته ثم استغل لها نماذج خلقها في اطار هذه الفلسفة ليطبق عليها آراءه ، فالكاموية لم تسجل لا كفاح الشعب الجزائري ولا كفاح الشعب الفرنسي وانما سجلت آراء كامو الفيلسوف ..

اما ترجمة الشعر من لغة الى لغة فليست هي بالعمل الهين ، فترجمة البحث او القصة يمكن للمترجم ان يتصرف فيها دون ان يخنق المعنى الاصلي للنص ، بخلاف ترجمة الشعر فان اخلاص المترجم لعمله يفرض عليه ان يحافظ على روح المؤلف المتصقة بالالفاظ ، وهذا هو الذي جعلني - عندما ترجمت القطعة الشعرية الكاموية - احافظ على روح المؤلف وعلى حرارة النص .. ان اضحي بالشفافية .. التي تحدث عنها الدكتور في سبيل المحافظة على هذه الروح وعلى هذه الحرارة . ولعل الدكتور سيعجب عندما يعلم انني حافظت حتى على الفواصل والنقط .. وما خفي علي ان هذا النوع من الترجمة لا يرضي من اعتادوا على الترجمة الرومنسية المهملة لروح الشاعر وحرارة النص في سبيل النسج اللفظي المزخرف الذي ابتلي به فننا .. ولو رجع الدكتور علي الى هذه الفقرات التي غمضت عليه .. لوجدها غامضة ايضاً في النص الاصلي لان حل هذه الرموز...مرتبط بالدراسة«المتكاملة»للكاموية.

وأخيراً دعني اهمس في اذنك - يا دكتور - : إن كاتب هذه السطور احد الجزائريين الذين شملهم التشريد والقمع الاستعماري الفرنسي ، الا ان هذا لم يمنعني من أن أخلص للحقيقة واقرر ان البيئة الجزائرية بيئة عقيمة اذا لم تترك اثرها في فلسفة كالكاموية او في كاتب ككامو .. اما انت فانك اردت ان تبث احساسك نحو الجزائر العربية وتظهر غيرتك على عروبتها في هذا النقد العاطفي .. إلا انني اصارحك بأن هذا ليس هو مجالاً لكي تظهر فيه غيرتك هذه واحساسك هذا الذي تشكر عليه.. اننا لم نقرأ لك في مناسبات ومجالات اخرى مواتية رأيك في عروبة الجزائر وفي وحشية الاستعمار الفرنسي الذي يعمل على خنق هذه العروبة .. وهل اخلص العرب للجزائر العربية ؟ هل دافعوا عن عروبتها ..؟ هل اعطوا قيمة للانسان الجزائري العربي ؟ لقد أبادت السلطات الفرنسية في ٢٠ اغسطس ١٩٥٥ ما يزيد على ١٥ الفاً من نساء وشيوخ وصبيان الجزائر انتقاماً من ضربات الثوار ؟ ولقد وصلتنا الاخبار بان مئات من الصبيان المشردين افترستهم الذئاب في جبال الجزائر على أثر هذه المذبحة .. فما هو موقف العرب ازاء هذه الحوادث .. لقد كتبت صحافة العرب عن هذه الضحايا في صفحة الوفيات وبين اعلاناتها .. ولا زالت فرنسا في العالم العربي كما كانت ... لا زالت ابواق سفاراتها مفتوحة ..ولا زالت..ولا زالت«الليسيهات» الفرنسية تعلم ابناء العرب في العالم العربي ان الجزائر قطعة من فرنسا ..

القاهرة — عثمان حمدي

النشاط الثقافي في العالم العربي

لبنان

اهو دور احتضار ام بداية بعث ؟

قلنا في اعدادنا السابقة ان الاستاذ ادوار حنين رئيس جمعية اهل القلم الجديد ، مقبل على صراع عنيف مع المجلس الاداري غير الشرعي الذي مضى عليه سنة من الزمن ، تفاقمت فيها السيئات والمخالفات . وقد كان من الممكن ان تجملنا الاعمال المنتجة – فيما لو صدرت عنه – نسكت عن لا شرعيته ونعتبرها مبررات كافية لغض النظر عنه ، غير ان الايام ما كانت تمدنا الا بمدد كبير من الامثلة على فساد هذا المجلس وفساد الاعمال الصادرة عنه .

وكان الخلاف بين الرئيس الراغب في الاصلاح ، والاعضاء الراتعين في ثمرات الفساد ...

وكان الاحتكام الى الجمعية العمومية ، عفواً ، الى بقايا الجمعية العمومية ، مضافاً اليها عدد من الاصابع الصنمية التي يحركها المجلس الاداري . ومع ذلك فقد اقرت الجمعية العمومية تأليف لجنة محايدة من الاساتذة : شارل مالك ، ميخائيل نعيمة ، سعيد عقل ، محي الدين النصولي ، وهم من خارج الجمعية ، وفؤاد افرام البستاني وتقي الدين الصلح ، وميشال اسمر ، من اعضاء الجمعيه العمومية ، لاعادة النظر في جميع الانتسابات التي تمت في حياة الجمعية ، وأقرت تعليق اعمال الجمعية كلها ريثما تنتهي هذه اللجنة من دراستها واعطاء قرارها .

غير ان هذه النتيجة لم ترض المجلس الاداري ، فأعلن في الصحف ان الاجتماع غير قانوني ، واقام الدعوى على الرئيس ، الذي ما كاد يحذر اعضاء المجلس عاقبة تصرفهم حتى اقاموا عليه دعوى ثانية بمادة قدح وذم . وهنا اضطر الرئيس إلىاقامة دعوى مستعجلة يطالب فيها اميني الصندوق والسر بتقديم السجلات الضائعة واثبات القيود المفروض وجودها في مثل هذه الجمعية .

وما كادت قضية اهل القلم تبلغ هذا الحد من التوتر حتى حاول عدد من المصلحين تخفيف حدة الخلاف ، فدعا الاستاذ محمد جميل بيهم رئيس جمعية اخوان الثقافة ممثلي الجانبين ونقيبي الصحافة والمحاماة وعدداً من الادباء . وانتهى الاجتماع الى وضع حلول مختلفة للدرس والتسوية .

وفيما نرجو ان تحل هذه المشكلة ودياً ، ولصالح الادب قبل كل شيء . نود ان نوضح الامور التالية :

١ . ان الرئيس الجديد هو السلطة القانونية الوحيدة في الجمعية ، بعد ان عرفنا كيف تم انتخاب المجلس الاداري في اجتماع لم يستوف شروطه التي نص عليها القانون الاساسي . ولهذا نطالب من الرئيس ان ينهض بتبعاته تجاه هذا الوضع ويقوم وحده بمهمات المجلس الاداري ريثما تدعى الجمعية العمومية بمنتسبيها الحقيقيين وتؤلف مجلساً ادارياً جديداً .

٢ اننا لا نؤيد الرغبات التي تريد ان تضع تسوية عشائرية لقضية اهل القلم ، فتتم المصالحة على حساب الادب والادباء ! نريد ان يقال للأمين ، حين تثبت امانته ، انت امين . وان يقال للص ، حين تثبت سرقته ، انت لص ، وان يقال للمقصر او المخالف صفته التي يستحق .

ان ثمة اتهامات تتناقلها المجالس الادبية ، منها ما يتصل بمساومات قام بها مشتركان في الجوائز التي وزعت هذا العام ، وهما في الوقت نفسه في المجلس الاداري ، لقد قام كل منهما ، على حدة ، بالاتصال بمنافس له في المباراة ، ورغب اليه في ان يسحب كتابه ، على ان يدفع له مبلغاً معيناً من المال .

ومنها ما يتصل بالمساعدات التي منحها المجلس الاداري ، خلال السنة التي قضاها ، فقد بلغت ، حسب البيان المالي الذي اعده امين الصندوق ١٤٨٠ ليرة لبنانية اعطي منها ١٢٨٠٠ ليرة لبنانية لاعضاء هذا المجلس وانسبائهم .

ومنها ما يتصل بمنح شخص الف ليرة لبنانية لاعادة طبع كتاب (تم ذلك في جلسة ٢٧/٦/٥٥) مع ان الجمعية قد رفضت مساعدة الاستاذ اميل مبارك لان مبدأ الجمعية (كما جاء في محضر جلسة ١٧/٣/٥٤) ينص على ان لا تسهم في طبع الكتب التي سبق طبعها .

ومنها قرار المجلس الاداري في ٢٩ / ٦ / ٥٥ بمنح الاستاذ جوزيف باسيلا الف ليرة لبنانية لاصدار كتاب عن الجمعية . وقد سلم المبلغ الى

اشتات ادبية

• ما كاد الدكتور طه حسين يؤكد في الشهر الماضي تصريحه السابق الذي قال فيه ان بيروت أصبحت عاصمة الادب العربي المعاصر ، حتى تكررت في لبنان الاصداء المختلفة لهذا الثناء . فمن الادباء من اعتبره حقيقة لا ريب فيها ، ومنهم من اعتبره مجاملة زائدة او انخداعاً بواقع الحال . وقد كتب الاستاذ رفيق المعلوف مقالا طويلًا في جريدة الجريدة يثبت فيه ان لا ادب في لبنان ولا من يكتبون!

• ظهرت الترجمة الانكليزية لكتاب «عبقرية العرب في العلم والفلسفة» من تأليف الدكتور عمر فروخ ، وقد ترجمها المستشرق الكندي جون هاردي باشراف مجلس الجمعيات العلمية في واشنطن .

• ينتظر ان تدفع المطبعة الى القراء قريباً كتاب « شوع » للاستاذ ابراهيم العريض ، وهو مجموعة شعرية جديدة .

• يفتتح معرض الخريف لفن التصوير اللبناني في مطلع هذا الشهر . وقد قدم رئيس الجمهورية اللبنانية جائزة مقدارها الف وخمسمئة ليرة وقدمت وزارة التربية جائزة ثانية مقدارها الف ليرة لافضل اللوحات المعروضة .

• سيكون العدد القادم من «الآداب» تحفة رائعة بما يحتوي عليه من دراسات موضوعة ومترجمة عن مختلف الفنون ، ومن لوحات كثيرة لفناني البلاد العربية والغربية ، ومن اخراج انيق وحلة جديدة وتحرير قوي .

النشاط الثقافي في العالم العربي

الاستاذ باسيلا بموجب شيك ، ومضت خمسة اشهر ، وما زال الكتاب في عالم الغيب ! ونحن لا نحب ان نصدق ان هذا المبلغ هو ثمن المقال الذي كتبه الاستاذ باسيلا دفاعاً عن طريقة توزيع الجوائز فأساء الى المجلس الاداري اكثر مما دافع عنه !

ولعل اعجب ما في النظام المالي الذي عاشت في ظله جمعية اهل القلم ان المجلس الاداري استدان باسم الجمعية ، مـالاً بفوائد ، ثم عاد ، عندما تسلم منحة الحكومة ، الى تسليف بعض اعضائه . وقد قال لنا الرئيس ان هذه الديون قد حدثت بواسطة امين الصندوق الحالي الأستاذ موسى سليمان . والاغرب من كل ذلك ان واحداً من هذه الديون قد وهب للعضو المدين في جلسة المجلس التي انعقدت في ١٥/١٢/٥٤ .

وثمة أعمال اخرى يعرفها من راقب سير هذه الجمعية ، لا بد ان تكشف عنها المناسبات القادمة ، وما قصة « الاسرار المخجلة » التي اشار اليها الاستاذ رشدي معلوف ببعيدة العهد . ومن هذه الاعمال ما يتصل بالناحية المالية ، ومنها ما يتصل بالناحية القانونية، ومنها ما يتصل بالناحية الاجتماعية.

ان هذه الازمة الحادة التي دخلت فيها جمعية اهل القلم ، كانت ازمة متوقعة منذ زمن بعيد ، لان المجلس الاداري كان يقود بأعماله وتصرفاته اليها .. وهي تؤلم من يغار على هذه المؤسسة الفكرية من ان تعبث بها الايدي .

والذي نرجوه وندعو اليه ان تكون هذه الازمة انتفاضة اصلاح وبشير بعث وتحرر ، لا نوبة من نوبات الاحتضار !

« بهي »

حاشية :

بعد كتابة هذه الكلمة ، اعلنت لجنة الانتساب والتعديل انتهاء أعمالها واختارت اثنين وخمسين عضواً من الاعضاء المسجلين ، ليؤلفوا الجمعية العمومية التي ستنهض بالجمعية على أساس القانون الجديد المعدل . وهكذا انتقلت هذه المؤسسة إلى ايدي الجمعية المنتقاة لتبدأ معها عهداً جديداً ، سيكون ، على الغالب ، آخر محاولة لانقاذ المريض الذي تكاثفت عليه الادواء.



محاضرات شهر كانون الاول ١٩٥٥

الاثنين ٥ منه : الدكتور مرسيل ابو صوان في موضوع : « طبابة جديدة ... وداوني بالتي كانت هي الداء . »

الاثنين ١٢ منه : الدكتورة سلوى نصار في موضوع « الطاقة الذرية ـ وجوه استخدامها واثرها في المجتمع » بالعربية .

الاثنين ١٩ منه : الاستاذ سليم لحود في موضوع « مشروع الليطاني ، وجوهه السياسية والاقتصادية والفنية » بالعربية .

مصر

لمراسل الآداب الخاص

قضية السودان والفكر السياسي

كثيراً ما تدور المعارك الكبيرة الحاسمة في حياة الشعوب دون ان يكون المظهر الخارجي لها هو مظهرها الوحيد . فمن المكمن ان تدخل عناصر اخرى في جوهر تكوين هذه المعارك المختلفة ، وتظل هذه العناصر مختفية بالرغم من انها تعمل في عمق على توجيه المعركة التي تمثل بالنسبة للشعب انتفاضة جديدة نحو مرحلة افضل من الحياة، وكلما كانت الشعوب في مراحل حضارية متخلفة، كلما ازداد هذا الازدواج في تكوين تلك المعارك الشعبية خفاء . فالثورة التي يبدو ان حافزها ديني أو أخلاقي او بطولي عاطفي يمكن ان تنكشف بعد دراسة متأنية عن حركة ذات فلسفة في النظام الانساني والاقتصادي المجتمع . فمثلاً لم تكن ثورة المصريين في سنة ١٩١٩ ذات هدف انفعالي محض هو طرد المستعمر الانجليزي من مصر ، بل كانت في رفضها للاستعمار تعبيراً مجيداً عن حاجة الشعب الى نظام اجتماعي جديد تتوفر فيه شروط اكرم للحياة الانسانية بالنسبة للفرد في مصر . كانت طموحاً الى المعرفة ، وطموحاً الى التحرر ، وحلماً بمستقبل تتحقق فيه العدالة وينسحق الظلم الاجتماعي الصارخ الذي كان قائماً في المجتمع آنذاك نتيجة للانفصال الكامل بين الدولة والامة ، بين الحكومة والمحكومين . ولو وجدت هذه الثورة الكبيرة من يبلور لها اهدافها بشكل واضح عميق لاستطاعت الاجيال الجديدة ، اجيال ما بعد الثورة ، ان تجد اصولاً لفلسفة مجتمعها واهدافه وان تجد هذه الاصول واضحة عميقة قابلة للتطور تبعاً لحاجة الاحداث الجديدة والوقائع الراهنة . كانت ثورة ١٩١٩ في حاجة إلى قيادة فكرية لا شعبية وحسب ، ولو وجدت هذه القيادة الفكرية لظلت اهداف الثورة تدق بعنف اسوار الاعداء وتعمل في قوة على ابادة قيودهم وترسم الضوابط الواضحة لكل حركة تحدث في المجتمع بعد ذلك . وكان لهذا التخلف الفكري اثره العنيف في تاريخ تلك الثورة الحاسمة ، فتبدد الشعب الذي اجتمع في قوة وعنف جبار سنه ١٩١٩ وقد وقف آنذاك يواجه أعداءه بعد ان كشفت التجربة عن وجوههم : المستعمر ، الجالس على العرش ، حزب الامة وانصاره من الاقطاعيين المستنيرين واعيان البلاد . وكان لهذا العداء بين الشعب وتلك القوى المناهضة له موضوعيته ذات الاصول والعناصر ، وفي الوقت الذي وجدت القوى المعادية كلها من يبلور لها فلسفتها ويحدد - في وعي كامل - اهدافها وطريقها في ارض التاريخ المصري الحديث ، لم تجد الحركة الشعبية من يتبناها فكرياً بمثل الدقة التي استطاعت ان تحصل عليها قوى الاستعمار والسراي وطبقات الاقطاعيين والاعيان ، وظلت هذه الحقيقة قائمة طوال فترة طويلة من كفاح المصريين وصراعهم في سبيل تحقيق امنيتهم في خلق مجتمع جديد سليم .. ظلت القوى الشعبية مندفعة في انفعال لا تجد من يتبنون اهدافها ويعملون على بلورتها في صورة فكرية حية توضح الخطوط

النشاط الثقافي في العالم العربي

المتشابكة في طريق الكفاح الصادق ، بينما ظلت القوى المعادية للشعب على معرفة واضحة بأهدافها ومصالحها ، ولا شك ان المجتمع المصري قد خسر الكثير في تطوره الحديث نتيجة لهذا الوضع الفكري الذي كانت السياسة فيه خطوات مرتجلة غير منظمة ليس لها فلسفة واضحة ولا أهداف ومناهج متبلورة راسخة .

ونكتفي بهذه الاشارة السريعة إلى ثورة ١٩١٩ وما تلاها كمثال على طبيعة الموقف الشعبي الذي تنقصه قيادة فكرية تحميه من غبار المعارك المختلفة التي تدفع اليها مظاهر الصراع السياسي وخصوصاً في حياة الشعوب التي وقعت فريسة لاعداء من الخارج والداخل على السواء . فبينما كانت مصر – مثلاً – تعاني وطأة الاحتلال إذا بها تواجه بأحزاب سياسية تقطع الطريق - بمعاونة السراي والاستعمار - على الشعب كلما اتجه إلى مرحلة جديدة من مراحل تطوره ، ذلك لأن هذا التطور الجديد يعني القضاء على مصالح بعض الطبقات المسيطرة التي لا تستطيع ان تحمي هذه المصالح بمبررات إنسانية معقولة مما يدفعها إلى إثارة الضباب والعبث بأهداف الشعب وأمانيه حتى تظل تلك الحقوق المغتصبة في أيدي المغتصبين السعداء الذين كانوا يفكرون في تأمل هادىء ، وينامون في أمن جميل ، ويحلمون باستمرار سيادتهم على المجتمع ، وكأن الشقاء الذي يعانيه الكثير من أبنائه قدر حتمي ومصير نهائي لا ينبغي أن يخرجوا منها على الاطلاق.

إن الدور الذي ينبغي أن يقوم به الفكر : دور المثقفين المخلصين ، هو في الحقيقة دور خطير في مثل هذه اللحظات الحساسة من تاريخ الشعوب ، فلا وسيلة للسيطرة على المعارك الكبرى التي تخوضها تلك الشعوب إلا بفهم مصدر هذه المعارك وأهدافها فهماً موضوعياً كاملاً ، ثم العمل على إبراز الغايات الحقيقية لمثل هذه المعارك والمطالبة في قوة بعزل الاهداف المصنوعة المزيفة الغائمة . إن الشعوب المناضلة التي تدخل معارك كفاحية كبرى لا يمكن أن تهدف من وراء هذه المعارك إلى غايات عاطفية غير واضحة ، فهي بتضحياتها الكثيرة إنما تهدف إلى تحقيق غايات موضوعية مرتبطة بمصائرها الكبرى في الحياة ... مصيرها الاقتصادي ، مصيرها السياسي ، مصيرها الفكري ، مصيرها الاجتماعي ... ومن الجائز ان تكون غالبية عظمى من ابناء هذه الشعوب ، وهي مثقلة بالجهل والاعياء ، غير واعية تماماً بما تهدف إليه ، وهنا يكون دور الفكر ايضاً هو أن يوضح العناصر المختلفة لأهداف هذه الغالبية المجهدة من وراء معاركها الدامية . وعلى المثقفين الذين يقومون بأداء هذا الدور ان يعملوا في تآزر مخلص وجهد صادق والتزام واع على توضيح هذه الأهداف الغائمة . وليكن ذلك عن كل طريق يمكن الوصول من خلاله الى عقول أبناء الشعب وقلوبهم . وأي إهمال في اداء هذا الدور الفكري في المعارك التاريخية للشعوب هو مساعدة مباشرة على تبديد قوى تلك الشعوب وإتاحة الفرصة لتدخل عناصر خارجية في تحديد مصيرها وإثارة الضباب في وجه أهدافها الحقيقية الصريحة . وغالباً ما تكون هذه العناصر الخارجية ذات مصالح متناقضة مع مصالح الشعوب نفسها ، فلن يكون تدخلها أبداً في صالح تلك الشعوب وأهدافها الحقيقية .

وقضية السودان التي تشغل الشعوب العربية عموماً وشعب وادي النيل على وجه الخصوص والتي تبرز اليوم على مسرح الفكر والحياة في مرحلة جديدة من مراحل تاريخها ... هذه القضية قد تخلى المفكرون في الماضي عن معالجتها بصورة موضوعية خالصة . فمنذ عشر سنوات مثلا كان الارتباط بين مصر والسودان قضية بديهية لا تحتاج في معالجتها - كما كان يبدو ظاهرياً آنذاك - إلى فكر موضوعي دقيق ... وكان كفاح رجال السياسة في مصر والسودان مرتبطاً بقوة على أساس من هذه البديهية الاولى غير المدروسة والتي يسلم بها المصريون جميعاً وغير ذوي المصالح في السودان ... ولم يكن السؤال عن الأساس الموضوعي لهذه القضية من القوة بحيث يدفع أحداً إلى معالجتها بهدف الكشف عن طبيعة العلاقة بين مصر والسودان وتاريخ هذه العلاقة والجوهر الموضوعي للكفاح المشترك بين الشعبين : إذ انه كان كفاحاً ضد عدو مشترك ومن أجل مصالح مشتركة ووظيفة إنسانية مشتركة .

لو عدنا الى عشر سنوات لوجدنا الوضع الفكري لقضية السودان قائماً على هذه الصورة . وقد امتد هذا الوضع الى ما قبل تلك السنوات العشر بكثير وبقي قائماً حتى كادت هذه السنوات نفسها تنقضي .. ثم ، فجأة ، رأينا المصير التاريخي للقضية يأخذ اتجاهاً لم يتوقعه أحد.. مما يعرف الجميع .

ان الذي يعنينا الآن ، والسودانيون مقبلون بعد اسابيع على تقرير مصيرهم ، هو الاشارة الى الاثر السيء الذي ترتب على التخلف الفكري في معالجة هذه القضية الحاسمة الكبيرة . ان النزعة السياسية التي اعتمدنا عليها كثيراً والتي تتميز بالسلبية والارتجال وعدم الوضوح الفكري هي ما ينبغي علينا ان نواجهه . انها مرحلة متخلفة ضارة في الفكر السياسي تعتمد على النظر الى المجتمع الانساني باعتباره قطيعاً يسيطر عليه جماعة قليلة تتصرف في شؤونه الانسانية كما ترى بلا تفكير فيما تعرض له من قضايا او ارتباط بتحليل دقيق لمضمونات الوقائع والاماني السياسية في جوانبها الانسانية والاقتصادية والفكرية . ان بين مصر والسودان علاقات نفسية ينبغي ان نعرف حدودها ، وبينهما علاقات اقتصادية ينبغي ان نعرف وقائعها بوضوح ، وهناك علاقات ثقافية تربط بين مفاهيم الحياة في شتى مجالاتها عند المصري والسوداني على السواء : كل هذه جوانب يجب ان تعالج بعمق حتى تضيء الطريق امام الفرد فيعرف انه لا يسعى الى الدفاع عن اهداف غامضة عارضة ، بل الى تحقيق هدف واضح محدد العناصر ... الى تحقيق ضرورة موضوعية صريحة . لا بد من التخلي عن الفهم القديم للسياسة ، ذلك الفهم الذي فرش بالانفعال والضباب ارض الميلاد بالنسبة لكثير من قضايانا الحاسمة ، ومهد الطريق لكي يستفيد - على حساب الشعب - من يدركون تماماً معنى السياسة التي تقوم على اسس علمية دقيقة ، ويعلمون تماماً حقيقة مصالحهم ويلائمون بين مناهجهم ونظرياتهم السياسية وبين تلك المصالح .

ان الدراسات الجامعية لا جدوى منها ما دامت تفاصيل مجردة بعيدة عن دراسة مشكلات أخرى كعلاقة تلك التفاصيل بواقع الحياة : كيف نخرج من القضايا الجغرافية بحقائق انسانية ، كيف نتبين من الصداقة والتشابه بين ذرات التراب في ارض وأرض ، ان هناك ارتباطاً بين انساني هذه وتلك ، وان الحقيقة الثانية تدخل في مجال العلم بنفس القدر الذي تدخل به الحقيقة الاولى . ولقد صدر في مصر من هذه الدراسات الجامعية العقيمة عدد ليس بالقليل نذكر منه كتاب « مصر والسيادة على السودان » للدكتور محمد فؤاد شكري والذي لم يتعرض فيه الا لبعض الحقائق

النشاط الثقافي في العالم العربي

التاريخية الخاصة بالعلاقة بين مصر والسودان في فترة سابقة بكثير جداً على الوضع الراهن لقضية العلاقة بين مصر والسودان .

وهناك كتاب آخر نحب ان نعرض له بكلمة لأهمية الوضع التاريخي لمؤلفه ، وهو كتاب لم يخرج من الجامعة .

لقد سافر الدكتور محمد حسين هيكل الى السودان في فترة من فترات حياته السياسية وعاد ليقدم الينا كتاباً تحت عنوان «عشرة ايام في السودان» يتحدث فيه عن رحلته ومشاهده المختلفة ، والدكتور هيكل كما هو معروف كان رئيساً لمجلس الشيوخ : احد المجلسين الكبيرين للبرلمان ، وكان رئيساً لاحد الاحزاب السياسية التي اشتركت في حكم البلاد ، وفي عهد رئاسته للحزب ، ما لا يقل عن خمس سنوات،واشتركت فيه من قبل طيلة سنوات عديدة وفي مراحل حاسمة أيام أن كان يرأس هذا الحزب سياسي ذو تاريخ هو : محمد محمود .. ومع هذا الوضع السياسي الذي ارتبط مباشرة بالاحداث المصرية الهامة لم يفكر الدكتور هيكل في دراسة قضية السودان دراسة سياسية مدركة تهدف إلى إبراز مشكلة العلاقة بين مصر والسودان مؤكدة بوقائع جديدة استمدها من تجربته الخاصة عند زيارته للسودان . ولقد كان هذا الكتاب — عن وعي اوغير وعي — مثالاً واضحاً على طبيعة الوضع الفكري للمواقف السياسية في مصر ، بالاضافة الى انه يكاد يكون مقصوداً بالنسبة للدكتور هيكل لانه كان يرأس حزباً لا تتلاءم مصالحه مع مصالح الطبقات الغالبة من الشعبين السوداني والمصري انه حزب الارستقراط والاسر الكبيرة في مصر .

لا بد من تغيير هذا المنهج الكلاسيكي في معالجة قضايانا السياسية، وفي ادراك مفهوم السياسة ... ونسمه بالمنهج الكلاسيكي تمييزاً له عن المنهج الجديد الذي يغلي واقعنا حاجة إليه ، وكذلك نطلق عليه هذا الاسم لانه ظل مسيطراً على مسرح الفكر السياسي في مصر فترة طويلة حاسمة ، ونريد ان نعزله كمنهج له خصائصه حتى يكف عن تدخله وتأثيره المسيء في حياتنا وتاريخنا . وليست قضية السودان التي تواجهنا اليوم بعنف الا مثلاً واحداً ... إنه بالرغم من وضوحه وخطره ليس المثال الوحيد الذي خضع لذلك المنهج السطحي المقصود احياناً في التفكير السياسي ... ان الخطر السياسي الذي ينبغي ان نخشاه من المعركة القائمة في السودان ليس هو ما سوف تنتهي اليه من نتائج ، بل هو عدم إدراكنا لطبيعة المعركة وموضوعها . إنه تساهلنا في إدراك حدود واقعنا الراهن بما فيه من قوانين موضوعية عميقة تسيطر على احداثه الخارجية المضطربة ، وواقعنا الذي ننشده بما يضمه من مقاييس وحوافز لخطواتنا في الحاضر نحو ابداع مستقبل انساني سليم ... إن دور الفكر الملتزم الامين ليتضح تماماً من خلال هذه التجربة الجديدة ، وهو دور مسؤول يعيش في الواقع ويرصد العلاقات القائمة بين ظواهره والقوانين المسيطرة على احداثه ثم يتدخل بكلمة في تنظيم تلك العلاقات والقوانين ، ويعيش مسؤوليته الكبيرة اذ ينادي في قوة بافساح الطريق لهذه الكلمة او مناقشتها للاتفاق على وضع واضح لا اعتباطية فيه . ان الفكر يتحمل عبئاً كبيراً في فهم واقعه وتغييره وقيادته إلى مصير سليم ، وليس دوره ابداً هو دور تسجيل احداث رحلة جميلة يقوم بها رئيس حزب سياسي مسئول ومجلس نيابي كبير ... رحلة يتفرج فيها الرجل المسئول على الطبيعة والناس والاشياء،ويعود ليحكي قصة طريفة ليتسلى بها القراء : هؤلاء الذين يعيشون في مجتمع له مشاكله المعقدة ، مجتمع كان هذا الكاتب السياسي احد المسؤولين فيه عن نظام الدولة والنيابة عن الشعب ...

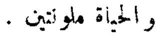
ان دور الفكر هو ان يحمل التبعات الكبرى في حياة الانسان من اجل تنظيم خطوط واقعه المتشابكة حتى يتضح امامه طريق حياته . إن الفكر هو اشرف ما في الانسان وليس من الطبيعي ان يتخلى عن الانسان اشرف ما فيه .

لقد كانت الخسارة التاريخية الكبرى التي وقعت لأبناء ما بعد ثورة ١٩١٩ هي ان هذه الثورة لم تتبلور اهدافها فكرياً كما تبلورت مفهومات اعداء الشعب عن الحياة والتاريخ . وستكون خسائرنا الكبيرة في كل معاركنا هي ان نندفع بانفعال غامض في طريق له أصوله الواضحة وعناصره الفكرية التي يمكن ان تعمق الانفعال وتحميه .ولن تكون نتائج الاندفاع غير هذه اللامتوقعات الاليمة العنيفة التي تفسد الاهداف الحقيقية للشعوب الطامحة الى الحياة ... فليتحمل ابناء الطليعة المخلصون في مجتمعاتنا ما عليهم من تبعات والتزامات ، وليدرسوا مع تجاربهم ومن هذه التجارب كل ما لمجتمعاتهم من أهداف حقيقية ، وعليهم ان يقدروا في ادراك ويقظة ان المعرفة مسؤوليتها الكبيرة التي تسحق في طريقها كل هدف صغير للفكر عندما يخرج الى المجتمع بهدف التأثير فيه وتغييره وحمايته من الاضطراب والتأزم ... ان مجتمعنا الراهن في حاجة الى ان تتغير شتى مصائره ، ولن يتم هذا التغير الا بخطوات امينة مخلصة اولها : ان نغير من مفهوماتنا الفكرية الاساسية ثم من ادراكنا لعلاقة الفكر بالحياة ... فلا بد — على سبيل المثال الذي يتلاءم مع موضوعنا — من تغيير مفهوم السياسة ، فان السياسة علم يتميز بالحيوية والحضور واليقظة ويعمل على تنظيم العلاقات الداخلية للمجتمع وعلاقات المجتمع الواحد بغيره من المجتمعات ، ومثل هذه الوظيفة الخطيرة للسياسة لا بد ان تقترن — كما هو بديهي — بالفكر المستنير المسؤول الذي يؤدي دوره في الايضاح والتعميق . اما عن علاقة الفكر بالحياة فلا بد ان ندرك انه ليس ثمة فكر لا ضرورة له ولا فائدة منه . وان الضرورة والفائدة لا يتحددان بمقياس المصالح الغريزية للفرد بل بمقياس المصالح العميقة للحياة نفسها .

ان الفن دعوة جميلة الى عالم جميل ، والفكر دعوة منظمة الى عالم منظم ، ولم يكن الفن او الفكر يوماً من المتع الفردية التي تجند الواقع الخارجي لها وتتناقض مع مصالح هذا الواقع وحوافز تطوره ونموه والمتعة الحقيقية في الفن والفكر لا يمكن ان تتناقض مع حركة الحياة المنتظمة المتناسقة العادلة ، تلك الحياة التي يخلقها الانسان بارادته وفهمه ويملؤها بأفراحه واشواقه وتضحياته ... فعلى اجيالنا الجديدة الطالعة ان تتحمل عبء تعميق العلاقة بين الفكر والحياة حتى يتحقق لمجتمعاتنا ما تطمع اليه من سلامة في تكوينها ، وحتى يتجنبوا الوقوع في تجارب أليمة توقف حركة الحياة ، بل وحتى تتاح فرصة الحياة لكل فرد فتكون حقاً من حقوقه لا مصادفة ينتزعها بالتحايل والانحراف .

النشاط الثقافي في العالم العربي

سوريا



لمراسل « الآداب » سعد صائب

بين نشاطنا الادبي .. ونشاطنا الفني

كلما حاولت ان اعقد مقارنة بين النشاطين (الادبي والفني) عندنا ، يروعني ما القاه من تفاوت بعيد بينهما ، يتجلى في ضعف اهتمام ادبائنا بادبهم وتعلق فنانينا بفنهم .. فكأن اولئك قد اعرضوا عن رسالتهم ، وكأن هؤلاء كانوا على وفاق مع رسالتهم ، سعوا الى أدائها سعياً حثيثاً ، فبرز نشاطهم جلياً واضحاً .

وليس ثمة خلاف في ان نشاطنا الفني قد بزّ نشاطنا الادبي ، لأن أدبنا – على خلاف فننا – ما برح حتى اليوم طفلاً يحبو .. ولن ادعي ما يدعيه البعض من ان غلبة الاحداث قد أثرت على الجو الادبي والفكري عندنا فعاقت انطلاقه ، لأن مجرد الخوض في بحث مثل هذا (العائق) يقودنا الى تضليل القارىء ، ومحاباة الادباء . وليس هو بالعذر الذي نلتمسه لتغطية عجزنا عن انتاج ادب جديد خصب ، يستوفي نصيبه من الابداع والاصالة، كما يستوفي نصيبه من تمثيل التطور الذي شمل اليوم بلادنا .. ولعل من الغلو اذن ، ان نقارن ههنا ، بين النشاطين ، لان فنانينا اسبق من ادبائنا ومفكرينا في الشعور بذواتهم ، وابرع منهم في الافلات من ربقة الجمود ، والتوفر على الانتاج الفني الخصب ، الذي ساعد على نمو الفن ، ودل على طريقه ، وهيأ المجال لتذوقه .

معرض الفنان ناظم الجعفري

لقد كان استئناف نشاطنا الثقافي والفني – بعد ان مر الصيف – انشاقة عن ملكة فنية اصيلة ، تجلت في المعرض الذي اقامه في صالة معهد (اللايك) بدمشق ، في منتصف الشهر الماضي ، الفنان الموهوب «ناظم الجعفري» الذي عبر فيه عن فعاليته الفنية في مايزيد على مئة لوحة ، استوحاها جميعها من طبيعتنا ومن حياتنا ، باسلوب خاص تميز به وحده ، وتلمس فيه الحركة والحياة ملونتين .



الفنان ناظم جعفري

وفناننا في تطوره الفني ، ما برح متأثراً بالمدرسة الانطباعية ، ممزوجة بالكلاسيكية ، كما نشاهده في لوحته « انتظار » التي تمثل الانطباعية الممزوجة بالكلاسيكية ، ولوحاته «حمرة كهل» و « اماني » و « آفاق » و «من احياء دمشق» وقد حافظت هذه اللوحة على العمق الطبيعي للمنظر كما هو واضح ، وكأنها تمثل المدرسة الانطباعية.

والشيء الذي يطالعك في لوحاته وهو ما تفرد به باستلهامه نموذجاً واحداً ، تكرر في اغلب هذه اللوحات.

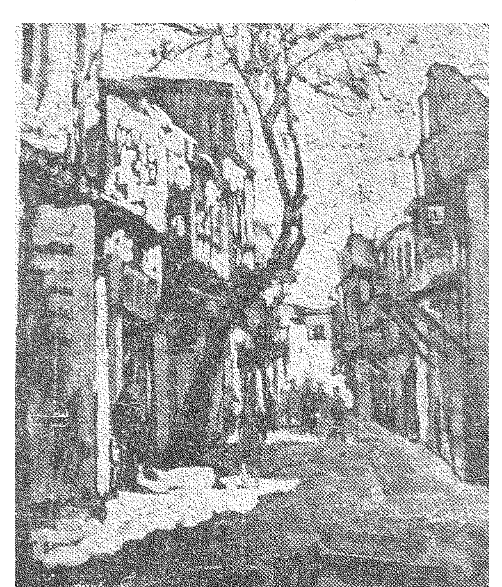
وحين تسأله عن السبب يجيبك ، انه يملك الاختصاص ولا يملك النموذج فكان يبحث دوماً عن نموذجه ، خشية ان يأتيه يوم ينسى فيه اختصاصه ، وهو تصويره الأشخاص ، وقد شاءت الظروف ان يضع رسماً لوجه شقيقته، واذ الفاه ملائماً ، قرر جعلها النموذج الذي يستلهمه ، لما تتمتع به من صفات يريدها هو ، وتتقبلها هي ، للمبدأ الفني الذي ارتضاه فاختطه لنفسه .

والطابع الغالب على لوحاته ، هو التفاؤل والرضى بالحياة ، وجل شخوصه انبساطيون ، لا يتنكرون لواقعهم ، وان كانوا لا يجابهون هذا الواقع بتحد ظاهر ، ولكننا نشاهد على سيماهم ، عواطفهم ، وانسهم ، وبراءتهم ، وهدوءهم المشوب بالابتسام ، كما نلمح في نظراتهم المغمورة بالضياء ، رغبة حبيسة تود الانطلاق ولكن عوامل خارجية ، تشدها فتعيقها عنه . ولعل مرد ذلك كله ، الى انه يستلهم المرأة ، ويستوحيها فنه او لنقل لانه لا يملك غير هذا النموذج النسوي الوحيد ، الذي يحاول نقله في لوحاته ، والذي تبدو على سيماه البراءة ، والأنس ، والهدوء ، والرضى بالحياة .

حمرة كهل



من احياء دمشق





انتظار



النشاط الثقافي في العالم العربي

معرض لوحات الطيور الاصطناعية

لا مجال للشك في اننا نعيش فترة بعث فني مرموق ، لان ما نكتشفه اليوم من ومضات فنية مفاجئة ، دليل على ان مواهب فنانينا بدأت تستيقظ وتعطي .. هذا ما عن لي وانا واقف امام لوحات للطيور الاصطناعية ، عرضها في « الجمعية السورية للفنون » الفنان هشام المعلم ، وهي رائعة حقاً ؛ تمثل مختلف الطيور مصنوعة من ورق الصحف والمجلات الملونة ، وكأنها طيور طبيعية محنطة . وقد استطاع هذا الفنان ، بما انفق من جهد وبما بذل من اتقان في صنعها ، ان يرتفع الى الكمال الفني .

ان هذا المعرض ، وهو باكورة انتاج هذا الفنان الشاب الذي لم يبلغ بعد العشرين ربيعاً من عمره ، ليتكشف عن موهبة نادرة اصيلة ، لا يعوزها فيما نعلم ، الا الايمان بها ورعايتها لتنمو فتعطي ! .

العراق

لمراسل « الاداب » محمد مهدي القزاز

احدث الانتاج

من اهم الكتب التي صدرت خلال هذا الشهر :

١ - كتاب (الاصمعي) للدكتور عبد الجبار الجومرد طبع طبعاً انيقاً بمطابع دار الكشاف ببيروت وهو دراسة تحليلية لحياة الاصمعي وآثاره وتكاد تكون هذه الدراسة هي الاولى عن شخصية الاصمعي

٢ - كتاب (محاضرات في تاريخ العرب) للدكتور صالح احمد العلي الاستاذ بكلية الآداب والعلوم بحث فيه عن الدول العربية قبل الاسلام ، النظم البدوية ، حياة الرسول والدعوة الاسلامية في مكة وقد اجمع النقاد على أهمية هذه الدراسة في تاريخ العرب .

٣ - (في زحام المدينة) مجموعة قصص للقصصي المعروف المحامي انور شاؤول جميعها موضوعة تناول فيها المؤلف مشاكلنا الاجتماعية بالدرس والتحليل ويعتبر المحامي انور شاؤول من رواد القصة الحديثة في العراق واحد بناتها الاوائل الذين مهدوا للقصة العراقية لتتبوأ مكانتها الحاضرة .

٤ - (المبادىء الاساسية لتحسين مناهج اعداد المعلمين في العراق) تأليف الدكتور حمودي عبد المجيد مدرس التربية بدار المعلمين العالية والكتاب اطروحته التي نال بها شهادة الدكتوراه في التربية وضعها بالانكليزية ثم نقلها الى العربية وهي دراسة شاملة لهذه المناهج يهم جميع رجال التربية الاطلاع عليها .

٥ - (شاعرية الوليد بن عبيد) تأليف الاستاذ حمدي علي وهو دراسة شاملة وواسعة للبحتري درسه المؤلف من جميع نواحيه وقد ساعدت وزارة المعارف المؤلف بمائتي دينار لطبعه .

٦ - اصدر الاستاذ رفائيل بابو اسحق مؤلفاً بعنوان (مدارس العراق قبل الاسلام تكلم فيه عن مدارس العراق منذ نشأتها ذاكراً طرق التدريس فيها مع مناهجها وانواعها وبحث عن مدارس السومريين والبابليين والاشوريين ثم مدارس الحيرتين والساسانيين والمعاهد العلمية التي اقامها النصارى في القرى والاديرة .

وكذلك صدرت الكتب الاتية :

صوت الاسلام في العراق لمحمد محمود الصواف - ثورة الاحرار على الاستعمار لهاشم الاعظمي - شرح نظام دعاوي العشائر لفاضل عوني - الدفاع الجوي للمقدم الركن علي غالب .

انباء ادبية

* قررت وزارة الداخلية منع الكتب الاتية من دخول العراق :

(جمال عبد الناصر) لمؤلفه انور الجندي (الدوامة) للكاتب الوجودي سارتر وترجمة مروان الجابري (ديمقراطي اميركي) لمؤلفه هوارد فاست وتعريب عبد القادر الجندي (الاسلام والاستبداد السياسي) لمؤلفه محمد الغزال .

* نشرت جريدة (الاخبار) لصاحبها الاستاذ جبران ملكون بحثاً مسهباً عن المجمع العلمي العراقي تناول تاريخ تأسيسه واعضاءه العاملين والمراسلين والفخريين وما اصدره من كتب والمساعدات التي قدمها في سبيل طبع بعض المؤلفات القيمة وطالبت الحكومة بتشييد بناية لائقة به .

* افتتحت السفارة الاسبانية ببغداد المعرض الاسباني للرسم والنحت في بناية معهد الفنون الجميلة .

* وجه اتحاد الجامعيات في لبنان دعوة الى الدكتور فاضل الجمالي والآنسة صبيحة الشيخ داود لالقاء محاضرات في الموسم الثقافي الذي نظمه الاتحاد للسنة الجديدة ويبدأ من اول عام ١٩٥٦ .

* دعت شركة الخطوط الجوية وفداً من الصحفيين اللبنانيين لزيارة بغداد على ظهر طائراتها الحديثة فيكاونت .

* عرضت وزارة المعارف على ديوان التدوين القانوني مسودة اتفاقية المساعدات للدول الاعضاء بمنظمة اليونسكو المنوي عقدها بين هذه المنظمه والحكومة العراقية .

* باشر الدكتور علي الوردي بطبع كتابه (مهزلة العقل البشري) وسيصدر بجزءين كبيرين وموضوعه محاولة جديدة في نقد المنطق القديم .

* وافق مجلس المعارف على منح (٢٠٠) دينار لكل كتاب من الكتب الاتية مساعدة لمؤلفيها على طبعها :

اسم الكتاب	اسم المؤلف	
في الجبايش	الدكتور شاكر مصطفى سليم	
الخيام عصره ورباعياته	الدكتور احمد شاكر شلال	رسائل دكتوراه
زهديات ابي نؤاس	الدكتور علي احمد الزبيدي	رسائل دكتوراه
التعصب العنصري	الدكتور ابراهيم عبدالله	رسائل دكتوراه
الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري	الدكتور عبد الستار الجراري	
القصص في الادب العراقي الحديث	عبدالقادر حسن امين	رسائل ماجستير
الياس ابو شبكة وشعره	رزوق فرج رزوق	رسائل ماجستير

وكذلك ساعدت الوزارة بمبالغ متفرقة كتباً اخرى على الطبع بنسبة ثلث الكلفة كما اشترت عدداً من النسخ من كتب تبلغ ال(٧٠) كتاباً تشجيعاً لمؤلفيها ووزعتها على مؤسسات المعارف الثقافية .

* قررت لجنة شراء الكتب في وزارة المعارف شراء عدد من نسخ قصة مدينتين لتوزيعها على المكتبات العامة في العراق .

* طلبت وزارة المعارف من معهد الفنون الجميلة بيان امكانية ادخال موضوعي اصول التدريس وعلم النفس الى الاقسام النهارية لضرورتها بالنسبة الى معلم الفن .

الفهرس العام للسنة الثالثة من «الآداب» ١٩٥٥

١ ـ فهرس الموضوعات

راجع صندوق البريد تحت مادة « بريد » . والقصائد تحت مادة « شعر » . والقصص تحت مادة « قصة » . والنتاج الجديد تحت مادة « كتاب » . والمناقشات تحت مادة « مناقشة ». والنشاط الثقافي تحت مادة « نشاط »..

٢ ـ فهرس الكتّاب